

إِثْنَا عَشَرَ لِزُبُدِ الْعَقَائِدِ

بقلم

خَادِمِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ

أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَاسِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورِ قُرْطَاطَةِ
كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلَوَالِدِيهِ وَلَمَنْ عَلِمَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَخَلَ عَلَيْهِ



الطبعة الخامسة

1445 هـ— 2023 م

ISBN: 978-9938-14-114-6

تَقْرِيْضَاتُ
السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ
حُفَظُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَالصَّدَّةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ
سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ رَبُّهُ وَصَاحِبُهُ
أَجْمَعِينَ

الحمد لله وحده هو الذي بعث الرسول لهداية الخلائق وختم
بمحمد بن عبد الله الرسالات وهدى به إلى ما فيه خيرهم ولامهم
ودعا إلى العلم بجميع مفروعاته وفنونه ، وخص علم الشريعة والعقيدة
لما لهما من أثر في استقامة الغرر واستقرار الحياة .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيل الأول الذي
نشر العلم وحافظ عليه ، ثم جاء من بعدهم من سار على درب
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا خير خلف لغير سلف
وهدّهم الله في كتابه وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » قوله « من أراد الله به خيرا
يفقهه في الدين » قوله « العلماء ورثة الأنبياء ». وخذل اقاد
الأئمّة جيلاً بعد جيل كل عصرنا الحاضر فنفهم من فضله نحبه وما
يكلّه عليه ولا ينفعه من أحد الله في أنفاسه وما زال ينشطر
يدرس ويؤلف ويتحقق ، ومنهم صديقنا وهو من العلماء العاملين
المالكي التونسي الفلسطيني الأصل يعيش بيننا ، وقد أخذ العلم عن
شيخ أفضّل من تونس وأجزاءه في علوم وفنون مختلفة
مشعرة بعقيدة وتفسيراً وحديثاً وأصول فقه .

تقریض فضیلۃ الأستاذ الدكتور عثمان بطیخ رحمہ اللہ تعالیٰ
مفتي الجمهورية التونسية

وله مؤلفات عدّة منها الكتاب الذي بين أيدينا الموسوم بـ «دلائل حفاف الفاسد لزيف العقائد». وقد قسمه إلى عدّة فصول منها: مقدمة ومواضيع شتى في العقيدة ومبادئ علم التوحيد والحكم المشرعي ثم في صفات الله عزوجل وفي القضاء والقدر والوعد والوعيد وفي عدد من الأنبياء والرسول وما يجب في حقهم وما لا يجوز وفصل خصص لل يوم الآخر وفي مقامات رسول الله صلى عليه وسلم وفي حكم المرتد ثم حمايته.

وقد كانت كل هذه المواضيع مستندةً من القرآن والسنة وأقول للعلماء مع ذكر المراجع والمصادر بأسلوب سهل وشيق ولادة واضحة وببساطة يستفيد منها المتعلم والمبتدئ. فهو كتاب جدير بالمطالعة ويتعرّيز بالكتبة الإسلامية.

جزاه الله عن الإسلام وال المسلمين كل خير وأعاده الله بعديد العمر ليواصل خدمة العلم تدريساً وعظياً وتأليفاً. رأيابه الله بما يثيب به كل عالم غيره بعلم عامل وبما علمه الله.

والسلام

تونس بتاريخ يوم الخميس ١٥ جمادى الثانية ١٤٣٧ هـ
العنوان ٢٤ مارس ٢٠١٦ هـ

حررته الفقير الربيّ تعالى
عثمان بن الشيخ
مفتى الجمهورية التونسية
لطف الله به

تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ رحمه الله تعالى
مفتى الجمهورية التونسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَقْرِيرٌ فِي ضَيْلَةِ الْأَسْتَاذِ الدَّكْتُورِ مُفْتَى تُونِسِ عُثْمَانَ بَطِيخَ
رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

إِمامُ جامِعِ الزيتونةِ سابقًاً، وَمُدْرِسُ الفَقْهِ المُقارِنِ بِالجَامِعَةِ الزيتونيةِ سابقًاً، وَوزِيرُ
الشُّؤُونِ الدينيَّةِ بِالدُّولَةِ التُّونِسِيَّةِ سابقًاً، وَعَضُوُّ المَجْلِسِ الإِسْلَامِيِّ الْأَعْلَى بِالدُّولَةِ
التُّونِسِيَّةِ، وَعَضُوُّ رَابِطَةِ الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ بِجَدَةَ، وَمُفْتَى جَمْهُوريَّةِ التُّونِسِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ الرَّسُولَ لِهُدَى الْخَلِيلَةِ، وَخَتَمَ بِمُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الرَّسَالَاتِ، وَهَدَى بِهِ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ، وَدَعَا إِلَى الْعِلْمِ بِجَمِيعِ فَرَوْعَهِ
وَفَنُونِهِ، وَخَصَّ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْعِقِيدَةِ لِمَا لَهُمَا مِنْ أَثْرٍ فِي اسْتِقَامَةِ الْفَرَدِ وَاسْتِقْرَارِ
الْحَيَاةِ.

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجِيلُ الْأَوَّلُ الَّذِي نَشَرَ الْعِلْمَ
وَحَفَظَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ سَارَ عَلَى دُرُّبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا خَيْرُ خَلْفٍ لِخَيْرِ سَلْفٍ وَمَدْحُومِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ وَبِشَرِّهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ) وَقَوْلُهُ: (مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ
خَيْرًا يَفْقِهُ فِي الدِّينِ)، وَقَوْلُهُ: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ).

وَكَذَا تَمَادَى الْأَمْرُ جِيلًاً بَعْدَ جِيلٍ إِلَى عَصْرَنَا الْحَاضِرِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمَا
بَدَلَ تَبَدِيلًاً وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَدَ اللَّهَ فِي أَنْفَاسِهِ وَمَا زَالَ يَنْشَطُ يَدْرِسُ وَيَؤْلِفُ وَيَحْقِّقُ
وَمِنْهُمْ صَدِيقُنَا وَهُوَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَالَمِينَ يَدْرِسُ وَيَحْاضِرُ وَيَعْزِّزُ وَيَؤْلِفُ هُوَ الْعَالَمُ

المجليل والفقير الأستاذ خادم العلم الشرييف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل يعيش بيننا، وقد أخذ العلم عن شيوخ أفضل من تونس وأجازوه في علوم وفنون مختلفة شرعية عقيدةً وتفسيراً وحديثاً وأصول فقهه.

وله مؤلفات عدة منها الكتاب الذي بين أيدينا الموسوم بـ"إِنْخَافُ الْقَاصِدِ لِزِيَّدِ الْعَقَائِدِ" وقد قسمه إلى عدة فصول منها:

مقدمة ومواضيع شتى في العقيدة ومبادئ علم التوحيد والحكم الشرعي ثم في صفات الله عز وجل وفي القضاء والقدر والوعد والوعيد وفي عدد الأنبياء والرسل وما يجب في حقهم وما لا يجوز وفصل خصصه لليوم الآخر وفي شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حكم المرتد ثم خاتمة.

وقد كانت كل هذه المواضيع مستمدة من القرآن والسنة وأقوال العلماء مع ذكر المراجع والمصادر بأسلوب سهل وشيق ولغة واضحة وببساطة يستفيد منها المتعلم والمبتدئ، فهو كتاب جدير بالمطالعة وبتعزيز المكتبة الإسلامية.

جزاه الله عن الإسلام وال المسلمين كل خير وأمده الله بمديد العمر ليواصل خدمة العلم تدريساً ووعظاً وتأليفاً، وأثابه الله بما يثيب به كل عالم غير عامل بعلمه وبما علمه الله.

والسلام

تونس بتاريخ يوم الخميس 15 جمادى الثانية 1437 هـ الموافق 24 مارس 2016 م

حرره الفقير إلى ربه تعالى

عثمان بطيخ مفتى الجمهورية التونسية لطف الله به

تقرير كتاب إتحاف القاصد لزيد المقادس

لفضيلة الشيخ أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام حفظه الله تعالى

بقلم الدكتور عفيف الصبابطي

أستاذ علم الحديث بجامعة الزيتونة، وامام جامع مالك بن انس بقرطاج، ونائب رئيس جامعة الزيتونة سابقاً، وعضو المجلس الإسلامي الأعلى للجمهورية التونسية سابقاً.

تعتبر العقيدة الإسلامية الأساس المتنى الذي يقوم عليه هذا الدين العظيم.

ولاهيئها، انبرى عديد الأئمة الأعلام للتاليق فيها في الماضي والحاضر. وقد ظهر في هذا العصر عديد الكتب تقرب هذا العلم للناشئة، منها المختصر ومنها المطول. ومن أشهر ما ظهر من المؤلفات: كبرى اليقينيات الكوتية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وعقيدة المسلم للشيخ محمد النزاوي، والعقيدة الإسلامية وأسسها للشيخ عبد الرحمن حسن جبتكة الميداني، والعقيدة الإسلامية: أركانها، حقالتها، مفسداتها للدكتور مصطفى سعيد الخن ومحى الدين ديب مستو، وغيرها من الكتب التافعة. ومن المختصرات المقيدة لطلبة هذا العلم هذا الكتاب: إتحاف القاصد لزيد المقادس لفضيلة الشيخ أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام حفظه الله تعالى. وهو مؤلف جامع لمسائل العقيدة، مع تمهيد في مبادئ علم التوحيد، وبحث للحكم وأقسامه، وعرض مرئي لمباحث الإلهيات، والتبريات، والغيبيات، وتوضيح لأحكام الرقة. وقد سلك فيه مؤلفه منهجاً واضحاً المعالم، إذ هو ينطلق أولاً من تعريف المسألة اصطلاحاً، ثم يتبع ذلك بدليلاً من الكتاب، ثم باختصار من السنة المشرفة، ثم من الإجماع، ثم يذكر قول عالم معتبر، ثم دليلاً عقلياً، ثم يختتم ببيت من الشعر يختصر كل ما سبق ويسهّل الفهم والحفظ معاً، كل ذلك في عبارة واضحة مفهومة. فجزاه الله عيناً عطاً بذل من جهد لتقرير هذا العلم لطالبيه. أسأل الله له السداد والتوفيق وأن ينفع بعلمه إنه سميع يحب، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنتب.

تونس شهر زاد شهر ١٤٣٩
سبتمبر ٢٠١٨



تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور عفيف الصبابطي حفظه الله تعالى
نائب رئيس جامعة الزيتونة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْرِيرٌ فِي ضَيْلَةِ الْأَسْتَاذِ الدَّكْتُورِ عَفِيفِ الصِّبَابِطِيِّ
حَفْظُهُ اللَّهُ تَعَالَى

أَسْتَاذُ عِلْمِ الْحَدِيثِ بِجَامِعِ الْزَّيْتُونَةِ، وَإِمامُ جَامِعِ مَالِكِ بْنِ أَنْسٍ بِقَرْطَاجِ، وَنَائِبُ رَئِيسِ
جَامِعَةِ الْزَّيْتُونَةِ سَابِقًاً، وَعَضُوُّ المَجْلِسِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَعْلَى لِلْجَمْهُورِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ سَابِقًاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَعْتَبِرُ الْعَقِيْدَةُ إِلَيْسَامِيَّةُ الْأَسْاسِ الْمُتَّبَعَيْنِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ.

وَلِأَهْمِيَّتِهَا اَنْبَرَى عَدِيدُ الْأَئْمَةِ الْأَعْلَامِ لِلتَّأْلِيفِ فِيهَا فِي الْمَاضِيِّ وَالْحَاضِرِ.

وَقَدْ ظَهَرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ عَدِيدُ الْكُتُبِ تَقرِيرٌ هَذَا الْعِلْمَ لِلنَّاشرَةِ، مِنْهَا الْمُختَصَرُ
وَمِنْهَا الْمُطَوْلُ.

وَمِنْ أَشْهَرِ مَا ظَهَرَ مِنِ الْمُؤْلِفَاتِ: كِبْرَى الْيَقِينِيَّاتِ الْكُوُنِيَّةِ لِلْدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ سَعِيدِ
رَمْضَانِ الْبُوْطِيِّ، وَعَقِيْدَةِ الْمُسْلِمِ لِلشِّيخِ مُحَمَّدِ الغَزَالِيِّ، وَالْعَقِيْدَةُ إِلَيْسَامِيَّةُ وَأَسْسُهَا
لِلشِّيخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَسَنِ حَبْنَكَةِ الْمِيدَانِيِّ، وَالْعَقِيْدَةُ إِلَيْسَامِيَّةُ: أَرْكَانُهَا، حَقَائِقُهَا،
مَفْسَدَاتُهَا لِلْدَّكْتُورِ مُصطفَىِ سَعِيدِ الْخَنِ وَمَحْيِيِ الدِّينِ دِيبِ مَسْتَوِ، وَغَيْرُهَا مِنِ الْكُتُبِ
النَّافِعَةِ.

وَمِنِ الْمُختَصَراتِ الْمُفَيِّدَةِ لِطلَبَةِ هَذَا الْعِلْمِ هَذَا الْكِتَابُ: إِنْخَافُ الْقَاصِدِ لِزِيَّدِ
الْعَقَائِدِ لِفَضِيلَةِ الشِّيخِ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدِ مُنْصُورِ قَرْطَامِ حَفْظُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وهو مؤلف جامع لمسائل العقيدة، مع تمهيد في مبادئ علم التوحيد، وبحث للحكم وأقسامه، وعرض مركز لمباحث الإلهيات، والنبوات، والغيبيات، وتوضيح لأحكام الردة.

وقد سلك فيه مؤلفه منهجاً واضح المعالم، إذ هو ينطلق أولاًً من تعريف المسألة اصطلاحاً، ثم يتبع ذلك بدليل من الكتاب، ثم باخر من السنة المشرفة، ثم من الإجماع، ثم يذكر قول عالم معتبر، ثم دليلاً عقلياً، ثم يختتم ببيت من الشعر يختصر كل ما سبق ويسهل الفهم والحفظ معاً، كل ذلك في عبارة واضحة مفهومة.

فجزاه الله خيراً عما بذل من جهد لتقريب هذا العلم لطالبيه.
أسأل الله له السداد والتوفيق وأن ينفع بعلمه إنه سميع مجيب،
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

تونس 25 ذو الحجة 1439

6 سبتمبر 2018

عفيف الصباطي



الْكَاتِبُ فِي سُطُورٍ

هو شيخنا الفقيه الأصولي المحدث الصوفي أبو الفضل العباس أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل، ولد في لبنان عام 1381 هجري الموافق له 1960 رومي في مخيمات اللاجئين.

تلقى العلوم الأساسية والإعدادية والثانوية في مدارس اللاجئين في لبنان، والتحق في صفوف الثورة الفلسطينية وعمره عشر سنوات وكانت له مشاركات عديدة فيها. استشهد والده رحمه الله في شهر شباط عام 1973 رومي.

ارتاحل شيخنا لطلب العلوم الشرعية إلى بلدان شرق وأقطار عديدة. تلقى شيخنا العلوم الشرعية عن ثلاثة من العلماء الأثبات نذكر منهم:

1- الشيخ العلامة الأصولي المحدث سيدى محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي عميد جامعة الزيتونة.

2- الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدى محمد الأخوة المالكي الحنفي التونسي.

3- الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدى كمال الدين جعيط المالكي الحنفي مفتى الجمهورية التونسية.

4- الشيخ العالم الزاهد العابد حامل القراءات السبع المفسر اللغوي سيدى أحمد دريرة المالكي التونسي.

5- الولي الصالح سيدى محمد تقى الدين الكتانى الحسنى المالکي المغربي.

- 6- السيد العالمة الأصولي المفسر محمد المتصر الكتاني الحسني المالكي المغربي.
 - 7- السيد العالمة بدر الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.
 - 8- السيد العالمة عبد الله التليلي الحسني المالكي المغربي.
 - 9- السيد العالمة الأصولي الفقيه محدث وقته وناقد عصره الصوفي الكبير عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي.
 - 10- السيد الإمام الحافظ جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة سيدى عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي.
 - 11- وتدبّج مع إمام الحرمين سيدى محمد علوى المالكى الحسنى المکى.
تشرف شيخنا بالعديد من الإجازات الخاصة وال العامة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية.
- يروي شيخنا بالسند المتصل الصحاح الخمسة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنمسائى، ويروى موطأ الإمام مالك، وبقية السنن والمسانيد، وكتب المعاجم والأثبات كـ: سد الأرب، وفهرس الفهارس، والبحر العميق، وغنية المستفيد، والطالع السعيد، كما هو مجاز بالفتوى على المذاهب الأربع.

ما قاله آباءه رحمهم الله عنه:

قال الشيخ محمد الشاذلي النيف رحمه الله تعالى:

"وكان محل الابن العالم الباحثة الأستاذ أحمد منصور قرطام الفلسطيني في طالعة الحاضرين مع اهتمام زائد في تسجيل الفوائد والبحث الصحيح، أ美的ه الله بالإعانة، وزاده في زاده العلمي الكثير الوافر مما غفل الناس عنه، وحفظه ورعاه، كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه".

وقال أيضاً في تقريره على كتاب المفاخر العلية بحديث الرحمة المسلسل بالأولى:

"ومن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي الباحثة المطلع النفاعة الحريص على التلقى وعلى إبلاغ ما حصل عليه من زاد فائق، وتحصيل جاد، بلّغه الله المراد".

"كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، ثم قال: وتوسع في معناه توسيع خرّيت - الذي عرف خبايا الأمور -، فأشبع القول بما أفاد فيه وأجاد".

وقال فيه سيدى كمال الدين جعيط رحمه الله تعالى:

" وإن مقام ابننا الشيخ أحمد من الصابرين المولعين بمعرفة أسرار الدين، المتلقين للمعرفة باليمين، وليت لنا قدرأً من الفراغ أوسع في هذا الزمان الذي كثرت لنا فيه المشاغل والمسؤوليات، التي استغرقت كل الأوقات، ولم تترك لنا ساعة للتذاكر والمراجعة والبحث والمجادلة...".

وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أهل فلسطين:

" وإن من بين من كَرَعَ من مناهيل العرفان، وملأَ وظابه من العلوم الشرعية، أكان في الأصول العقائدية على مذهب السادة الأشعرية، والتفقه في الأحكام العملية والفروع الفقهية على مذهب السادة المالكية، ابننا البار ولدنا الروحي الفاضل الزكي: أبو الفضل حسام الدين أحمد منصور قرطام الفلسطيني الأصل، التونسي المُقام، فقد لازمي وأخذ عني، وتخرج على أيدي علماء من أهل البلد الأجلاء، وإنني المسئّ: كمال الدين بن محمد العزيز جعيّط، طالب العلم الشريفي، وأحد المتخريجين من جامع الزيتونة ومدرسيه، أجيزة ابني أحمد المذكور لتدريس العلوم الشرعية، إذ هو أهل لذلك، فقد فاق أقرانه ومن كان في سنه من أمثاله، فاقهم نبلاً وفضلاً، وفهمَا وعلماً، وهو من الذين لا يخسرون في الله لومة لائم، وقد اختبرته واختبرت تلاميذه من أخذوا عنه ونشر علمه بينهم فاستناروا به وانتفعوا به أيّ انتفاع، وقد حَبَرَ قلمه مسائل عقائدية وأخرى فقهية، وقد انتهزها مریدوه، وقد كنا مستأنسين به بينما نتجاذب معه أطراف الحديث، ونتباخت في مسائل فقهية وأخرى أصولية، وقد شاء المولى أن ينتقل إلى البلاد الشرقية، وإنني جازم بأنه سيؤهله مستوى المعرفة في العلوم الشرعية وتمكنه من أصول الدين وأصول الفقه ومعرفة القواعد من أن تتلقاه أهل البلد بالإجلال والإكبار، وترسمه في سلك علمائها الكبار، وسيقوم إن شاء الله بتدریس العلوم الشرعية، وسينشئ الرسائل والتاليف الفاضحة لزيف الزائغين، وسيقاوم اعوجاج المتنطعين وتحريف المضلين، وشهادتي فيه أنه: ملأَ الوِظَابَ بما حَسُنَ من العلوم الشرعية وطَابَ، وأنه تفقه في العلوم الشرعية ومقداصها بحيث لا تتوارى عنه بحجاج، وهو مؤهل للفتيا بما يجلب له إن شاء الله الخير والثواب، وهو

من المجتهدين الجاهدين في طلب العلم المتمسكون بسيرة سيد المرسلين، الباذلين النفس والنفيس في إعلاء كلمة الله رب العالمين، والله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: 269.

وقال فيه سيد عبد العزيز بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى في إجازته على كتاب نخبة الفكر:

يقول عبد العزيز بن محمد بن الصديق غفر الله له ورحمه: "قد قرأ عليًّا كتاب (النخبة) في مصطلح الحديث الأخ الفاضل المقبول على العلم والاشتغال به السيد أحمد منصور قرطام الفلسطيني الأصل اللبناني المولد القاطن بتونس في هذه السنين الأخيرة تولاه الله تعالى ونفع به بالعلم وجعله من العاملين به، إنه سميعٌ مجيبٌ، وقد أجزته بالرواية عني بما أرويه عن شيوخي المذكورين في (فتح العزيز) تأليف الشيخ محمود سعيد مدوح المصري، كما أجزته بالطريقة الصديقية الشاذلية وأذنته بتلقينها للإخوان الصالحين، والحمد لله رب العالمين".

وقال أيضاً في إجازته على كتاب نبراس الأتقياء ودليل الأتقياء:

"فقد أجزت الأخ الفاضل الصالح البركة السيد أحمد بن منصور بجميع الأحزاب المذكورة في هذا المجموع".

والله ورسوله أعلم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، والصلاه والسلام
على جَدِّ الحسين والحسين وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه واستنّ.
أما بعد،»

بين يدي القاريء

عملنا في الكتاب، عدم إثقال الهامش بالتعليقات على أن أبذل الوع واجهد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً في إحالة القول إلى قائله إن كنت ناقلاً وأحياناً أتصرف في بعض العبارات وذلك من أجل تسهيل الفهم على طالب العلم مع علمي مسبقاً أن ذلك التصرف لا يخفى على المشتغلين بعلم التوحيد وعند رجوعهم للمصدر الذي نقلت منه يعلمون ذلك المراد الذي قصدت منه ذلك التصرف كما لا يخفى على طلبة العلم أنني لم أثقل الكتاب بالفهارس مثل فهرس الآيات وفهرس الأحاديث وفهرس الأشعار وغيرها من الفهارس كما يفعل غالب المعاصرين ليزداد حجم الكتاب لذلك خرجت آيات القرآن الكريم في محلها عند ذكر الآية وكذلك فعلت عند تحرير الأحاديث ونقل الأشعار وأقوال العلماء، وهذا هو الأسلوب المتعارف عليه والذي كان متبعاً بين أهل العلم إلى وقت قريب، وهكذا في بقية الكتاب، والمرجو من كل ناظر في هذا الكتاب أن ينظر بعين الإنصاف فإن وافقه بذلك فضل الله وإن خالفه فيما يحمل فعليه أن يكون مُنصِّفاً عند رده على الكتاب وكاتبه، على أن يبين محل النقد وأن يكون نقاده مُفسراً ومُوضحاً لعلة النقد وإلا كلامه مردود عليه ولا عبرة به وهو كالعبث في محل طلب الحجة ورحم الله القائل:

إِنْ تَجِدْ عِيْبَ أَفْسَدَ الْخَلَلَ

جَلَّ مِنْ لَا يُعَيْبُ فِيهِ وَعَلَا

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي حَرْزِ الْأَمَانِيِّ وَوْجَهُ التَّهَانِيِّ:

وَإِنْ كَانَ خَرْقُ فَادِرِكُ لَهُ بِقَضَائِلَةٍ

مِنَ الْحَلْمِ وَلِيُضْلِلْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَةً

وَالْكَمَالُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَمَا ثَبَتَ فِي غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ قَابِلُ لِلنَّقْدِ، أَمَّا فِي السُّنَّةِ وَالْأَحَادِيثِ فَالنَّقْدُ يَكُونُ فِي السُّنَّةِ وَرِجَالِ السُّنَّةِ وَكَذَلِكَ يَدْخُلُ النَّقْدُ فِي الْمُتَنَّ إِذَا مَا كَانَ مُخَالِفًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَصَدَقَ الْوَاقِعُ، وَالتَّارِيخُ الصَّحِيحُ، وَقَدْ أَلْفَ فِي ذَلِكَ الْعُلَمَاءَ كَتَبَ الْجَرْحَ وَالْتَّعْدِيلَ وَكَذَلِكَ كَتَبَ الْأَحَادِيثَ الشَّاذَةَ وَالْمُوْضِوَّةَ وَالْمَرْدُوَّةَ فَلَيْرَاجِعُهَا مِنْ يَشَاءُ.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَهُوَ مِنْ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ أَنْ صَنَفَ وَأَلْفَ وَشَرَحَ، فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ الْبُوَيْطِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: "لَقَدْ أَلَفْتُ هَذِهِ الْكُتُبَ وَلَمْ آلَ فِيهَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا الْخَطَأُ، أَبْنَى اللَّهُ أَنْ يَصْحَّ إِلَّا كِتَابُهُ"، وَلَلَّهُ دُرُّ مَنْ قَالَ:

كَمْ مِنْ كِتَابٍ تَصَفَّحْتُهُ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَصْلَحْتُهُ

حَقَّ إِذَا طَالَعْتُهُ ثَانِيًّاً وَجَدْتُ تَصْحِيفًا فَصَحَّحْتُهُ

وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ، الْمُسْتَحِقُ لِنِهايَةِ التَّعْظِيمِ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الْمُتَقَدِّسُ فِي عَظَمَتِهِ، الْمُنْفَرِدُ فِي جَلَالِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَهُ وَاحِدُ الْوُجُودِ الْقَدِيمُ الْبَاقِي عَلَى الدَّوَامِ، عِلْمُهُ مُحِيطٌ وَفَضْلُهُ عَظِيمٌ، قُدْرَتُهُ أَزْلِيَّةٌ أَبْدِيَّةٌ، مُتَّرَّهُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِيَّةِ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ خَيْرٌ مِنْ ارْتَقَى بِعِلْمِ التَّوْحِيدِ فَعَلَّمَهُ وَبَيَّنَهُ وَأَظْهَرَهُ لِلإِنْسِنِ وَالْجِنِّ، وَآلِ بَيْتِهِ حَامِلِيُّ لَوَائِهِ وَالسَّائِرِينَ عَلَى مِنْوَاهِهِ، مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ سَفِينَةٍ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَّكَ، وَصَاحِبُهُ الطَّيِّبُينَ الظَّاهِرِينَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالذِّينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،،

فَإِنْ نَعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا تَخْصِي، فَمِنْ أَعْظَمُهَا نِعْمَةُ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ ضِيَاءُ فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَفْضَلُهُ عَلَى الإِطْلَاقِ عِلْمُ أَصْوَلِ الدِّينِ ثُمَّ يَدَانِيهِ عِلْمُ الْفَقَهِ أَوِ الشَّرَائِعِ وَالْجَامِعُ لِهَذِينِ الْعُلَمَاءِ بِمِنْزِلَةِ عَوْفِيٍّ فِي بَدْنِهِ وَتَنَاوِلِ مَا يَوَافِقُهُ مِنْ أَغْذِيَتِهِ، وَالْعَادِمُ لِهِمَا جَمِيعًا بِمِنْزِلَةِ دُونِ صِحَّةِ الْبَدْنِ وَمَا وَافَقَهُ مِنِ الْغَذَاءِ، وَالْمُقْتَصِرُ عَلَى عِلْمِ الْأَصْوَلِ مِثْلُ صَحِيحِ الْبَدْنِ عَدِيمِ الْغَذَاءِ، وَأَمَّا الْمُشْتَغلُ بِعِلْمِ فَرَوْعِ الْفَقَهِ دُونِ أَصْوَلِ الدِّينِ فَهُوَ مِثْلُ سَقِيمِ الْبَدْنِ كَثِيرُ الْأَغْذِيَةِ لَا يَنْتَفِعُ مِنْهَا أَبَدًا، وَهِيَ فَرُوقٌ وَاضِحَّ ظَاهِرَةٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا اثْنَانٌ وَلَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَزْرَانٌ، فَرَغِبَ إِلَيَّ مِنْ أَحَبِّهِمْ

قلبي أن أجعل لهم مختصراً في أصول الدين، جاماً للعبارة، واضح الدليل والإشارة، مناسباً لما عليه الزمان، بطريقة مرضية تجمع بين الكتاب والسنة والأدلة العقلية، مستأنساً بأقوال الأولئ ومن على نهجهم سائر، ومحكماً للإجماع المعتبر، لا قول سواه من غير وَحْضَرَ، وهذا سبب كتابة هذا الكتاب، الذي نعتقد فيه أنه صغير الحجم كثيرون النفع من نظر إليه بعين الإنصاف، لما فيه من الإشارات المهمة، والقواعد الأصولية الجامحة، والحديثية النافعة، في شرح وبيان هذا العلم الجليل، بأسلوب سهل مبسط، بعيد عن التعقيد والتطويل، يستفيد منه المقتضى ولا يستغني عنه المجتهد، ويسترشد به المبتدئ، ويحتاج له كل منتهي.

وقد وضع الأولئ شروطاً للتأليف، لم يلتزم بها كثيرٌ من تصدر مثل هذا الأمر، فقالوا¹: "لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يصح التأليف في غيرها، وهي: إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه ويبتكره وهو أصل التأليف، أو شيء ناقص يتتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيبينه، أو شيء مفرق يجمعه"، ودون

1- القائل هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عطية الشفداري الشاوي الشرجي اليماني الحسيني الشافعي المعروف بابن المقرئ، وكان مولده 745 هجري الموافق 1353 رومي، في كتابه الشرف الوفي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي.

ذلك فكتاب جلال الدين السيوطي الشافعي ينادي على كاسد السوق بكتابه (الفارق بين المصنف والسارق) "فتدرك وتأمل وتحقق ولا تكون إمعة"^١ ولكن يبقى سؤال حقيق لطالب العلم أن يسأله وهو أين يقع كتابكم من ذلك؟ فالحق أننا لم نأت بشيء جديد غير معهود من قبل، فكل ما نستدل به من أقوال الفضل يعود فيه لأهله ويشرفنا نقله وتعظيم نسبته لهم، إذ لو لاهم لما كنا ولا رحنا ولا جئنا، ولكن ما ننسبه لأنفسنا وبكل تواضع مع الاعتراف والإقرار لكل من علمنا ومن كان له فضل علينا من أسيادنا، أننا أتينا بأسلوب غير مسبوق من قبل، وذلك بعد تعريف المسألة اصطلاحاً تُتبع ذلك بدليل من الكتاب ثم من السنة المشرفة ثم الإجماع ثم قول عالم معتبر ثم بالدليل العقلي ثم ببيت من الشعر يختصر كل ما سبق بأسلوب لطيف يسهل به الفهم والحفظ معاً، والله من وراء القصد.



1- عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)" رواه الترمذى.

مبادئ علم التوحيد

إن لكل علم من العلوم الكريمة عشرة مبادئ، بها يعرف، وبها يبتداً، وقد جمع تلك المبادئ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد المقرى التلمساني المالكي رحمه الله، فقال^(١):

علمًا بجهده و موضوع تلا	مَنْ رَامَ فَنَّا فَلِيُقَدِّمْ أَوْلَا
منه وفضله وحكمه يعتمد	ووَاضِعٌ وِنْسَبَةٌ وَمَا اسْتَمْدَ
فتلك عشرة للمفنى وسائل	وَاسِمٍ وَمَا أَفَادَ وَالْمَسَائِلُ
ومَنْ يَكُنْ يَدْرِي جَمِيعَهَا انتصَرْ	وَبَعْضُهُمْ مِنْهَا عَلَى الْبَعْضِ اقْتَصَرْ

• حدّهُ:

اصطلاحاً: هو علم يبحث فيه عما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى، كذلك في حق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وعن المكانت من حيث الإستدلال بها على وجود صانعها، وعن السمعيات من حيث اعتقادها، وذلك من الأدلة اليقينية المكتسبة من الكتاب والسنة والإجماع وشاهد العقل، والتي تؤدي إلى الجزم المطابق للواقع عن دليل.

(١) هذه الآيات للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقرى التلمساني المالكي المتوفى سنة 1041 هجري، وقد اقتبس منها الإمام أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي المتوفى سنة 1206 هجري أبياته المعروفة.

● موضوعه:

هو ذات الله سبحانه وتعالى، وصفاته، وذوات الأنبياء ورسله عليهم الصلاة والسلام، من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز، والسمعيات من حيث الإستدلال عليها وبيان وجوب اعتقادها والتصديق بها كالملائكة والجن ونعم القبر وعدايه وحقيقة البرزخ والبعث والنشر والحضر والجنة والنار وما أشبه ذلك من الأمور الغيبية التي لا ندركها بحواسنا.

● مرتبة:

هو معرفة حق الله تعالى وحق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بالبراهين القطعية التي تؤدي إلى صحة العبادة والفوز بالسعادة الأبدية وعدم الخلود في النار بسبب المعتقدات الرديئة.

● فضله:

هو أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق لكونه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات، وبالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وهم أشرف خلقه، والعلم تابع لمعلومه في الشرف، وقد جاءت الرسل بالتوحيد من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالكل أرسل لحكمة واحدة هي تعليم الناس توحيد الله تعالى واعتقاد اتصفه بسائر صفات الكمال، وتتنزهه عن سائر صفات النقص.

● نسبة:

هو أصل العلوم الشرعية وما سواه فرع عنه، لما رواه البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلٍ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ:

(إيمان بالله ورسوله)، وما رواه ابن ماجه في سننه عن جنديب بن عبد الله قال: (كُنَّا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَازَوْرَةً، فَتَعَلَّمَنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمَنَا الْقُرْآنَ فَأَزَدْدَنَا بِهِ إِيمَانًا، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمُوا الإِيمَانَ)، وقال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في (الفقه الأبسط): "اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام" اهـ. ومراده بالفقه في الدين علم التوحيد، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: " أحكمنا ذلك قبل هذا" اهـ. أي علم التوحيد قبل علم الأحكام، رواه ابن عساكر.

قال الإمام الأستاذ أبو عبد الله محمد بن مجاهد الطائي البصري رحمه الله:

أَيَّهَا الْمُفْتَدِي لِي طُلُبَ عِلْمًا كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الْكَلَامِ
تَطْلُبُ الْفِقْهَ كَيْ تُصْحَحَ حُكْمًا ثُمَّ أَغْفَلْتُ مُنْزَلَ الْأَحْكَامِ
• واضِعُهُ:

هو من قبيل المولى سبحانه وتعالى، فقد أنزله في كتابه العزيز مبيناً العقائد، ذاكراً النبوات والسمعيات، راداً على شبه المبطلين والمنكريين، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ "الأنبياء": 22ـ هذا دليل على الوحدانية، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ "البقرة": 23ـ وهذا دليل على النبوة، قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحِيِّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً﴾ "يس": 79ـ وهذا دليل على البعث والنشر، وقد بين كل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه.

فكان أول من تكلم ووضع أسس علم التوحيد من الصحابة هو إمام التوحيد ومصباح التفرييد سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمناظرته الخوارج في

مسائل الوعد والوعيد ومناظرته القدرية في القضاء والقدر والمشيئة والاستطاعة القائل: "إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يُبَدِّ مِمَّا، وَلَا مُمَازِجٌ مَعَ مَا، وَلَا حَالٌ وَهَمَا، وَلَا شَبَحٌ يَنْقَضِي"، ثم تلميذه سيدنا عبد الله بن عباس في رده على خوارج الحرورية، وسيدنا عبد الله بن عمر في رده على القدرية وبراءته منهم، وأول متكلمي أهل السنة من التابعين سيدنا زين العابدين عليه السلام كما في كتابه (الصحيفة السجادية) وإن كان غالب ما فيها أدعية ولكنها كلها في تنزيه الله القائل: "الْأَوَّلُ بِلَا زَوَالٍ، وَالدَّائِمُ بِلَا فَنَاءٍ، وَالْقَائِمُ بِلَا عَنَاءٍ، وَالْمُؤْمِنُ¹ بِلَا نِهَايَةٍ وَالْمُبْدِئُ بِلَا أَمْدٍ، وَالصَّانِعُ بِلَا أَحَدٍ، وَالرَّبُّ بِلَا شَرِيكٍ، وَالْفَاطِرُ بِلَا كُلْفَةٍ، وَالْفَعَالُ بِلَا عَجْزٍ، سُبْحَانَكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، لَا يَحْوِيكَ مَكَانٌ، لَا تُخْسُ، وَلَا تُمَسْ"، ثم سيدنا الحسن البصري، ثم سيدنا عمر بن عبد العزيز، ثم سيدنا زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام في مناظرته للروافض، وبعد هذه الطبقة جاء الإمام جعفر الصادق عليه السلام القائل: "مَنْ رَأَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ، أَوْ مَنْ شَيْءٌ أَوْ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَشَرَكَ إِذْ لَوْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولاً، وَلَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْصُورًا، وَلَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مُحْدَثًا"، ومن بعده تلميذه الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله القائل: "لَوْلَا السَّنْتَانَ لَهُكَ النَّعْمَان" وهم السنتان اللتان جلسهما بين يدي الإمام جعفر الصادق عليه السلام فألف فيه (الفقه الأكبر)، و(العالم والمتعلم) و(الوصية) و(الفقه الأبسط) ونظر فرق الخوارج والقدرية في قعر دارهم فسافر إليهم نيفاً وعشرين مرة، ثم

1- قال القرطبي في تفسيره: "المؤمن" أي المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب.

الإمام مالك رحمه الله وله رسالة في القدر، ثم الإمام الشافعي رحمه الله في رده على حفص المنفرد، وله كتاب (القياس) رد فيه على من قال بقدم العالم من المحدثين، وقد صنف سيد المحدثين في زمانه الإمام البخاري كتاب (خلق أفعال العباد)، ومن متكلمي أهل السنة أيام المؤمن عبد الله بن سعيد التميمي، ومن تلامذته الإمام الجنيد شيخ الصوفية وإمام الموحدين، ثم بعدهم شيخا الناظر وإماما الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري وأبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، فهذه با هذا العلم وألفا فيه المصنفات العجيبة التي أبهرت العقول وأذاعت لها الفحول.

• اسميه:

- علم التوحيد: لأن مبحث التوحيد أشرف مباحثه التي تؤدي إلى توحيد الخالق عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله.
- علم الصفات: لأن أهل السنة أثبتوا به صفات الله الجليلة حتى صار علماء أهل السنة يلقبون بالصفاتية.
- علم أصول الدين: لأنه أصل كل العلوم، فهو يغنى عما سواه، وكل ما سواه تبع له ولا يغنى عنه.
- علم الكلام: لأنه به جرى الكلام بين علماء أهل السنة ومن سواهم من فرق أهل البدع والأهواء، فردوا به عليهم.
- علم العقائد: لأنه من قبيل عقد الشيء على الشيء إذا ما تمكّن منه.
- الفقه الأكبر: لأنه مدار الإيمان ومبني صحة الأركان ومعنى غاية الإحسان.

• استمداده:

هو مستمد من الأدلة اليقينية المكتسبة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإجماع وشاهد العقل.

• حكمه:

تعلمـه واجـب عـلـى كـل مـكـفـ، وجـوبـاً عـيـنـياً فـيـما يـتـعلـق بـالـدـلـلـ الإـجمـالـيـ، وجـوبـاً كـفـائـياً فـيـما يـتـعلـق بـالـدـلـلـ التـفـصـيلـيـ، قال تـعـالـيـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ "محمد: 19" وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَتَقَاءُكُمْ لَهُ)" رواه الحاكم في المستدرك".

• مسائله:

تـحصر مـسـائـلـهـ فـي ثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ:

- إلهيات: وهي الأحكام التي تجب على المكلف معرفتها في حق الله تعالى من حيث ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز.
- رسليات: وهي الأحكام التي تجب على المكلف معرفتها في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث إثبات النبوة لهم أولاً، ثم ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز في حقهم.
- سمعيات: وهي ما دل عليها النقل فقط، ولا مدخل للعقل فيها كالملائكة والجـنـ وـنـعـيمـ الـقـبـرـ وـعـذـابـهـ وـحـقـيـقـةـ الـبـرـزـخـ وـالـبـعـثـ وـالـحـشـرـ وـالـنـشـرـ وـالـجـنـةـ وـالـنـارـ وـغـيـرـهـ.



فصل في الحكم وأقسامه

الحكم اصطلاحاً: هو مطلق إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعلقي وعادي.

أولاً: الحكم الشرعي: هو ما يعرف من طريق الشرع كقولنا في الإثبات "صيام شهر رمضان فرض" وفي النفي "صيام يوم عرفة ليس بفرض". وينقسم إلى قسمين: تكليفي ووضعي.

▪ **الحكم التكليفي اصطلاحاً**: هو خطاب الله التنجيري المتعلق بأفعال المكلفين من فعل أو ترك وكان للمكلف دخل في تحصيله كوجوب الصلوات الخمس، أو الندب كصلوة النافلة، أو التحرير كشرب الخمر، أو الكراهة كصيام النافلة يوم الجمعة منفرداً، أو الإباحة كالأكل والشرب.

المكلف شرعاً: هو البالغ العاقل الذي وصلته دعوة الإسلام وكان حالياً من المانع.

▪ **الحكم الوضعي اصطلاحاً**: ويسمى بخطاب الوضع؛ لأن الواقع له هو الله سبحانه وتعالى وليس للمكلف دخل في تحصيله ولا بوجه من الوجه، مثل دخول أوقات الصلاة، ودخول شهر رمضان، والبلوغ عند الرجال والنساء وهكذا في كل ما كان سبباً أو شرطاً أو مانعاً فيقال له خطاب وضع.

أقسام الحكم الشرعي خمسة وهي:

- **الواجب أو الفرض**: وهو ما يثبت فاعله ويأثم تاركه كالصلوات الخمس.
- **السنة أو المندوب أو المستحب**: وهو ما يثبت فاعله ولا يأثم تاركه، وإنما يفوته أجر كبير، كصلوات النوافل، وصيام الأيام المستحبة، والصدقات وغيرها.

- **الحرام:** وهو ما يأثم فاعله ويثاب تاركه امثلاً لأمر الله تعالى، كالربا وعقوق الوالدين وشرب الخمر.
- **المكروه:** وهو ما لا يأثم فاعله، ويثاب تاركه امثلاً لأمر الله تعالى، كلطم الوجه بالماء أثناء الوضوء، واستعمال الماء المشمس مع وجود غيره، وصيام يوم الجمعة نافلةً منفرداً.
- **المباح:** وهو ما لا ثواب فيه ولا عقاب لذاته كالأكل والشرب واللباس وغيرها، لكن قد يدركه الشواب إن كان الأكل بنية التقوى على العبادة، وقد ينقلب حراماً كلبس الشياطين من أجل التكبر على الناس وكسر قلوبهم.
قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله في منظومة (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين):

أَقْسَامُ حُكْمِ الشَّرْعِ خَمْسَةُ ثَرَامٍ فَرْضٌ وَنَدْبٌ وَكَرَاهَةٌ حَرَامٌ
ثُمَّ إِبَاحَةٌ فَمَأْمُورٌ جُزِيمٌ فَرْضٌ وَدُونَ الْجُزْمِ مَنْدُوبٌ وُسُمٌ
ذُو الثَّهِيِّ مَكْرُوهٌ وَمَعْ حَثْمٍ حَرَامٌ مَأْذُونٌ وَجَهِيَّهُ مُبَاخٌ ذَا تَمَامٌ

أقسام الحكم الوضعي ثلاثة:

1. **السبب:** هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته.
مثاله: دخول الوقت، فدخول وقت الصلاة سبب لوجود وجوب حكم الصلاة،
وعدم دخول الوقت سبب لعدم وجوب حكم الصلاة.
2. **الشرط:** هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود ولا العدم لذاته.

مثاله: العقل، فبعدم وجود العقل تنعدم صحة الصلاة، ولا يلزم من وجود العقل وجوب صحة الصلاة وذلك لعلة أخرى كالحيض والنفس.

3. المانع: هو ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه الوجود ولا العدم لذاته.

مثاله: الحيض، فمع وجود الحيض عدم وجوب الصلاة، ولا يلزم من عدم وجود الحيض وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، وذلك لعلة أخرى كالجنون.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الْحُكْمُ فِي الشَّرْعِ خَطَابُ رَبِّنَا
 الْمُقْتَضِي فِي عَلَى الْمُكَلَّفِ افْتُنَّا
 بِطَلَابٍ أُوْزِنَ أُوْبَوْضَعَ
 لِسَبَبٍ أُوْشَرِطٍ أُوْذِي مَذْعُونًا

ثانياً: الحكم العادي:

وهو ما يعرف من خلال التجربة والعادة، كأكل الصبار على الريق يسبب القبض والإمساك وأكله إثر الطعام يلين المعدة، وأن مادة البنج تحدِّر الآدمي، وأن أكل الفول يثقل البدن، فكل ذلك عرف من خلال التجربة والعادة.

فائدة

العقل تعريفه، ومكانته في التشريع

- العقل: هو جوهر لطيف به تدرك المحسوسات بالمشاهدات والغائبات بالوسائل، خلقه الله في القلب وجعل نوره في الدماغ، قاله إمام الحرمين الجويني،

وقال الراغب الأصفهاني أو الأصبهاني: هو قوة مهياً لقبول العلم، وقال أبو إسحاق الشيرازي: هو قوة يقع بها التمييز بين الحسن والقبيح، وسمي العقل عقلاً؛ لأنَّه يعقل صاحبه عن سوء السبيل، ولأجل هذا أوجب العلماء على المكلف أن يميز بين الواجب العقلي والمستحيل العقلي والجائز العقلي، ومن لم يميز بين هذه الثلاثة وإن كان عند الناس عاقلاً فهو عند الله ليس بعاقل، مع وجوب العلم بأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة، إلا إذا نبه عليها الشرع ولأن العقل شاهدٌ من شواهد الشرع متأخر عنه في التعقل الذهني وتصور المراد وقاصرٌ أحياناً عن تصور مقاصده؛ ولأن الشرع لا يأتي إلا بما يُجيزه العقل، وهو معنى قوله: "لا تكليف إلا بعقل"، ومصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (رُفعَ الْقَلْمُ عَنْ ثَلَاثَةِ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَقِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّيِّيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ) رواه أبو داود وأحمد والحاكم عن علي وعمر رضي الله عنهم وبمعناه عند النسائي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

وأشد بعضهم:

ما وهب الله لامرئ من هبه أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدْبَهِ
وابتداءُ وجوده في الإنسان عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكون بداية
كماله مع البلوغ، ونهاية كماله مع الأربعين سنةً في الغالب لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أُوْزِعْنِي أَنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَيَّ
وَالِّدِيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي ثُبُتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ

الْمُسْلِمِينَ ﴿الْأَحْقَافِ: ١٥﴾ وَمَحْلُهُ الْقَلْبُ عَلَى الْمَشْهُورِ، قَالَ ابْنُ زَكْرِيَّا مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فِي
(مُحَصِّلُ الْمَقَاصِدِ):

مَحْلُهُ الْقَلْبُ عَلَى الْمَشْهُورِ لِلْوَحِيِّ وَهُوَ مَذْهَبُ الْجَمْهُورِ
وَفِي الدِّمَاغِ قَالَ جَلُّ الْحُكْمَاءِ بِقَوْلِهِمْ قَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ﴿الْأَعْرَافِ: ١٧٩﴾، وَهُوَ أَفْضَلُ مَا
مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَذَلِكَ لِحَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ) إِلَى أَنْ قَالَ: (أَلَا وَإِنَّ
فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ
الْقُلْبُ) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَهُوَ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ لِسُرْعَةِ الْخَوَاطِرِ فِيهِ وَتَرْدِدُهَا
عَلَيْهِ، وَأَنْشَدَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

مَا سَمِيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقْلِبِهِ فَاحْذِرْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلٍ
وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ سَبَّاحَهُ وَتَعَالَى هَذَا الْعَضْوُ فِي جَنْسِ الْحَيَّاتِ وَأَوْدَعَ فِيهِ تَنْظِيمَ
الْمَصَالِحِ الْمَقصُودَةِ، فَتَجِدُ الْبَهَائِمَ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا تَدْرِكُ بِهِ مَصَالِحَهَا وَتَمْيِيزَ
مَضَارِهَا مِنْ مَنَافِعِهَا، ثُمَّ خَصَّ اللَّهُ سَبَّاحَهُ وَتَعَالَى نَوْعُ الْإِنْسَانِ مِنْ سَائرِ الْحَيَّاتِ
وَجَعَلَهُ فِيهِ قَلْبًا عَاقِلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ﴿الْإِسْرَاءِ: ٧٠﴾ أَيْ بِالْعُقْلِ
وَأَضَافَهُ إِلَى الْقَلْبِ لِلْآيَةِ وَالْحَدِيثِ السَّابِقِيْنِ وَقَدْ جَعَلَتِهِ كُلُّ الشَّرَائِعِ مِنَ الْكَلِيَّاتِ
الْخَمْسِ الَّتِي يَحْرِمُ الْمَسَاسُ بِهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْجَوَارِحَ مَسْخِرَةً لَهُ وَمَطْيِعَةً، فَمَا اسْتَقَرَ
فِيهِ ظَهَرَ عَلَيْهَا وَعَمِلَتْ عَلَى مَعْنَاهُ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًا فَشَرٌّ، فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا ظَهَرَ

لَكَ مَعْنَى قُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَعَّةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقُلْبُ) الْحَدِيثُ.

- مَكَانَتُهُ فِي التَّشْرِيعِ: مَا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ لَنَا وَبِبَالِغِ حَكْمَتِهِ وَجُوبِ الاعتْبَارِ مِنْ خَلَالِ النَّظَرِ وَالْتَّفَكُّرِ مَا وَقَعَ لِلْأَمْمَ السَّالِفَةِ، وَكَذَلِكَ مَا قَصَهُ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ مِنْ لِدْنِ سَيِّدِنَا آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ وَأُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ مَرَوِرًا بِبَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ مِنَ الرَّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى قَدْوَمِ سَيِّدِنَا وَمُولَانَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا وَقَعَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مَعَ قَوْمِهِ وَأَمْرَنَا بِالْتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي حَالِهِمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأًا نُوحٍ﴾^{يُونُس: 71}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصَصِ﴾^{يُوسُف: 3}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ أَمْنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى﴾^{الْكَهْف: 13} وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَقَامِ كَثِيرَةٌ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي قَوْمِهِ تَدْعُوا إِلَى التَّفَكُّرِ وَالاعتْبَارِ.

وَكَذَلِكَ أَمْرَنَا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى وَجُودِ خَالِقٍ لَا يُشَبِّهُ الْمَخْلوقَاتِ وَصَانِعَ لَا يُشَبِّهُ الْمَصْنُوعَاتِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^{الْبَقْرَة: 164}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ﴾^{آل عمران: 190}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^{آل عمران: 191}، وَآيَاتٍ

التفكير والاعتبار كثيرة وكثيرة جداً، واستنبط لنا العلماء من هذه الآيات قاعدة وهي أن كل متغير حادث وكل حادث لا بد له من محدث، فلزم أن يكون هناك محدث لا يشبه المحدثات هو الله، وكذلك بين لنا المولى سبحانه وتعالى وأمرنا أن نتفكر في الطور الإنساني قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُظْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: 14-12، وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات: 21-20، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام: 50، وكذلك أمرنا بالتفكير في بقية الحيوانات التي جعلها لنا ولما ياشنا وحلنا وترحالنا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً﴾ النحل: 66، وقال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيِّبِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: 7، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: 14، وهكذا أمرنا سبحانه وتعالى بالتفكير في كل شيء نلمسه في حياتنا وذلك مما امتن به علينا المولى سبحانه لكي نتوصل لحسن شكره وعبادته وتقديسه وتوحيده قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرُوكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: 7، وهذا في الكتاب العزيز والسنة المطهرة تقاد لا تخلوا منه آية ولا حديث، فآيات القرآن 6236 آية منها خمسين آية في الأحكام على وفق ما قاله ابن الجوزي والباقي في العبر والتفكير والقصص والتوحيد.

ولكن ما نريده في هذا المقام هو المكانة التي يستقل بها العقل في الاستنباط أحياناً ومتي يكون واجب العقل هو البحث في معرفة المراد من الدليل، ومتي يجب على العقل التسليم للدليل مطلقاً والانقياد له، وما لا شك فيه أن التشريع الإسلامي كبقية الشرائع أعطى للعقل مجالاً واسعاً من أجل فهم المراد من الآيات والأحاديث الشريفة ولكن ظهرت بعض الفرق فبالغت في استعمال العقل حتى خرجت به عن المأثور فأولت كل شيء حتى إنها أنكرت الرؤية في الآخرة سُمِّوا بالمعطلة، وهناك من الفرق من أهملت العقل إهتماماً شبه مطلق فوافقت في التشبيه والتجمسي في صفات الله وكذلك حملت غالب الأدلة في الفروع على ظاهرها فأباحت دماء المؤمنين وأموالهم وسي نسائهم حتى قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بذلك الفهم السقيم وهؤلاء سُمِّوا بالمشبهة والمجسمة، وهناك فرق كثيرة بالغت في الغلو إما إهتماماً للعقل وإما إفراطاً في استعماله، وأما أهل الحق الذين هم أهل على معنى الحقيقة والبيان وليس على معنى الادعاء والخذلان فهم بين طرفي نقىض من كلتا الفرقتين فلم يعطلا ولم يشبهوا بل سلموا وفوضوا أحياناً وأولوا أحياناً أخرى وفق ما يليق بالتنزيه في العقائد مستمددين ذلك مما جاء في الكتاب والسنة وفهم الصحابة، أما في الأحكام فقد توافقوا مع الدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة والمعبر عنه بتصريح اللفظ صريح المعنى كتاباً وسنةً وما هو مجمع عليه وفقاً للقواعد الأصولية والفقهية والمصطلحات الحديثة وغيرها من المصطلحات التي تؤدي بمجموعها إلى ما هو أقرب إلى الصواب كآيات المواريث والصلوات الخمس والصوم والزكاة والحج وغيرها من الأحكام، أما التسليم المطلق من غير إعمالٍ للعقل فيه فيكون العمل به متعيناً في كل ما كان من قبيل الغيبيات

والسمعيات كالجنة والنار والحضر والبعث وغير ذلك مما لا مدخل للعقل فيه ولا بوجهٍ من الوجوه إلا الانقياد والتسليم لأن ذلك خارج عن حد التصور.

ولكن تبقى هناك جزئية مهمة لا يمكن أن نتوصل بها إلى فهم المراد من الدليل أو النص إلا بإعمال العقل، والعقل فقط دون سواه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾²⁴ محمد:24 فهذه الآية حجة على كل من أنكر إعمال العقل في الاستنباط لا سيما في مثل قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرٌ﴾²⁵ إبراهيم:10 هذه الآية هي من قبيل الاستفهام الإنكاري، وفيها أنه لا بد من إثبات ذاتٍ موجودٍ ولكنه ليس بحجم لأن الجرم له طول وعرض ويأخذ مقدار حجمه من الفراغ وكذلك ليس بجواهر لأن الجواهر يعتريها التغير وإذا ما حلّت بغيرها تسمى أعراضًا فلزم ألا يكون عرضًا وعلىه نكون أثبتنا موجودًا ونرهناه عن الكيف وجواباً عقلياً وهو مأخوذٌ من التأمل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾²⁶ الشورى: 11، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾²⁷ مريم:65 وهذا من قبيل المحكم الذي يرد إليه كل متشابه حتى لا نقع في التناقض من تشبيهه أحياناً وتعطيله أحياناً أخرى، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾²⁸ الأنبياء:22، فهذا مما لا سبيل إلى فهمه إلا بإعمال العقل والذي يعبر عنه بدليل التمانع وافتراض العكس لإثبات المطلوب، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾²⁹ المؤمنون:91، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَيِّلًا﴾³⁰ الإسراء: 72، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَّاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

بصيراً، قال كذاك أتتكم آياتنا فنسنها وكذاك أليوم تنسى»^{طه: 124-126}، فالمعنى في الآيتين معناه الكفر لأن العذاب يكون بالحس والمعنى وعكسه النعيم وأما النسيان فمعناه الترك وهكذا في كل لفظ إذا حملناه على ظاهره يؤدي بنا إلى التناقض أو إلى معنى فاسد فلا بد من إعمال العقل فيه وفق الضوابط المقررة للوصول إلى المعنى المقصود، وكذلك حديث (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا) رواه مسلم، وجاء في حديث آخر عند الحاكم في المستدرك عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزواجه: (أَسْرَعُكُنَّ لَحُوقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا) قالت السيدة عائشة: "فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نمد أيدينا في الجدار نطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقـةـ فهذه الآيات والأحاديث ومثيلاتها يلزم تأويلها بإعمال العقل ضمن حدوده المعتبرة شرعاً لأنه لا يمكن تصورها بغير ذلك التأويل لأن القاعدة العامة تقول "إن الحكم على شيء فرع من تصوره" وبهذا يتضح لنا لزوم إعمال العقل في فهم التشريع، والمدار وال عبرة على ثبوت الدليل ولو مرة واحدة من غير تكرار، أما الآيات والأحاديث التي تقبل التأويل والتسليم والتفويض مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^{طه: 5}، وغيرها من الآيات، وكذلك مثل حديث أرواح الشهداء (أَرَوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ) رواه مسلم، والتي يجوز فيها كلا الوجهين أحدهما التأويل الذي يليق بالتنزيه مثل قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقٍ﴾^{القلم: 42}، فقال: يكشف عن شدة، فأول الساق بالشدة،

ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، والحافظ ابن جرير الطبرى في تفسيره، ثانيهما التسليم مع التفويض كما بينه الإمام الشافعى حيث قال: "آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله" رواه ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد، فهذا كله يصح فيه كلا الوجهين وقد ثبت التأويل والتسليم عن السلف والخلف وإن كان غالب على السلف التسليم وغلب على الخلف التأويل وذلك وفق ما تقتضيه المصلحة الشرعية من كلا الوجهين، وعليه لا يجوز لأحد أن يلزم أحداً بالتمسك بأحد الوجهين وإلغاء الآخر لأن كليهما صحيح ثابت كما بیناه.

ثالثاً: الحكم العقلي:

وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير تكرار ولا وضع واضح، مثل: معرفة الحساب والفيزياء والكيمياء وغيرها من النظريات فإن كل ذلك يعرف من خلال العقل.

وينقسم الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام: الواجب والمستحب والجائز، وكل قسم منها ينقسم إلى ضروري ونظري:

أولاً: الواجب العقلي الضروري: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه بالضرورة؛ لأنه لا يحتاج إلى نظر وبحث وتفكير وتأمل ولا يقبل الإنففاء في ذاته، ومثاله: كون الواحد نصف الإثنين، والتحيز للجسم وهوأخذ مقدار حجمه من الفراغ، ووجود العالم.

- **الواجب العقلي النظري**: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه، ولكن لا يعرف إلا بعد النظر والبحث والتأمل، ومثاله: كون الواحد ربع عشر الأربعين، وكون العالم حادثاً، وكون الله تعالى موجوداً.

ثانياً: المستحيل العقلي الضروري: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده بالضرورة، ولا يحتاج إلى النظر والبحث والتأمل، ومثاله: كون الواحد نصف الثلاثة، واجتماع الحركة والسكون في محل واحد، وعدم وجود العالم.

- **المستحيل العقلي النظري**: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده، ولكن لا يعرف إلا بعد البحث والتأمل، ومثاله: كون الواحد سدس الإثنى عشر فإن استحالته تحتاج إلى بحث وتأمل، وكذلك وجود شريك لله تعالى، وكون العالم قديم.

ثالثاً: الجائز العقلي الضروري: ويسمى بالممكן، وهو ما يقبل العقل ثبوته تارة وعدمه تارة أخرى، من غير بحث وتأمل وتفكير، ومثاله: الحركة والسكون في الأجسام، وكذا الصحة والمرض وجودنا الآن وفناونا فيما بعد، فكله مشاهد بالحس والمعنى ضرورة.

- **الجائز العقلي النظري**: وهو ما يقبل العقل ثبوته بعد البحث والتأمل والتدبر والتفكير، ومثاله: جواز إدخال الكافر الجنة وإدخال المؤمن الطائع النار، فإن العقل قد ينكر جواز هذا ابتداءً بل ويتوهمه مستحيلاً، ولكن بعد النظر في أن الأفعال كلها بالنسبة إليه تعالى سواء لا نفع له في طاعة، ولا ضرر ولا نقص يلحقه في معصية كفر؛ لأن الأصل في الأشياء أن المالك يتصرف في ملکه، وأن كل مخلوق ملك خالقه، يصرفه كيف شاء، فله تعالى أن يجعل المعصية علامه لدخول الجنة، وله كذلك أن يجعل الطاعة علامه لدخول النار، وهذا كله جائز عقلاً؛ لأنه من قبيل

تصرف المالك فيما يملك، ولا يقال فيه ظلم؛ لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير وجه حق، ولكن المالك امتن وتفضل بأن جعل الطاعة مع الإيمان علامة لدخول أهل الجنة، وبمحض عدله أن جعل الكفر علامة لخلود أهل النار في النار، وبيان حكمته أن جعل المعصية دون الكفر علامة على استحقاق العذاب من غير وجوب، لأنه سبحانه وتعالى فاعل بالإختيار، والمحتر له أن يعذب المستحق بمحض العدل وله أن يغفر عن مستحق العذاب بمحض الفضل، لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^{القصص: 68}، وقوله تعالى: ﴿لَا يُسَأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^{الأنبياء: 23}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾^{النساء: 48}.

تبنيه: قد يعرض للجائز الوجوب لإخبار الشرع بوجوبه فيسمى واجباً عرضياً، أو الإستحالة لإخبار الشرع بعدم وقوعه ويسمى المستحيل العرضي.

- الواجب العرضي: هو كل ما يستوي طرفي وجوده وعدمه عقلاً، مثل البقاء والفناء، وهكذا في الباقى فيعترضه عارض فيرجح كفة وجوب البقاء على كفة جوازه فيسمى واجباً عرضياً، مثاله: الجنة والنار، فالعقل يجوز فناءهما ويجوز بقاءهما؛ لأنهما من جملة الحوادث التي لم تكن موجودة ثم وجدت، لكن الذي خلقهما شاء لهما البقاء، فالذى رجح كفة وجوب بقاءهما على جوازه هو المشرع الحكيم، فانقلب حكم بقاءهما من الجواز إلى الوجوب فسمى واجباً عرضياً لا ذاتياً، وهكذا في كل ما هو جائز عقلاً إذا ما اعترضه عارض شرعى فيقلبه من الجائز إلى الواجب.

- المستحيل العرضي: هو كل ما يستوي طرفي عدمه وجوده عقلاً، مثل البقاء والبقاء، وهكذا في الباقى فيعترضه عارض فيرجح كفة استحالة البقاء على كفة جوازه

فيسمى مستحيلاً عرضياً، مثاله: اللوح والقلم، فالعقل يجوز فناءهما ويجوز بقاءهما؛ لأنهما من جملة المخلوقات التي لم تكن موجودة ثم وجدت، لكن الذي خلقهما شاء لهما عدم الفناء، فالذى رجح كفة استحالة فنائهما على جوازه هو المشرع الحكيم، فانقلب حكم جواز فنائهما إلى الاستحالة فسمى مستحيلاً عرضياً لا ذاتياً، وهكذا في كل ما هو جائز عقلاً إذا ما اعترضه عارض شرعى فيقلبه من الجائز إلى المستحيل.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَحُكْمُنَا الْعَقْلُيُّ قَضِيَّةٌ بِلَا وَقْفٍ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وَضْعٍ جَلَّ
 أَقْسَامُ مُقْتَضَاهُ بِالْحَصْرِ تُمَازُ وَهِيَ الْوَجُوبُ الْإِسْتِحَالَةُ الْجَوَازُ
 فَوَاجَبٌ لَا يَقْبُلُ التَّفْيِيقُ بِحَالٍ وَمَا أَبَى الشُّبُوتُ عَقْلًا الْمُحَالُ
 وَجَائزٌ مَا قَبِيلَ الْأَمْرَيْنِ سِمْ لِلْضَّرُورِيِّ وَالنَّظَرِيِّ كُلُّ قُسِّمٌ



فصلٌ

أول الواجبات

إن أول واجب على المكلف أن يعرف في حق الله تعالى الصفات التي أقيمت عليها الأدلة والبراهين القطعية من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي ثلاثة عشرة صفة: الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، مع وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى موصوف بكل كمالٍ يليق به، منزٍ عن كل نقص في حقه سبحانه وتعالى، وأن الله تعالى ليس محدوداً في حكمه، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَাইشِ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمِيهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي شَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)، في هذا الحديث دليلٌ على أن الله تعالى متصف بصفات لا نهاية لها، ولا يعلمها إلا الله تعالى.

الأدلة النقلية على وجوب اتصافه تعالى بكل كمالٍ يليق به:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُوسُ﴾ الحشر:23" ومعنى الْقُدُوس: المنزه عن كل نقص.
- من السُّنَّة المشرفة: الحديث السابق، عن أبي هريرة، عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: الحديث وفيه: (لَا أُحْصِي شَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) رواه مسلم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى موصوف بكل كمال يليق به منه عن كل نقص في حقه.
قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود".

الدليل العقلي على وجوب اتصفه تعالى بكل كمال يليق به: لو لم يجب له الكمال المطلق الذي يليق بذاته وصفاته وأفعاله، لجاز أن يتصرف بضدها، والإتصاف بضدها مستحيل، وما أدى إلى المستحيل، مستحيل، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه يجب أن يتصرف بالكمال المطلق.



فصل

في إطلاق الصفة

الصفة اصطلاحاً: هي معنى وجودي قائم بالذات دال عليه.

- 1- الصفات النفسية: هي صفة واحدة، اصطلاح على تسميتها بصفة الوجود.
- 2- الصفات السلبية: وسميت بالسلبية؛ لأنها تسلب من ذهن السامع عن موصوفها ما لا يليق به، واصطلاح على تسميتها القدم والبقاء والغنى المطلق أو القيام بالنفس والمخالفة للحوادث والوحدانية.
- 3- صفات المعاني: وهي المعنى الوجودي القائم بالموصوف، واصطلاح على تسميتها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجِدُ بُلُوغَ الْوُجُودِ وَدُولَةِ الْمُطْلَقِ عَنْ كَذَا الْبَقَاءِ وَالغِيَابِ الْمُطْلَقِ عَنْ مَوْلَانِهِ لِحَلْقِهِ بِلَا مِثْمَالٍ وَخُلْفُ الْمُطْلَقِ عَنْ مَوْلَانِهِ وَوَحْدَةِ الدَّارِيَّةِ وَوَصْلِ فِي الْفِعَالِ وَقُوَّةِ إِرَادَةِ عِلْمِ حَيَّةِ اهْدِيَّةِ كَلَامِ صَرُّ ذِي وَاجِهَةِ سَاعَةٍ



الصفات النفسية

وهي صفة واحدة تسمى بصفة الوجود

اصطِلَاحًا: هي صفة أزلية ثبوتية، يتصل بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى- دالة على نفس الذات دون معنٍ زائدٍ عليها، أي أن ذات الله موجود، ولا يعقل الذات إلا بها.

وهي واجبة لذاته تعالى من غير سبب ولا علة، أي أن وجوده سبحانه وتعالى أزلي أبدى مستمد من ذاته، لم يسبقها شيء من الأشياء، وأما وجود غيره فهو بإيجاده سبحانه وتعالى.

وهي أول صفة تحب في حقه سبحانه وتعالى في التعقل الذهني عندنا؛ لأنها لا يمكن إثبات بقية الصفات والواجبات إلا بعد ثبوتها، فهو سبحانه وتعالى ذات موصوف بصفات، ويجب اعتقاد أن وجوده سبحانه وتعالى ليس له بداية ولا نهاية، ولا سبب ولا علة، فهو موجود وما سواه موجود.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الوجود في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
إِبْرَاهِيم: 10 "وهو من قبيل الاستفهام الإنكارى على كل من شك بوجوده تعالى."
- من السنة المشرفة: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ)" رواه البخاري.
- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على إطلاق لفظ (الموجود) على ذاته سبحانه وتعالى.

قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله في كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً قادرًا عالماً، مُريداً سمياً، بصيراً، مُتكلماً على ما وصف به نفسه في كتابه وأخبرهم به رسوله، ودللت عليه أفعاله" اه، وقال أيضاً: "لما أجمعوا على وصفه بأنه قديم، لا ابتداء لوجوده، كان ذلك منهم إجماعاً على أنه موجود؛ لأنه لا يصح وصفه بالقدم إلا ما سبق وصفه بالوجود" اه.

سُئلَ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: بم عرفت ربك؟ فقال: "عرفته بما عرفني نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يُقاس بالقياس، ولا يُشبَّهُ بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال تخته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال أمامه شيء" اه (دفع شبهة من شبهه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، للإمام تقى الدين الحصيف الشافعى)

عن أبي هريرة مرفوعاً: (بينما رجلٌ مُسْتَلْقٍ ينظر إلى السماء وإلى النجوم، فقال: إني لأعلم أن لك خالقاً ورباً اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه، فغفر له) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، والدليسي في مسند الفردوس

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته" اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَكِبُّ لِلَّهِ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا الْبَقَاءُ وَالْغَنَى الْمُطْلَقُ عَمَّ

الدليل العقلي على وجوب صفة الوجود:

العالم حادث، ودليل حدوثه الحس والمشاهدة، وهو أجرام وأعراض، والأعراض حالة في الأجرام، وكل ذلك مُتغير بالحس والمشاهدة أيضاً، وكل مُتغير حادث، وكل حادث لا بد له من مُحدث، فلزم أن يكون هناك مُحدث لا يشبه المحدثات، أثر في إيجادها على عدمها وهو الله.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وُجُودُه لَهُ دَلِيلٌ قَاطِعٌ حَاجَةُ كُلِّ مُحْدِثٍ لِلصَّانِعِ
لَوْحَدَتْ بِنَفْسِهَا الْأَكْوَانُ لاجْتَمَعَ التَّسَاوِيُّ وَالرُّجْحَانُ
وَذَا مُحَالٌ وَحُدُوثُ الْعَالَمِ مِنْ حَدَثِ الْأَغْرَاضِ مَعْ تَلَازُمِ



الصفات السلبية

الصفات السلبية: سُمِيت سلبية؛ لأنها تَسْلُبُ من ذهن السامع ما لا يليق بالله تعالى من صفات النقص، وَتُبْقِي في ذهنه ما يليق بذاته العلية من صفات الكمال. وهي خمس صفات (القدم، البقاء، القيام بالنفس أو الغنى المطلق، المخالفة للحوادث، الوحدانية).

أولاًً: صفة "القدم"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتصرف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى – تسرب عنه سبحانه وتعالى الحدوث، وحقيقة صفة القدم: انتفاء العدم السابق لوجوده سبحانه وتعالى.

ويجب له تعالى القدم بمعنى الأزلية، لا بمعنى تقادم العهد والزمن؛ لأن الزمان مشتق من التغير، والله تعالى لا يجوز عليه حدوث التغيرات؛ لأن التغير دليل النقص والحدث، فاستحال أن يكون وجوده تعالى مقيداً بالزمان، وعلى هذا يجب علينا أن نعتقد أنه تعالى قديم قدماً ذاتياً؛ لأن القديم إذا أطلق على المولى سبحانه وتعالى كان المعنى أنه لا بداية لوجوده، وكونه لا بداية لوجوده فهو أزلي الوجود، أما إذا أطلق لفظ القديم أو الأزلي على المخلوق كان المراد تقادم العهد والزمن، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ حَتَّىٰ مَنَازِلَ عَادَ كَالْعُرْجُونَ الْقَدِيم﴾^{يس:39}، وقال الفيومي في المصباح المنير: "الهرمان بناءان أزليان في مصر" فالقدم والأزلية هنا بمعنى الشيء الذي مضى عليه زمن قديم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة القدم في حق الله سبحانه وتعالى:

- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾^{الحديد:3} أي أول بلا ابتداء.

- من السنة المشرفة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَنْتَ الْأَوَّلُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ) رواه الترمذى وأحمد والبخارى فى الأدب المفرد، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوْجُوهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) رواه أبو داود، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)، فَذَكَرَهَا وَعَدَّ مِنْهَا: (**الْقَدِيمُ**) رواه ابن ماجه والبيهقي فى الأسماء والصفات.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصف بالقدمة، فلم يسبق ذاته العلية العدم.

قال الإمام المحدث **مُرْتَضَى الزبيدي** رحمه الله في كتاب (إتحاف السادة المتدين) ما نصه: "قد أجمع أهل الحق على وصفه سبحانه وتعالى بالقدمة" اهـ
وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما نصه: "إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَبْدُ مِمَّا" رواه أبو نعيم في الحلية، وقال حفيده زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده" اهـ، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الكبير) ما نصه: "وصفاته تعالى في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة" اهـ، وقال الإمام أحمد بن سلمة الطحاوي رحمه الله في **عَقِيَّدَتِهِ الْمُسَمَّةِ** (**بَيَانُ عَقِيَّدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) ما نصه: "قديم بلا ابتداء" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
يَحِبُّ لِلَّهِ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ كَذَا الْبَقَاءُ وَالغِنَى الْمُطْلَقُ عَمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة القدم:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى قدّيماً لكان حادثاً جائز الوجود والعدم؛ ولو كان جائز الوجود والعدم لما صح أن يتتصف بالقدم، وعدم اتصافه بالقدم مستحيل، لما قام عليه دليل الوجود من أنه سبحانه لا يستمد وجوده من غيره، وكونه لا يستمد وجوده من غيره، لزم أن يكون قدّيماً بلا ابتداء، فالابتداء عليه مستحيل، وما أدى إلى المستحيل مستحيل جزماً، فلزم العكس وثبت المطلوب من أنه سبحانه وتعالى قدّيم ليس لوجوده بداية لا كبقية الموجودات.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوْلَمْ يَكُنْ الْقِدَمُ وَصْفَهُ لَزِمٌ حُدُوثُهُ دَوْرٌ تَسْلُسلٌ حُتْمٌ

ثانياً: صفة "البقاء"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتتصف بها واجب الوجود - الله سبحانه وتعالى - وحقيقة صفة البقاء: سلب العدم والفناء اللاحق للذات والصفات، فلا آخر لوجوده؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وبقاءه تعالى ذاتي ليس بإيجاب غيره له، أما بقاء غيره فليس بقاء ذاتياً؛ إنما هو بمشيئة سبحانه وتعالى، مثل: اللوح، والقلم، والجنة، والنار، والعرش، والكرسي، والروح، وعجب الذئب.

الأدلة النقلية على وجوب صفة البقاء في حق الله سبحانه وتعالى:

- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْحَلَالِ وَالْإِكْرَام﴾ "الرحمن": 26-27" أي ذاته، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ "الحديد": 3" ، أي أول بلا إبتداء وآخر بلا انتهاء، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ "طه": 73" .

- من السنة المشرفة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَدَكَرَهَا وَعَدَ مِنْهَا: (الباقي) رواه الترمذى، وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنْتَ الْآخِرُ لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ) رواه الترمذى وأحمد والبخارى في الأدب المفرد.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصل بالبقاء. قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "وأجمع أصحابنا أن بقاءه صفة له أزلية قائمة به" اهـ.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "دَائِمٌ بِلَا انتِهاءٍ، لَا يَفْنَى وَلَا يَبْيَدُ" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله: يَجِبُ لِلَّهِ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ گَذَا الْبَقَاءُ وَالْغَنَى الْمُظْلَقُ عَمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة البقاء:

أنه لو جاز أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم، كيف وقد ثبت وجوب قدمه سبحانه وتعالى، وما ثبت قدمه استحال عدمه قطعاً، وما كان كذلك يجب أن يكون باقياً.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله: لَوْ أَمْكَنَ الْفَنَاءُ لَانْتَفَى الْقِدَمُ لَوْ مَاتَ الْخُلْقَ حُدُوثُهُ اخْتَمَ

ثالثاً: صفة "المخالفة للحوادث"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتتصف بها واجب الوجود - الله سبحانه وتعالى -، تسلب عنه سبحانه وتعالى مشابهته لمخلوقاته في الذات والصفات والأفعال، فهو سبحانه وتعالى ليس بجِرٍ ولا عَرْضٍ ولا غير ذلك مما تتصرف به المخلوقات، لَا يُشِّبِّهُ شيئاً من الأشياء ولا يُشِّبِّهُ شيئاً من الأشياء، فليس كذاته ذات وليس كصفاته صفات.

الأدلة النقلية على وجوب صفة المخالفة للحوادث في حق الله سبحانه وتعالى:

- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ "الشورى:11"، وَكَلِمَةُ ﴿شَيْءٌ﴾ جاءت منكرة غير معرفة، والنكرة إذا جاءت في سياق النفي تعم فتكون جنسية استغراقية، أي ليس كذاته ذات وليس كصفاته صفات، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ "مريم:65"، والسَّمِيُّ: هو الشبيه، وهو هنا من قبيل الاستفهام الإنكاري، وهاتين الآيتين الكريمتين محكمتين يُحمل عليهما كل ما هو متشابه.

- من السنة المشرفة: عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ "الإخلاص:1-2"، فالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُوْلَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ "الإخلاص:4"، قال: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

رواه الترمذى".

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على مخالفته سبحانه وتعالى لجميع الحوادث.

قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله في كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "أجمعوا أنه تعالى غير مُشبه به من العالم" اه.

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "تَعَالَىٰ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَضَدَادِ، وَتَكَبَّرَ عَنِ الْأُمَّالِ وَالْأَنَدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" اه، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِّنْ الْأَشْيَاءِ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِّنْ خَلْقِهِ" اه، وقال رحمه الله في نفس الكتاب: "وَهُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ، وَمَعْنَى الشَّيْءِ إِثْبَاثُهُ بِلَا جَسَمٍ وَلَا جَوْهِرٍ وَلَا عَرَضٍ، وَلَا حَدَّ لَهُ، وَلَا ضَدَّ لَهُ، وَلَا نَدَّ لَهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ" اه، وقال ذي النون المصري رحمه الله: "كُلُّ مَا تَصُورُ فِي وَهْمِكَ فَاللَّهُ بِخَلَافِ ذَلِكِ" اه، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "مَهْمَا تَصُورْتَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ بِخَلَافِ ذَلِكِ" اه، نقله البيهقي في مناقبه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنَىٰ مِنْ مَعْنَىٰ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلَمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ" اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
وَخُلُفَةُ لِخَلْقِهِ بِلَا مِثَالٍ وَوَحْدَةُ الدَّالِّ وَوَضْفِ وَالْفِعَالُ

الدليل العقلي على وجوب صفة المخالفية للحوادث:

أنه تعالى لو لم يكن مخالفًا للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله، لكان تعالى مماثلاً لها، ولو ماثلها لكان حادثاً، وكونه تعالى حادثاً مستحيل، لثبت قدمه بالدليل النقلي

والعقل، وما أدى إلى المستحيل مستحيل، فلزم العكس وثبت المطلوب من كونه سبحانه وتعالى مخالفًا للحوادث.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوْ أَمْكَنَ الْفَنَاءُ لَأَنْتَفَيَ الْقِدَمْ

أقوال العلماء في مسألة الحدّ

1- قال إمام التوحيد ومصباح التفريد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما نصه: "كان الله ولا مكان وهو الآن على ما كان" اهـ. أخرجه البغدادي في الفرق بين الفرق.

2- وقال عليه السلام أيضًا ما نصه: "لم يكن ربنا جل وعز فكان، وإنما يقال متى كان لشيء لم يكن فكان، هو كائن بلا كينونة، كائن لم يزل ليس له قبل فهو القبل وقبل الغاية، انقطعت الغايات عنده فهو غاية كل غاية" رواه الإمام الحافظ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن سلامة القضايى الشافعى فى كتابه دستور معايم الحكم ومؤلف مكارم الشيم

3- وقال الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ما نصه: "أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَحْوِي كَيْنَانًا" اهـ. أخرجه الزبيدي في إتحاف السادمة المتقيين.

4- وقال عليه السلام أيضًا ما نصه: "ليس له حدٌ في مكان، ولا غاية في زمان، لم يزل ولا يزول ولن يزال كذلك أبداً هو الإله الحي القيوم، الدائم القادر الحكيم" اهـ (الصحيفة السجادية)

5- وقال الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقي بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ما نصه: "من زعم أن الله في شيء، أو من شيء،

أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكن محمولاً، ولو كان في شيء لكن محسوباً، ولو كان من شيء لكن محدثاً"اه."أخرجه القشيري في رسالته.

6- وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأبسط) ما نصه: "قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؟ فقال -أي أبو حنيفة-: يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء"اه.

7- وقال الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ما نصه: "إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفتة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبدل في صفاتة"اه."أخرجه الرزبي في إتحاف السادة المتدينين".

8- وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي رحمه الله في رسالته (بيان عقيدة أهل السنة والجماعة) ما نصه: "وَتَعَالَى- أَيُّ اللَّهُ- عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَيَّاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدْوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ الْسُّتُّ گَسَائِرُ الْمُبْتَدِعَاتِ"اه.

9- وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ما نصه: "كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتاج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه"اه.
(نقله الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفترى).

10- وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله في (كتاب التوحيد) ما نصه: "إن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة وبقاوئه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جل عن التغيير والزوال والاستحالة"اه.

11-وقال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين): "وأجمعوا- أهل السنة والجماعة- على أنه لا يحييه مكان، ولا يجري عليه زمان" اهـ.

رابعاً: صفة "القيام بالنفس أو الغنى المطلق"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتصرف بها واجب الوجود - الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه وتعالى الافتقار إلى المحل والمخصوص، فهو سبحانه وتعالى قائم بنفسه مستغن عن كل ما سواه، مفتقر إليه كل ما عداه الذي تصمد المخلوقات إليه ولا يصمد لأحد سبحانه.

والمراد بال محل: ذات يقوم بها كما تقوم الصفة بال موضوع.

والمراد بالمخصوص: الموجد الذي يخصصه بالوجود دون العدم.

وكذلك يتنزل الله سبحانه وتعالى عن الأغراض في أفعاله وأحكامه إذ لا يحتاج إلى جلب منفعة ولا دفع مضره لأنّه الغني عن كل ما سواه.

واعلم أن اتصافه تعالى بالغنى المطلق يوجب له تعالى التنزل عن الأسباب والأغراض في أفعاله وأحكامه؛ إلا أنها لا تخلو من حكمة علمناها أم لم نعلمه تفضلاً منه وإحساناً؛ لأنّه لا منفعة له في طاعة العباد كما لا ضرر يلحقه في معصيتهم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة القيام بالنفس أو الغنى المطلق في حق الله

سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^{فاطر:15}، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^{البقرة:255}

- من السنة المشرفة: عَنْ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ)" رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى قائم بنفسه مستغن عن من سواه.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أصحابنا على أن صانع العالم قائم بذاته غير مفتقر إلى محل، وأجمعوا على أنه موجود لذاته" اهـ.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "وَلَا لَهُ بِطَاعَةٍ شَيْءٌ مِّنْ خَلْقِهِ إِنْتِفَاعٌ" رواه أبو نعيم في الحلية، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبداً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباريء، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق" اهـ، وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله في كتاب (الحكم العطائية) ما نصه: "أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنياً عنِّي؟" اهـ.

الدليل العقلي على وجوب صفة القيام بالنفس أو الغنى المطلق:

أولاً: أنه لو كان مفتقرًا إلى محل لكان متحيزاً، والتحيز من صفات الحدوث كما مر معنا، كيف وقد ثبت أنه مخالف للحوادث في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فبطل كونه تعالى متحيزاً في محل، وثبت له تعالى الغنى المطلق.

ثانيةً: لو كان مفتقرًا لشخص يخصصه بصفة دون أخرى لكان حادثاً كيف وقد ثبت أنه قديم بلا ابتداء مستغن عن كل ما سواه مفتقرٌ إليه كل ما عداه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوْلَمْ يَكُنْ بِوَاحِدٍ لَمْ يَكُنْ بِغِنَىٰ لَهُ افْتَقَرْ

خامساً: صفة "الوحدةانية"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتصرف بها واجب الوجود - الله سبحانه وتعالى -، تسلب عنه سبحانه وتعالى التعدد في الذات والصفات والأفعال، فهو واحدٌ في ذاته، واحدٌ في صفاتاته، واحدٌ في أفعاله، فهو ذات موصوف بصفات، لا شريك ولا ند ولا شبيه ولا شيء يضارعه بوجه من الوجوه.

أما وحدة الذات: ومعناه: أن ذات الله ليس مركباً من أجزاء، وليس كذاته ذات، قال ذو النون المصري وأحمد بن حنبل "مهما تصورت بيالك فالله بخلاف ذلك".

ووحدة الصفات: ومعناه: أنه ليس لله تعالى صفتان فأكثر، وليس كصفاته صفات.

ووحدة الأفعال: ومعناه: ليس لأحد فعل كفعله لا في الإيجاد ولا في الإعدام، فهو فاعل بالإختيار.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الوحدانية في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَإِلَهُمْ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ﴾

الرَّحِيمُ ﴿البقرة: 163﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ﴿سورة الإخلاص﴾، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿القصص: 68﴾.

- من السنة المشرفة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ وِتْرُ يُحِبُّ الْوِتْرَ) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وعن أبي بن كعب: (أَنَّ الْمُشْرِكِينَ, قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ, اذْسُبْ لَنَا رَبَّاكَ, فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾؛ لأنَّه لَيْسَ شَيْءٌ يُوْلَدُ إِلَّا سَيْمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، قال: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْئٌ، وَلَا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رواه الحاكم في المستدرك، وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ) رواه الحاكم في المستدرك والبخاري في خلق أفعال العباد.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، فليس كذاته ذات، وليس كصفاته صفات، وليس كفعله فعل، فهو سبحانه وتعالى الفاعل المطلق.

قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله في كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "واتفقت الأمة على وحدانيته تعالى"، وقال أيضاً: "وأجمعوا أن صفاته تعالى لا تشبه صفات المُحْدَثِينَ، كما أن نفسه لا يشبه نفس المخلوقين"، وقال أيضاً: "وأجمعوا على أن أمره تعالى وقوله غير محدث ولا مخلوق" اهـ.

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "خالق لا نظير له، وأحد لا ند له، وواحد لا ضد له، وصمد لا كفو له، وإله لا ثاني معه، وفاطر لا شريك له" اهـ. وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له" اهـ، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثُلُه، ولا شيء يُعَجِّزُه، ولا إله غيره" اهـ، وقال الإمام القشيري رحمه الله في كتاب (لم في الاعتقاد) ما نصه: "والله قديم لا ابتداء لوجوده، واحد لا قسيم له في ذاته، ولا شبيه له في حده وصفاته ونفسه، ولا شريك له في معقولاته" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بِلَا مِثَالٍ وَوَحْدَةُ الذَّاتِ وَوَصْفٌ وَالْفَعَالُ
الدليل العقلي على وجوب صفة الوحدانية:

أنه لو لم يكن واحداً في ذاته وفي صفاتـه وفي أفعالـه، لزم أن لا يوجد شيء من هذا العالم للزرم عجزـه، لكن عدم وجود العالم مستحيلـ، وذلك بالمشاهدة والحسـ. والدليل على استحالة اتصافـه بالعجزـ: أنه لو كان معـه شريكـ في الألوهـية، للزم عجزـهما سواء اتفقاـ في الخلقـ والتـدبـير أو اختلفـاـ، وهو أنـ يمنع كلـ منـهما وقـوع مـرادـ الآخرـ، فلا يمكنـ أنـ يوجدـاـ العالمـ معاـً لـاستـحالـة اـجـتمـاعـ مؤـثـريـنـ علىـ أـثـرـ وـاحـدـ،

فسيكتفي كل واحد منها بإيجاد جزء معين من العالم، فإذا ما أوجد الأول هذا الجزء، منع الثاني من إيجاده لذلك الجزء، وبهذا يصبح الثاني عاجزاً، وكونه عاجزاً فلا يمتنع أن يصبح الأول عاجزاً، والثاني قادراً، وهذا محالٌ وما أدى إلى المحال محال، هذا إن اتفقا.

أما إن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه، فلا يمكن أن ينفذ مرادهما معاً؛ لأنه يتربّ عليه اجتماع النقيضين، فإن غلب الأول الثاني فهذا من صفات المحدث، كون الغالب لا يمتنع أن يكون مغلوباً، وهذا في حقه محال وما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه واحد في ذاته، وواحد في صفاتاته، وواحد في أفعاله، وهو المعبر عنه بدليل التمانع، وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ "الأنباء": 22، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ "المؤمنون": 91.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوْلَمْ يَجِبْ وَصْفُ الْغَنِيِّ لَهُ افْتَقَرْ لَوْلَمْ يَكُنْ بِوَاحِدٍ لَمَّا قَدَرْ
تنبيه: أعلم أن الله تعالى هو خالق العباد وخالق أفعالهم، فليس للعباد تأثير في وجودهم ولا في أفعالهم، وقد أجمع أهل الفرق الإسلامية على أنه تعالى خالق للعباد، وأما خلق الله تعالى لأفعالهم، فاعلم أن الأفعال:

• إِمَّا أَنْ تَكُونَ اضْطَرَارِيَّةً: كالعطاس والرعشة فلا خلاف أيضاً فيها أنها مخلوقة لله، وليس للعبد دخل فيها.

• وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إِخْتِيَارِيَّةً: كالمشي والقيام والكتابة فقد اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب:

- الْأُولُى: أن الأفعال الإختيارية كالاضطرارية مخلوقة لله، وليس للعبد دخل فيها فهو مجبر عليها أي مقهور، فلا تأثير ولا كسب، وهو مذهب باطل لما فيه هدم لقاعدة التكليف والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ "البقرة": 286.

- الثَّانِي: أن الأفعال الإختيارية مخلوقة من العبد بقدرة أودعها الله فيه، ولا تأثير لقدرة الله فيها، وهو مذهب باطل، لما ثبت بالدليل القاطع أنه تعالى الخالق ولا خالق غيره، قال تعالى: ﴿الَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ "الزمر": 62، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ "فاطر": 3، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ "الصافات": 96، وله حديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ) رواه البخاري في خلق أفعال العباد والحاكم في المستدرك على شرط مسلم وغيرهما، والخالق لا بد أن يكون عالماً بتفاصيل ما يخلقه حتى يوجده على الوجه الذي سيكون عليه، فهل تعلم تفاصيل حركاتك؟ وأنفاسك؟ وأقوالك؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ "الملك": 14.

- الثَّالِثُ: وهو الصواب أن الأفعال الإختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد إلا الكسب، فليس مجبراً، ولا خالقاً لها، فال فعل الاختياري ينبع إلى الله خلقاً

وللعبد كسباً، ويصح نسبة شيء واحد لفاعلين مختلفين كالدار المستأجرة تنسب مالكها بجهة الملك ولمستأجرها بجهة الإنتفاع، والكتابة تنسب للقلم وللكاتب، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ "البقرة: 286".

واعلم أنه كما لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله الاختيارية، كذلك لا تأثير للأسباب العادلة في مسبباتها؛ فلا تأثير للنار في الحرق، ولا للسجين في القطع، ولا للأكل في الشبع، وهكذا، ولكن الله تعالى أجرى العادة اختياراً منه بأن يخلق المسببات مع وجود أسبابها لا بأسبابها، أي معها لا بها، فلا يلزم التلازم بينهما فلا يمتنع أن يوجد السبب ولا يوجد المسبب، فالعادة لا تلزم حكمًا كما هو معلوم في خوارق العادات كالمعجزة، والكرامة، وغيرها.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "أيّها السائل ألك مع الله جل وعز مشيئة، أو فوق الله مشيئة، أو دون ذلك مشيئة، فإن زعمت أن لك دون الله مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله، وإن زعمت أن لك فوق الله مشيئة فقد زعمت أن قوتك ومشيئتك غالبتان على قوة الله ومشيئته، وإن زعمت أن لك مع الله عز وجل مشيئة فقد زعمت أن لك مع الله شركاً في مشيئته" اهـ. "رواه الإمام الحافظ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن سلامة القضايى المصرى الشافعى فى كتابه دستور معاشر الحكم وتأثير مكارم الشيم"، وقال سبط رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: "من لم يؤمن بقضاء الله فقد كفر، ومن حمل ذنبه على الله فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاع استكراماً، ولا يعصى بغلبة؛ لأنـه تعالى مالك لما ملكـهم، وقدر

على ما أقدّرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط الشواب، ولو أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم كان ذلك عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم" اهـ. رواه ملا علي القاري في مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايب، وقال علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: وقد سئل "أيكلف الله العباد بما لا يطيقون؟ قال: هو أعدل من ذلك، قيل: أفيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجز من ذلك" اهـ. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب



صفات المعاني

(القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، والكلام)

صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً، كقيام القدرة بالذات، فإنه يوجب كونه قادراً، وهي سبع صفات متفق عليها: القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، والكلام، وسميت بـالمعاني; لأن كل صفة لها آثار في الخارج تدل عليها، كالمقدورات تدل على القدرة، والإرادات تدل على أنه مرید والمعلومات تدل على أنه عالم وهكذا في الباقي.

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة" اهـ، وقال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أصحابنا أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعيه وبصره وكلامه صفات له أزلية" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقُدْرَةُ إِرَادَةٍ عِلْمٌ حَيَاةٌ سَمْعٌ كَلَامٌ بَصَرٌ ذِي وَاجِبَاتٍ



أولاً: صفة "القدرة"

اصطلاحاً هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، يتّأّتى بها إيجاد كل ممكّن وإعدامه على وفق الإرادة.

قولنا أزلية: خرجت به صفات الحوادث التي يتتصورها العقل كالحركة والسكن والتي لا يتتصورها العقل كعذاب القبر ونعيمه.

قولنا قائمة بذاته تعالى: لأن صفات المعاني لها أثر في الخارج يدل عليها كما مر آنفاً، وذلك خلافاً للصفات السلبية والنفسية.

وقولنا يتّأّتى بها إيجاد كل ممكّن وإعدامه: خرج به الواجب والمستحيل، فالقدرة تتعلق بجميع الممكّنات تعلقاً بإيجاد وإعدام، ولا يعزّب ممكّن عنها، سواء كان جليلاً

أو حقيراً، فهي متساوية عند الله تعالى، في الإيجاد والإعدام لا يعجزه عنها شيء.

أما تعلقها بالواجب إيجاداً وبالمستحيل إعداماً يلزم منه تحصيل الحاصل وهو باطلٌ في حقه سبحانه وتعالى، وأما تعلقها بالواجب لإعدامه، وبالمستحيل لإيجاده يلزم منه قلب الحقائق، فالواجب لا يمكن أن يفني، والمستحيل لا يقبل الوجود.

وقولنا على وفق الإرادة: فما خصّه الله بإرادته أو جده بقدرته.

وللقدرة تعلقان:

- صلوحي قديم: وهو صلاحيتها في الأزل لإيجاد الممكّنات وإعدامها فيما لا يزال.

- ونتجيزي حدث: وهو إيجاد الممكّنات وإعدامها بالفعل، وهو ما يعبر عنه

"بآثار القدرة".

الأدلة النقلية على وجوب صفة القدرة في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{الملك: 1}، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيُّ﴾^{يس: 81}.

- من السنة المشرفة: عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في دعائيه: (إِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) رواه الشیخان، ومن حديث دعاء صلاة الإستخاراة: عن جابر بن عبد الله قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الإستخاراة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إذا هم أحذكم بالامر فليزكي ركتبتين من غير القريضة، ثم ليقل اللهم إني استخرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألتك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر) رواه البخاري وأبوداود وأحمد وغيرهم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصرف بالقدرة المطلقة. قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين): "أجمع أصحابنا أهل الحق على أن الله تعالى قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات" اهـ. وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "وقد اذ لا مقدور، ورب اذ لا مربوب، ومصوّر اذ لا مصوّر" رواه الإمام الحافظ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن سلامـة القضايعي المصري الشافعي في كتابه دستور معالم الحكم وتأثير مكارم الشيم" اهـ، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "لم يزل قادرًا بقدرته والقدرة صفة في الأزل" اهـ، وقال الإمام القشيري رحمه الله في كتاب (المع في الاعتقاد) ما نصه: "الأجسام والجواهر والأعراض والأكونات والطعوم والألوان

والأَرَيْخُ وَالْحَرَكَاتُ وَالسَّكُونُ وَالْاجْتِمَاعُ وَالْاِفْتِرَاقُ وَالنُّورُ وَالظَّلَامُ، جَمِيعُهَا حَاسِلَةٌ بِقَدْرِهِ، وَهُوَ سَبَّحَانُهُ عَزُّ الْاِتِصَافِ بِشَيْءٍ مِّنْهَا" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ عِلْمٌ حَيَاءٌ سَمْعٌ كَلَامٌ بَصَرُ ذِي وَاجِبَاتٍ
الدليل العقلي على وجوب صفة القدرة:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالي قادرًا لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذا العالم، والعالم موجود بالحس والمشاهدة، فثبتت كونه سبحانه وتعالي متصفًا بالقدرة.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوْلَمْ يَكُنْ حَيًّا مُرِيدًا عَالِمًا وَقَادِرًا لَمَا رَأَيْتَ عَالَمًا

ثانيًا: صفة "الإرادة أو المشيئة"

اصطلاحًا: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، يتلقى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه من المكنات المتقابلات المست على وفق العلم.

والذي يجوز على الممكن ستة أمور، تقابلها ستة أخرى وهي:

- 1- الوجود ويقابلها: العدم.
- 2- والصفة المخصوصة: كالبقاء، ويقابلها: سائر الصفات.
- 3- والزمان المخصوص: كزمن ولادته صلى الله عليه وآله وسلم، ويقابلها: سائر الأزمنة.

4- والمكان المخصوص: كمكة، ويقابلها: سائر الأمكنة.

5- والجهة المخصوصة: كجهة المشرق، ويقابلها: سائر الجهات.

6- والمقدار المخصوص: كالطول، ويقابلها سائر المقادير.

قال القاضي أبو الحسن علي بن عمر البغدادي المعروف بابن القصار المالكي رحمه

الله:

الْمُمْكِنَاتُ الْمُتَقَدِّمَاتُ وَالْمُمْكِنَاتُ الْمُتَقَدِّمَاتُ

كَذَا الْمَقَادِيرُ، رَوَى الثَّقَافُ أَزْمِنَةً، أَمْكَانَةً، جَهَاتُ

وللإرادة تعلقان:

- صلوحي قديم: وهو صلاحيتها في الأزل لتخصيص الممکن ببعض ما يجوز عليه، كتخصيصه بالوجود أو بالعدم، بالغنى أو بالفقير، وهكذا.
- تنجيزی: وهو تخصيص الممکن في الأزل ببعض ما يجوز عليه فيما علم الله أنه يوجد عليها.

واعلم أن الإرادة تتعلق بالممکن تعلق تخصيص، فالقدرة توجده وتعدمه على وفق الإرادة، والإرادة تخصصه ببعض ما يجوز عليه دون البعض، على وفق علم الله أنه يوجد أو لا يوجد، فهو الفاعل المختار لا يكره على شيء، والذي يدل على عموم تعلق الإرادة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^{يس: 82}، ومعنى الآية أنه متى تعلقت إرادته أولاً وقدرته حالاً بشيء برع في الحال، فهو كناية عن سرعة إيجاده تعالى للممکن وتخصيصه ببعض ما يجوز عليه دون بعض وعدم تخلفه.

فكل حادث دخل في الوجود من جواهر وأعراض، وجد على وفق إرادته سبحانه وتعالى، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد، سواء أمر به، أو نهى عنه؛ فالإرادة مغایرة للأمر، وهي على أربع مراتب:

- يريد الشيء ويأمر به: كالإيمان من المؤمن.
- يريد الشيء ولا يأمر به: كالكفر من الكافر.
- لا يريد الشيء ويأمر به: كالإيمان من الكافر.
- لا يريد الشيء ولا يأمر به: كالكفر من المؤمن.

وكل ما سبق لا يخلو من حكمة له سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ "الأنبياء": 23.

واعلم أن مشيئته تعالى لا تتغير؛ لأن التغيير دليل الحدوث، والحدث مستحيل على الله لما مر معنا سابقاً، فكل ما شاء الله في الأزل أن يكون كان وما لم يشاً الله في الأزل أن لا يكون لا يكون، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ "الأعراف": 115، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ "هود": 119، فقد سبق في مشيئته، وعلمه القديم وحكمته، أن جعل من خلقه من يستحق الجنة، ومن يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين، ولا مبدل لقضاءه.

فكان لزاماً على العبد الاستسلام وتقويض أمره لله تعالى، فهو لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله، فعن عبد الله بن مسعود قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَدْرِي مَا تَفْسِيرُهَا؟) قُلْتُ: اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنَى اللَّهِ) رواه البزار في المسند والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما".

وقد تأتي الإرادة بمعنى المشيئة: قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الأنعام: 111

وقد يأتي القضاء بمعنى المشيئة: قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ فصلت: 12 "فَقَضَاهُنَّ": أي أرادهن.

وقد يأتي القضاء بمعنى الأمر: قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْأَوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾ الإسراء: 23، قضى: أي أمر، ويفهم ذلك من مخالفة العباد لمقتضى الآية، فالعبد لا يخالف إرادة الله تعالى إنما يخالف أمره، فليس كل العباد مؤمنين.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الإرادة في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ

الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص: 68، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ هود: 107، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان: 30.

- من السنة المشرفة: عن سالم الفراء أن عبد الحميد مولى بنى هاشم حدثه، أن أممه حدثته، وكانت تخدم بعض بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أن ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثتها، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمها، فيقول: (قولي حين تُصْبِحِينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) رواه أبو داود والنسائي في الكبرى والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصرف بالإرادة المطلقة.

قال أبو سعيد المتولي الشافعي رحمه الله في كتاب (الغنية في أصول الدين) ما نصه:

"أجمعت الأمة على كلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشاً لم يكن" اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله في كتاب (الاعتقاد) ما نصه: "وقد روينا في حديث زيد بن ثابت، وفي حديث أبي الدرداء وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ" وهذا كلام أخذته الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذه التابعون عنهم، ولم يزل يأخذه الخلف عن السلف من غير نكير، وصار ذلك إجماعاً منهم على ذلك" اهـ.

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واحتز عليهم على مشيئته احتراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبتة، لا يملكون تأخيراً عما قدمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه" اهـ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في ديوانه ما نصه:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتَ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْقَرْقَى وَالْمُسْنُ
عَلَى ذَا مَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتُ وَذَاكَ أَعْنَتَ وَذَاكَ لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَهَذَا قَبِيْحٌ وَهَذَا حَسْنٌ

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وكل شيء يجري بتقديره، ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقُدْرَةُ إِرَادَةِ عِلْمٍ حَيَاةٍ سَمْعٌ كَلَامُ بَصَرُّ ذِي واجِباتٍ

الدليل العقلي على وجوب صفة الإرادة:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى مريداً لكان مكرهاً، ولو كان مكرهاً لما وجد شيء من هذا العالم، والعالم موجود بالحس والمشاهدة، فثبتت كونه سبحانه وتعالى متصفًا بالإرادة.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
 لَوْلَمْ يَكُنْ حَيّاً مُرِيداً عَالِماً وَقَادِراً لَمَّا رَأَيْتَ عَالَماً

فصل

"القضاء والقدر"

اعلم أن مذهب أهل الحق متفقون على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة على وفق ما قدره الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾¹ الفرقان:2، فالقضاء والقدر كلمتان لمدلول واحد راجعان للعلم والإرادة وتعلق القدرة، وأنه يجب على المكلف أن يؤمن أن الله تعالى علم أولاً بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته أولاً هذه الأفعال على وفق العلم، وأنه أوجدها على القدر المخصوص الذي سبق العلم به وخصصته الإرادة، فكان وجوباً على المكلف الإيمان به.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾² الأحزاب:38، وقال

تعالى: ﴿إِنَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾³ القمر:49.

من السنة المشرفة: عَنْ سِيدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا الْإِيمَانُ؟) قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)" رواه الشیخان والترمذی وأحمد وغيرهم، وأورده السیوطی في الأزهار المتناشرة في الأحادیث المتواترة من روایة أبي هریرة وعمر وأبی ذر وأنس وابن عباس وابن عمر وأبی عامر الأشعري وجریر البجلي"، وَعَنْ الْإِمَامِ عَلَيْهِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعَ: يَشَهِّدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ)" رواه مسلم والترمذی وأحمد وغيرهم، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئُهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ)" رواه الترمذی، وَعَنْ ابْنِ الدِّينَلِيِّ - عبد الله بن فیروز -، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَخَشِيتُ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاؤَتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ عَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلٍ أَحُدٍ ذَهَبَاهَا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا فُلِّ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنْكَ إِنْ مُتَّ عَلَى عَيْرِ هَذَا دَخَلتَ التَّارَ" وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِي أَخْيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَتَسْأَلُهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيًّ وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِي حُذْيَفَةَ، فَأَتَيْتُ حُذْيَفَةَ،

فَسَأَلَهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، وَقَالَ: أَتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحَمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحْدِيَّ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أُحْدِيَّ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَيِّلِ اللَّهِ، مَا قَبِيلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنْتَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ) رواه ابن ماجه وأبي داود وأحمد وغيرهم، وأحاديث وجوب الإيمان بالقدر متواترة وقد جمع أكثرها الإمام أبو بكر الفريابي في كتاب القدر ثم الإمام البيهقي في كتاب القضاء والقدر.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على مسلم: "وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحلال والعقد من السلف والخلف على ثبات قدر الله سبحانه وتعالى".

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "إن إرادته نافذة في جميع مراداته على حسب علمه بها، فما علم كونه منها أراد كونه في الوقت الذي علم أنه يكون فيه، وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون، وقالوا إنه لا يحدث في العالم شيء إلا بإرادته، ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن" اهـ.

سئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: فقيل له: أخبرني عن القدر؟ فقال: "طريق مظلم فلا تسلكه"، قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر؟ قال: سر الله فلا تتكلفه، ثم ولـي الرجل غير بعيد، ثم رجع، فقال علي عليه السلام: في المشيئة الأولى أقوم وأبسط؟ فقال عليه السلام: إني سائلك

عن ثلات خصال، ولن يجعل الله لك ولا من ذكر المشيئة مخرجاً، أخبرني أخلك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء، قال: أخبرني أفتخيء يوم القيمة كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا بل كما شاء، قال: أخبرني أخلك الله كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا بل كما شاء، قال: فليس لك من المشيئة شيء^ااهـ. رواه الاجري في الشريعة، والقضاعي في دستور الحكم.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسلاً، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^{بـ}الأنبياء:23ـ اهـ، وقال الإمام محي الدين النووي رحمه الله في شرحه على مسلم ما نصه: "وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره؛ خيرها وشرها، نفعها وضرها، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^{بـ}الأنبياء:23ـ فهو ملك الله تعالى يفعل ما يشاء، ولا اعتراض على الملك في ملكه، لأن الله تعالى لا علة لأفعاله"ـ اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقَدَرٍ كَذَا صِرَاطٌ مِيزَانٌ حَوْضُ النَّبِيِّ جَنَّةٌ وَزَيْرَانٌ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله في (جوهرة التوحيد):
وَوَاحِدٌ إِيمَانُكَ بِالْقَدَرِ وَبِالْقَضَائِكَ مَا أَتَى فِي الْخَبَرِ

وبناءً على ما سبق فإن حقيقة معنى القضاء والقدر هو إظهار ما علم الله تعالى أنه كائن وإن كان كيف يكون، وعلم من عبيده ما هم فاعلون، فخلق الخير وأحبه وأمرهم بإتيانه وخلق الشر ولم يحبه ونهاهم عن فعله، وهو يعلم سبحانه وتعالى ما هم مختارون، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾¹⁶² الأنعام:162، ومع أن الفعل خيره وشره خلق لله، فاللأدب أن ينسب الخير لله خلقاً، والشر للعبد كسباً، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ النساء:79 أي كسباً، كما يفسره قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيْكُمْ ﴾³⁰ الشورى:30، وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هُنْدِهِ مِنْ عِنْدِكَ فُلْ كُلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾⁷⁸ النساء:78 أي أن الله خالق الخير والشر على معنى الحقيقة، يدل على ذلك أيضاً حديث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كُنَّا في جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعْهُ مُحَصَّرَةً فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمِحْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٌ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا وَقَدْ كَتَبْتُ شَقِيقَةً أَوْ سَعِيدَةً) قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: (مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلٍ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلٍ أَهْلِ السَّعَادَةِ) فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلْ مُبِيسٌ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُؤْسِرُونَ لِعَمَلٍ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا

أَهْلُ الشَّقاوةَ فَيُسَرُّونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقاوةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَآمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَتَيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى، وَآمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَتَيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: 5-10) رواه الشيخان.

واعلم أن قضاء الله تعالى لا يتعارض مع الدعاء، فالله يحب دعاء الداعين المواقف للقضاء، فإن لم يوافقه أعطاه الله سكينة في نفسه وانشراحاً في صدره ويدخر له في آخرته، قال تعالى: ﴿بَلْ إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ (الأنعام: 41)، وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يدعوه بدعوه ليس فيها إثم ولا قطيعة رحيم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثة: إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخلها له في الآخرة، وإنما أن يصرف عنه من السوء مثلها) رواه أحمد والبزار والحاكم في المستدرك، وروى ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمري سيبلغ ملوكها ما زوى لي منها وأعطيت الكزبين الأحمر والأبيض وإن سألت ربي لأمري أن لا يهلكها بسنة عامه وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامه وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسري بعضهم بعضاً) رواه مسلم.

ومن القضاء ما هو مبرم لابد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شيء كالموت، ومنه ما هو معلق في وقوعه أو رفعه على شيء كطول العمر أو حصول البركة فيه، فهو معلق على صلة الرحم، كما جاء في حديث أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثْرِهِ فَلَيُصْلِّ رَحْمَهُ) رواه أحمد وغيره، وأماماً حديث ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَرُدُّ الْقُدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ) رواه الترمذى وأحمد والحاكم في المستدرک وغيرهم، وحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يُغْنِي حَدَّرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَاقَهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه الحاكم في المستدرک، المراد منهما القضاء المعلق الذي سبق في علمه سبحانه وتعالى أن إجابة عبده بسبب دعائه، مثل: مرض يشفى منه أو نجاح يتحققه أو ضر يدفعه أو نصر يفوز به وهكذا في الباقي، رغم أننا أمرنا بتعاطي الأسباب، إلا أن حصول الإجابة كان بالدعاء وليس بتعاطي الأسباب، وهذا هو حقيقة القضاء المعلق الكائن بالدعاء وليس بسواء، والدليل القطعي على ذلك قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ حَمَ، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان: 5-1

ومقصود بهذه الآية القضاء المعلق، مع وجوب العلم أن القضاء المعلق خاص بالدنيا

والمبرم يشمل الدنيا والآخرة، فالمبرم أعم والمعلق أخص قال تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ
لَدَيْهِ وَمَا أَنَا بِظَلَالٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29].

فصل

الوعد والوعيد

اعلم وفقي الله وإياك لما فيه الخير، أن مما يجب اعتقاده أن الله تعالى مُعطى
من أراد به خيراً ما وعده به على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو في كتابه،
وواعده لا يختلف شرعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 9]، وقال
تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ وَمَا أَنَا بِظَلَالٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ
أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: 21]، وقال
تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [الإسراء: 108]، وقال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ﴾ [فاطر: 5]، فلو تختلف إعطاء الموعود به لزم الخلف والتبدل في القول، ووجب
تنزيه الله تعالى عنه، وأما الوعيد فيجوز الخلف فيه؛ لأن الخلف فيه لا يعد نقصاً بل
يعد كرماً يُمتدح به، فبني إخباره به على المشيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن
يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]، بخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبني إخباره به على الجزم،
ل الحديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من وعده الله
على عمل ثواباً فهو منجز له، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار)" رواه الطبراني
في المعجم الأوسط، والطحاوي في مشكل الآثار، وغيرهما"، فكان الوعد حق عليه والوعيد حق له،

ومن أسقط حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم، ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم،
فظهر الفرق بين الوعيد والوعيد.

قال عامر بن الطفيلي:

وَإِنِّي إِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ عَدْتُهُ لَا خِلْفٌ إِيمَانِي وَأَنْجَرُ مَوْعِدِي
والخلق في الوعيد على ثلاثة أقسام:

الأول، ما ورد في الصالحين: وعد وإخبار من الله تعالى بتفضله على عباده المؤمنين بالجنة، وكلام الله تعالى وخبره صدق وحق، لا يصح تخلفه؛ لأن تخلفه يستلزم نقص يحجب تزييه الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ "النساء": 122، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدِّنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهِ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ "مريم": 61، فسمى خبره وعداً في مقابل الوعيد؛ لأن فيه إخبار عن النعيم في الجنة، بناءً على غلبة استعمال الوعيد في الخير، والوعيد في غيره.

الثاني، ما ورد في عصاة المؤمنين: وعد وإخبار من الله تعالى بتفضله عليهم بالجنة على ما قدموه من أعمال صالحة، ووعيد لهم بالعذاب على ما قاموا به من معااصٍ وآثام، ولكن الوعيد تمّ تعليقه بالمغفرة، ونص الشارع على جواز أن يغفر لهم، وأن يقبل شفاعة الشافعين بهم، فعلمنا أن الأصل أنهم يعذبون ولكن يجوز العفو عنهم، والعفو هو بفضله تعالى، وقد يكون قبل تعذيبهم أو بعده، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْعَلْنَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ "النساء": 31، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَسَاءَ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا》"النساء: 116"، وهذه الآية مقيدة بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ》"الزمر: 53"، واعلم أنه لم يرد نصاً في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بضرورة تعذيب كل عاص، وأنه لا يجوز العفو عنه، مع وجوب اعتقاد أن الله تعالى منفذ وعديه في بعض المؤمنين لورود الأخبار بذلك.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

الثالث، ما ورد في الكافرين: وعيد وإخبار من الله تعالى أنهم معذبون في نار جهنم خالدين فيها أبداً، وأنهم لا يخرجون ولا يسمح لهم بالخروج، وما سوى ذلك سيأتي معنا في قسم السمعيات، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَعَّ كُلُّ كَذَبِ الرُّسُلِ فَحَقٌّ وَعِيدٌ﴾"ق: 14"، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾"ق: 28"، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾"طه: 113"، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾"ق: 20".

نكتة:

تعذيب الكفار في النار ليس هو من قبيل الواجب العقلي، بل هو من قبيل الجائز، فكما كان يجوز أن لا يُثيب أحداً، كان كذلك يجوز أن لا يعاقب أحداً، فلا شيء من الثواب والعقاب عليه بواجب، لكن لما أخبرنا الشرع أن أهل الكفر والنفاق خالدين في النار مُعذبين لا يخرجون منها، وأن عذابهم لا ينفي،

فانقلب الحكم من الجواز العقلي إلى الواجب العرضي، وعدم دخول الكافرين النار والخلود فيها إلى المستحيل العرضي، فالوعيد في حق الكافرين على التأييد لا تختلف فيه.

ومن قال إن الوعيد يجوز تخلفه، وبنى حكم جواز خروج الكافرين من النار مطهرين منها، وأنهم داخلون في دار للنعم المقيم بعد عذابهم في النار، فهو باطل لأنه تعلق ب مجرد إمكان تخلف الوعيد، وهو تعلقٌ بما لا تعلق به، واستدلال بما لا دلالة فيه، بل ينبغي التوقف في ذلك على الخبر الوارد بعد المغفرة لهم، وخبر الله تعالى لا يختلف، وكونه وعیداً في نفسه يستلزم كونه عذاباً لا تنعماً، فقطع الخبر احتمال تخلف الوعيد في حقهم، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: 72)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَا تُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد: 34)، وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسَلَّمَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً إِلَّا حُلْتَ لَهُ الْمَعْفِرَةُ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَئْنَى، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 48) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، "وَعَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَلَيَسْتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (النساء: 18)

فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ النساء: 48، فحرّم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأً آهلَ التَّوْحِيدِ إِلَى مَشِيتِهِ، فَلَمْ يُؤْسِهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ "رواه الطبرى في تفسيره"، وقال الإمام الرازى الشافعى رحمه الله فى (التفسير الكبير) ما نصه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ﴾ النساء: 116، معناه لا يغفر الشرك على سبيل التفضل؛ لأنه بالإجماع لا يغفر على سبيل الوجوب، وذلك عندما يتوب المشرك عن شركه، فإذا كان قوله: إن الله لا يغفر الشرك، هو أنه لا يغفره على سبيل التفضل، وجب أن يكون قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ النساء: 116، هو أن يغفره على سبيل التفضل، حتى يكون النفي والإثبات متوازدين على معنى واحد". اهـ.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:
وَخَادِلٌ لِمَنْ أَرَادَ بُغْدَةً وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَغْدَةً

ثالثاً: صفة "العلم"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى متعلقة بجميع المعلومات من الواجبات والجائزات والمستحبات تعلق انكشاف تام، على وجه الإحاطة على ما هي عليه من غير سبق خفاء.

• فالواجبات: كعلمه سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله.

- **المستحيلاً**: كعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يدل على النقص في حقه كالزوجة والولد والشريك، فيعلم أنه مستحيل الوجود.
- **الجائزات**: كعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يجوز عليه من ترك المكنات في العدمات أو إيجادها على وفق ما سبق في علمه.
- **وتعلق العلم تعلق أزلي قديم**: فيعلم الله سبحانه وتعالى الأشياء أولاً على ما هي عليه وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحال، أو توجد في المستقبل.
- **واعلم أن علمه سبحانه وتعالى ذاتي لا يزيد ولا ينقص**:
- **قولنا ذاتي**: خرج به العلم الموهوب كعلم الأنبياء والملائكة، وخرج به العلم المكتسب كعلم العلماء.
- **قولنا لا يزيد**: لأنه لو زاد لكان قبله ناقصاً والنقص من صفات الحوادث وهو عليه مستحيل.
- **قولنا لا ينقص**: لأنه لو جاز عليه النقص لكان متغيراً والتغيير من علامات الحدوث والحوادث عليه مستحيل فيلزم أنه لا ينقص، بل علمه سبحانه وتعالى محيط بكل المعلومات معاً من غير تقديم ولا تأخير ولا تبدل ولا زيادة ولا نقصان.

الأدلة النقلية على وجوب صفة العلم في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ "الطلاق:12"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ "المجادلة:7"، وقال تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ "الحشر:22".

- من السنة المشرفة: عن جابر بن عبد الله، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخاراة في الأمور كلها، كما يعلمونا السورة من القرآن (اللهم إني أستخلك يعلّمك، وأستقدر لك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيب" رواه البخاري وأبوداود وأحمد وغيرهم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصف بالعلم. قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن علم الله واحد ليس بضروري ولا مكتسب ولا عن استدلال ونظر، وأجمعوا أنه محيط بجميع المعلومات يعلم به ما كان منها وما يكون وما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون" اهـ

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْبَائِدِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْمُتَقَلِّبِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى وَعِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ" رواه أبو نعيم في الحلية، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا، وَلَمْ يَحْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ" اهـ

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله: **وَقُدرَةُ إِرَادَةِ عِلْمٍ حَيَّاً سَمِعَ كَلَامَ بَصَرِّ ذِي واجِبَاتٍ**

الدليل العقلي على وجوب صفة العلم:

لو جاز أن يعزب عن علمه شيء من الأشياء جليلاً كان أو حقيراً، كثيراً كان أو قليلاً، لكن ذلك نقص في حقه، والنقص من صفات الحدوث، والحدث عليه مستحيل، وما أدى إلى المستحيل مستحيل فلزم العكس وثبت المطلوب من أن علمه لا يعزب عنه شيء ولا يزيد ولا ينقص وهو محيط بكل المعلومات معاً، مما تعلقت به القدرة أراده وما أراده علمه لاستحالة تعلق القدرة وتوجه الإرادة إلى ما لا يعلم.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
 لَوْلَمْ يَكُنْ حَيَا مُرِيدًا عَالِمًا وَقَادِرًا لَمَّا رَأَيْتَ عَالَمًا

رابعاً: صفة "الحياة"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، تقتضي اتصافه بالعلم والسمع والبصر والإدراك وسائر صفات الكمال، لاستحالة وجود هذه الصفات بدونها، وحياته سبحانه أزلية أبدية لم يسبقها عدم سابق، ولا يطرأ عليها عدم لاحق، فهي ليست بروح؛ لأن الروح من اللطائف وهي من قبيل العرض، والعرض مخلوق حادث لا يستقل بذاته كما هو معلوم بداعاه وهو يحتاج إلى محل يحل فيه، وحياة الله ليست كذلك جزماً وهي لا تتعلق بشيء، بخلاف حياة غيره فهي حادثة قائمة بغيرها بسبب الروح، والله سبحانه ذات موصوف بالحياة.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الحياة في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^{الفرقان: 58} وفي هذه الآية دلالة على أن حياته ليست كحياتنا، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^{البقرة: 255}، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^{غافر: 65}.

- من السنة المشرفة: عن أنس بن مالك قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغْفِرُكَ) رواه الترمذى والنسائى ورواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) فَذَكَرَهَا وَعَدَ مِنْهَا: (الْحَيُّ) رواه الترمذى.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصف بالحياة. قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن حياته صفة أزلية قائمة من غير روح ولا غذاء ولا تنفس" اهـ. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "إن الله حي لا يموت، قيوم لا ينام" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله: وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ عِلْمٌ حَيَاةٌ سَمْعٌ كَلَامٌ بَصَرٌ ذِي واجِباتٍ

الدليل العقلي على وجوب صفة الحياة:

إن الله سبحانه وتعالى متصف بالقدرة والإرادة والعلم وغيرها، وكل من كان كذلك وجبت له الحياة، فالله تجب له الحياة.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
 لَوْلَمْ يَكُنْ حَيًّا مُرِيدًا عَالِمًا وَقَادِرًا، لَمَّا رَأَيْتَ عَالَمًا

خامسًا: صفة "السمع"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل المسموعات معاً تعلق انكشاف من غير معالجة ولا آلة ولا بعد مسافة ولا تقديم ولا تأخير ولا تزاحم أصوات ولا يحجبها مانع عن كل المسموعات مما نعلم وما لا نعلم من الهمس والجهر وغيرهما.

فيسمع الله تعالى كلامه الأزلي الأبدى الذي ليس بصوت ولا حرف ولا هو مثل كلام البشر، ويسمع كل ما يصدر من المخلوقات معاً حتى أنه ليس مع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

الأدلة النقلية على وجوب صفة السمع في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه:46، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى:11، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إبراهيم:39.

- من السنة المشرفة: عن أبي موسى الأشعري قال: كننا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في سفر، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هلّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبًا، إن الله سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصف بالسمع.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "قال أهل الحق أن سمعه صفة واحدة أزلية وهو يسمع بها جميع المسموعات من الأصوات والكلام" اهـ، وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "لَا تُخِيرُهُ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تَشْغُلُهُ الْلُّغَاتُ، سَمِيعٌ لِلأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، بِلَا جَوَارِحَ لَهُ مُؤْتَلِفَةٌ" اهـ." رواه أبو نعيم في الحلية".

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقُدْرَةُ إِرَادَةِ عِلْمٍ حَيَاةٍ سَمْعٌ كَلَامٌ بَصَرُّ ذِي واجِبَاتٍ

الدليل العقلي على وجوب صفة السمع:

لو لم يتتصف سبحانه وتعالى بالسمع لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالسمع.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ بِالنَّقْلِ مَعْ كَمَالِهِ ثَرَامُ

سادساً: صفة "البصر"

اصطلاحاً: صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل المبصرات معاً تعلق انكشاف، فتنكشف بها كل المبصرات انكشافاً تماماً دون سبق خفاء، من غير آلة ولا اتصال شعاع ولا قرب ولا بعد مسافة، ولا حائل ولا مانع يمنعه سبحانه وتعالى من انكشاف كل المبصرات له معاً.

فيري الله سبحانه وتعالى ذاته القديم، ويرى كل موجود مما نعلمه وما لا نعلمه، ويرى كل الأشياء دقيقها وعظمتها، جليها وخفيتها، لا يحجبه عنها حاجب ولا يمنع منها ساتر.

الأدلة النقلية على وجوب صفة البصر في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه:46، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى:11، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: 96.

- من السنة المشرفة: عن أبي موسى الأشعري قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادِ هَلَّلَنَا وَكَبَرَنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبُعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا، وَلَا غَائِبًا، وَلَكُنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصف بالبصر. قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق على أن الله راء برؤية أزلية يرى بها جميع المرئيات ولم ينزل رائياً لنفسه" اهـ

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "مُدَبِّرٌ بَصِيرٌ، عَالِمٌ بِالْأُمُورِ، حَيٌّ قَيْوُمٌ" أهـ. "رواه أبو نعيم في الحلية"، وقال الإمام الغزالى رحمه الله في كتاب (إحياء علوم الدين) ما نصه: "الله تعالى سميع بصير، يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدة وأجفان، ويسمع من غير أصحة وأذان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق" أهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقُوْدَرَةُ إِرَادَةِ عِلْمٍ حَيَاةٍ سَمْعٌ كَلَامُ بَصَرٍ ذِي واجِبَاتٍ

الدليل العقلي على وجوب صفة البصر:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالبصر لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالبصر.

تنبيه:

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذموا أقوامهم لعبادتهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر، قال تعالى على لسان خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾^{مريم:42}، فهذه آية صريحة توجب لله أن يكون متصفًا بالسمع والبصر، ولو لم يتصف بالسمع والبصر، لاحتاج أقوامهم على أنبيائهم أنكم تعبدون إلهًا لا يسمع ولا يبصر.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
والسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ بِالنَّقْلِ مَعْ كَمَا لَهُ ثَرَامُ

سابعاً: صفة "الكلام"

اصطلاحاً هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى ليست بصوت ولا حرف، المنزه عن التقديم والتأخير والبعض والكل، والسكون والتمديد، واللحن والإعراب، واصطراك الأجرام، والسر والجهر وسائر أنواع التغيرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات، المعبر عنه بالعبارات مختلفات.

- قولنا "العبارات المختلفات": كالتوراة والإنجيل والربور والقرآن وغيرها من الصحف والألوان.

- قولنا "كلام الله ليس بصوت"; لأن الأصوات حادثة.

- قولنا "كلام الله تعالى ليس بحرف"; لأن الحروف حادثة.

- قولنا "وليس بسر ولا جهر"; لأنهما من صفات الحوادث.

- قولنا "صفة الكلام دالة على كل ما تدل عليه صفة العلم من المتعلقات":

- مثال دلالة الكلام على الواجب، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ "الإخلاص": 1.

- مثال دلالة الكلام على الجائز، قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

"القصص": 68.

- مثال دلالة الكلام على المستحيل، قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ "الأنبياء": 22.

وللكلام إطلاقان:

- **الكلام النفسي:** هو صفة أزلية ليست بحرف ولا صوت، ولا يدخل عليها التبدل أو التجزء أو التغيير، وليس عربياً ولا سريانياً ولا غيرهما من اللغات.
- **الكلام الفظي:** هو الألفاظ والحروف الدالة على الكلام القديم، كالقرآن الكريم المنزل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المحفوظ في الصدور المروءة بالألسن المبتدأ بسورة الفاتحة المنتهي بسورة الناس، وكذا سائر الكتب والصحف والألوح السماوية المنزلة على الرسل، فهو ليس من تأليف ملك مرسلاً ولانبياً مقرباً، فيطلق عليهم أيضاً كلام الله؛ لأنه دال عن بعض مدلول الكلام القديم، ويقال له عبارات والمعبر عنه واحد وهو الكلام الأزلي الأبدى القديم الذي ليس بصوت ولا حرف.

وليعلم أن الكتب السماوية ليست من الكلام الأزلي القديم؛ لأنها ألفاظ مركبة من حروف، مقروءة بأصوات يدخلها التغيير والتشكيل والخطأ، لها مخارج وصفات، يمحى ويحرق، ولها حد، وهي منزلة، والمنزل حادث، وكلام الله تعالى ليس كذلك لا يحد ولا يوصف بنزول أو صعود أو غيرها من صفات الحوادث.

تنبيه:

- 1- لا يجوز أن يُقال (القرآن مخلوق أو حادث) لئلا يتوهם متوهם حدوث الكلام القديم ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ مُّحَمَّدٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ "الأنبياء": 2، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٍ﴾ "الشعراء": 192-195

2- سماع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لكلام الله تعالى لا يفهم منه أن المولى كان ساكتاً ثم تكلم، أو تكلم فانقطع كلامه بعد السماع، وإنما المراد منه أنه رفع الحجاب المعنوي عنه عليه السلام، فسمع الكلام الأذلي القديم الذي ليس بصوت ولا حرف، ففهم منه مراد الله تعالى، ثم رد الحجاب لما كان عليه، فلا يتوهם متوجه أن ذلك كان صورةً أو حدوثاً أو ابتداءً أو انتهاءً.

3- يحرم الاستهزاء بالكتب المنزلة ولو حرفت؛ لأنها لا تخلو من صواب وحق بعد تحريفها.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الكلام في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^{الكهف: 109}، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدْنَا كَلِمَاتَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^{القمان: 27}

- من السنة المشرفة: عن عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكْلِمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بِيُنْهُ وَبِيُنْهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُ) رواه الشیخان وأحمد، ويجب أن يعلم أن هذا الحديث محمول على الآخرة، ولا يقال كيف؛ لأن العقول لا تدرك غالب حقائق الدنيا فما بالك بالآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الجنة: (فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ

وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ" رواه مسلم وأحمد والحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد، ورواه البخاري ومسلم حديثاً قدسياً عن أبي هريرة.

الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن الله تعالى متصف بالكلام القديم الأزلية.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن كلام الله تعالى صفة له أزلية، وهي أمره ونفيه وخبره ووعده ووعيده" اهـ.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلام موسى، وكان الله خالقاً في الأزل ولم يخلق الخلق، فلما كلام الله موسى عليه السلام كلامه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل" اهـ، وقال كذلك رحمه الله في نفس الكتاب: "ونحن نتكلم بالآلات والحرف، والله يتكلم بلا آلة ولا حرف، والحرف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق" اهـ.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق كلام البرية، فمن سمعه فزع أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَر﴾" المدثر: 26

فلماً أ وعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هُنَّ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَر﴾" المدثر: 25 علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَقُدْرَةُ إِرَادَةٍ عِلْمٌ حَيَاةٌ سَمْعٌ كَلَامٌ بَصَرُّ ذِي واجبات

الدليل العقلي على وجوب صفة الكلام:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالكلام لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالكلام.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ بِالنَّقْلِ مَعْ كَمَالِهِ ثُرَامٌ



ثانيًا: الصفات التي تستحيل على الله سبحانه وتعالى

يستحيل عليه سبحانه وتعالى الاتصاف بأضداد الصفات الواجبة له تعالى وما سواها من صفات النقص، فنفي كل كمال له سبحانه وتعالى هو نقص يجب تنزيهه عنه، فهو الموصوف بكل كمال يليق به، المنزه عن كل نقص في حقه.

ف يستحيل عليه سبحانه وتعالى:

- العدم: وهو ضد الوجود، وهو عبارة عن لا شيء.
- الحدث: وهو ضد القدم، والمراد به الوجود بعد العدم.
- الفناء: وهو ضد البقاء، والمراد به الانقضاض بعد الوجود.
- المماطلة للحوادث: وهي ضد المخالفة للحوادث، والمراد بها: المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال.
- أن لا يكون قائمًا بنفسه: وهو ضد الغنى المطلق، والمراد به: بأن يكون صفة تحتاج إلى محل أو تحتاج إلى مُحَصّصٍ.
- أن لا يكون واحداً: وهو ضد الوحدانية، والمراد به: أن يكون مركباً في ذاته، أو يكون له مماثل في ذاته أو صفاته، أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من أفعاله.
- العجز عن ممكناً ما: وهو ضد القدرة، والمراد به: تعذر إيجاد ما يمكن إيجاده، وإعدام ما يمكن إعدامه.

- **إيجاد شيء من العالم مع كراحته لوجوده:** وهو ضد الإرادة، والمراد به: إيجاد الشيء أو إدامة مع عدم إرادته له سبحانه وتعالى، أو مع الذهول أو الغفلة أو بالتعليل أو بالطبع وهو من صفات الحوادث.
 - **الجهل:** وهو ضد العلم، والمراد بالجهل: عدم الإحاطة بالمعلومات من واجب وجائز ومستحيل، وكذلك ما في معنى الجهل أيضا كالشك والظن والوهم والغفلة والنسيان.
 - **الموت:** وهو ضد الحياة، وكذلك ما في معنى الموت كان تكون حياته تعالى بروح أو نفس أو بأكل أو شرب أو غير ذلك من صفات الحوادث.
 - **الصمم:** وهو ضد السمع، والمراد به: عدم السمع لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى الصمم ككون سمعه تعالى بالأذان أو الصماخ أو الآلة أو غير ذلك.
 - **العمى:** وهو ضد البصر، والمراد به: عدم البصر لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى العمى ككون بصره تعالى بالملقة أو الأجياف أو الحدقة أو الآلة أو غير ذلك.
 - **البكم:** وهو ضد الكلام، والمراد به: عدم الكلام لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى البكم ككون كلامه تعالى بحروف وأصوات ولغات.
- لأن كل ما سبق من صفات الحوادث وهي مستحيلة عليه وذلك لما منعنا من قيام الأدلة التقليدية والعقلية والإجماع الدال على ما يجب له سبحانه وتعالى.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ تَكْيِيفِ
الصَّفَاتِ، مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ فَقَدْ جَهَلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَمَاكِينَ
بِهِ تُحِيطُ، لَرِمَتْهُ الْحُمْرَةُ وَالْتَّخْلِيلُ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًاً أَيُّهَا
الْمُتَكَلَّفُ لِوَصْفِ الرَّحْمَنِ، بِخِلَافِ التَّزْرِيلِ وَالْبُرْهَانِ، فَصِفْ لِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ
وَإِسْرَافِيلَ، هَيْهَا، أَتَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ خُلُوقٍ مِثْلِكَ وَتَصُفُ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، وَأَنْتَ
تُدْرِكُ صِفَةَ رَبِّ الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ، فَكَيْفَ مَنْ لَمْ تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ؟" اهـ رواه أبو نعيم في
الخلية، والقضاعي في دستور معالم الحكم.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَيُسْتَحِيلُ ضِدُّ هَذِهِ الصَّفَاتِ	الْعَدَمُ الْحُدُوثُ ذَا الْحَادِثَاتِ
كَذَا الْفَنَا وَالْأَفْتِقَارُ عُدَّةٌ	وَأَنْ يُمَاثِلَ وَنَفْيُ الْوَحْدَةِ
عَجْزٌ كَرَاهَةٌ وَجَهْلٌ وَمَمَاثٌ	وَصَمَمٌ وَبَكَمٌ عَمَّى صُمَامٌ



ثالثاً: الصفات الجائزة في حق الله سبحانه وتعالى

بعد بيان ما يجب وما يستحيل في حقه سبحانه وتعالى؛ نشرع في بيان ما يجوز في حقه سبحانه وتعالى.

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه، فيجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى يجوز له أن يخلق وينختار من خلقه ما يشاء (بلا كيف)، ولا يجب عليه فعل شيء منه، ولا يستحيل عليه ترك شيء منه، بل يفعل ما شاء ويترك ما شاء، فما شاء الله كان وما لم يشاً لـم يكن، فهو المتصرف المطلق الفاعل بالاختيار، ليس لأحد الاختيار معه، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءٍ﴾²⁹ الرحمن:29 أي بيده الأمور كلها يظهرها على وفق ما قدره وأراده في الأزل من خير وشر، وإعزاز وإذلال، ونفع وضر، وإغناط وإنفصال، وغير ذلك من تعلقات مشيئته جل وعز.

فائدة: اعلم وفقني الله وإياك لطاعته، استحالة أن ينسب لذات الله تعالى ولصفاته الجواز؛ لأن الله تعالى هو الواجب الوجود بذاته وبصفاته، فلا يتطرق الجواز للذات ولا إلى الصفات، بل حكم الجواز للازم للأفعال، فكل أفعال الله تعالى جائزة، وكل ما تراه من الفصول اللاحقة لهذا الباب هي من قبيل الأفعال الممكنة عليه تعالى، فيدخل فيها الإيجاد والإعدام، والثواب للمطيع والعقاب للعاصي، وكذلك كل ما يتعلق بالرسليات كبعثة الأنبياء، والسمعيات مثل البرزخ والآخرة.

الأدلة النقلية على ما يجوز في حق الله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾³⁰ القصص:68، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ

بِيَدِكَ الْحُسْنَى إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿آل عمران:26﴾، وقال تعالى: **﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** ﴿آل عمران:129﴾.

- **من السنة المشرفة:** عن سالم الفراء أن عبد الحميد مولى بنى هاشم حدثه، أن أمّه حدثته، وكانت تخدم بعض بنات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن ابنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثتها، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمها، فيقول: (قولي حين تُصْبِحِينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) رواه أبو داود في سننه والنسائي في الكبرى والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم.

- **الإجماع:** وقد أجمع أهل الحق أنه لا يحدث في العالم شيء إلا بإرادة الله تعالى فما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن.

قال أبو سعيد المتولي الشافعي رحمه الله في كتاب (الغنية في أصول الدين) ما نصه: "أجمعت الأمة على كلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشاً لم يكن" اهـ.

الدليل العقلي على جواز فعل كل ممكن أو تركه:

هو أنه قد وجب له تعالى اتصفه بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية والقدم والقيام بالنفس، فثبتت له الاختيار المطلق في جميع أفعاله، ومن ثبت له الاختيار يجوز له فعل كل ممكن أو تركه على وفق مشيئته وببالغ حكمته.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجْوَزُ فِي حَقّهِ فِعْلُ الْمُمْكِنَاتِ بِإِسْرِهَا وَتَرْكُهَا فِي الْعَدَمَاتِ

ولقد لخص ذلك كله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: "أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات المحدثة عنه، فمن وصفه بجادل فقد

قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده" اهـ "دفع شبه من شبهه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، للإمام تقى الدين الحصى الشافعى".

جواز رؤية الله تعالى

اعلم أن ما يجوز في حقه سبحانه وتعالى أن يُرى بالأبصار في الآخرة كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وتكون الرؤية في حقه سبحانه من غير حد ولا مكان ولا جهة ولا إحاطة بالمرئي، ولا بحدقة، ولا مقابلة، ولا اتصال شعاع وغيرها مما يتبادر إلى الأذهان؛ لأن ذلك كله من صفات الحوادث وهو مستحيل على الله، أما الرؤية المتعارف عليها في هذه الدنيا فإن الله تعالى أجرى العادة أن يخلق الرؤية في العين عند مقابلة واتصال الشعاع مع عدم وجود المانع، فتتحقق الرؤية عند ذلك مع هذه الأسباب لا بها.

لأن العين سبب وعلة للرؤية ولا يلزم من وجود العين والمقابلة واتصال الشعاع وجود الرؤية، والدليل على ذلك أن الإنسان وهو مستغرق في النوم يرى الأشياء حتى ولو كان كفيقاً باليقظة، ويسمع حتى ولو كان أصمًا في اليقظة، بل أكثر من ذلك إدعائه الأكل والشرب والذهب والمجيء وغير ذلك مما يحدث معه في حال اليقظة على الرغم أنه نائم، فبالله عليك أفهمني بأي عين رأى وهو نائم؟ وبأي أذن سمع وهو نائم؟ وبأي لسان تكلم وهو نائم؟ وبأي رجل خطى وهو نائم؟ وهكذا في الباقي، وإنكار ذلك مما يقع مع الإنسان في حال النوم هو من قبيل العناد وذلك مقطوع به بالحس والمشاهدة والواقع.

وبهذا تتيقن أن الرؤية ليست ملزمة للجسمية والتحيز واتصال الشعاع والمقابلة وغير ذلك من صفات الحوادث، مع وجوب العلم بأن الدنيا لا تقاس على البرزخ والبرزخ لا يقاس على الآخرة ومن باب الأخرى والأولى بل الواجب الضروري أن لا تقاس الآخرة على الدنيا ولا بوجه من الوجوه لحديث سعد بن سعدٍ السَّاعِدِي قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا وَصَافَ فِيهِ الْجُنَاحَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: (فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) "رواه مسلم وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم"، فبالله عليك ما هو الذي لا عين رأت؟ ولا أذن سمعت؟ ولا خطر على قلب بشر؟ فهذا نص يزيل كل إشكال ممن أراد معرفة الحق أما بالنسبة لأجسامنا التي تلازمنا في هذه الدنيا فهي تستحيل في الآخرة إلى أجسام باقية بقدرة الله سبحانه وتعالى، فنرى بالعين الباقية ما هو باقي بلا كيف ولا مكان ولا جهة لا كما يرى المخلوق المخلوق، ولمثل هذا ذهب الإمام مالك رحمه الله فقال: "لم ير في الدنيا، لأنَّه باق، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة، ورزقاً بآصاراً باقية رئي الباقي بالباقي" اهـ "رواه عياض في الشفا".

أما الدليل على إمكانية الرؤية لله تعالى:

طلب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من ربه أن يريه ذاته المقدس، فقال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ "الأعراف: 143"، ووجه الإستدلال بالآية من وجهين:

- الأول: أن رؤية الباري عُلقت على أمر ممكن، وكل ما علق على الممكن لا يكون إلا ممكناً، فرؤيته تعالى ممكنة.

• الثاني: إن الرؤيا لو لم تكن جائزة، لما سألها سيدنا موسى عليه السلام؛ لأنهنبي رسول يعلم ما يجوز وما يجب وما يستحيل في حقه تعالى، فسؤاله دلّ على الجواز. وأعلم وفقيه الله وإياك لما فيه الخير أن دليل وقوع الرؤية سمعي عند أهل السنة والجماعة، فإذا صحت الأدلة النقلية وحكم العقل بإمكانه فلا موجب لصرف النص عن ظاهره، ولا يبقى وجه للقول باستحالة الرؤية، بل يكفيان للجزم برؤيته تعالى خلافاً لمن قال باستحالتها.

الأدلة النقلية على جواز الرؤية لله سبحانه وتعالى:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة: 22-23، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْхُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ يومن: 26، قال جمهور المفسرين: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم.

- من السنة المشرفة: عَنْ صُهَيْبِ الرُّومِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ يومن: 26، قال: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِرَ كُمُوهُ، قَالُوا: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَتُنْجِنَّا مِنَ التَّارِ وَتُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ) رواه مسلم والترمذى وأحمد واللفظ للترمذى، وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ، فَقَالَ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) رواه الشیخان، والتتشبيه للرؤبة وليس للمرئي، ووجه الشبه عدم الشك برؤيته

تعالى كما لا يُشك برؤيه القمر ليلة القدر، وكان من سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعائه: (وَأَسْأَلُكَ لَدَّنَظَرٍ إِلَيْ وَجْهِكَ) رواه النسائي وأحمد.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على جواز رؤيته تعالى في الآخرة بلا كيف ولا مكان.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئياً للمؤمنين في الآخرة" اه.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والله تعالى يُرى في الآخرة يراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة" اه، وقال الإمام مالك رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين:15" ما نصه: "ما حجب أعداءه فلم يروه تجلٰ لأوليائه حتى يروه، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيمة لم يغير الكافرون بالحجاب" اه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، وقال الإمام الشافعي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين:15" ما نصه: "ما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونـه بالرضا" اه "رواـه السبكي في الطبقات"، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمـه الله في عقـيـدـته المشهورـة ما نصـه: "والرؤـيـة حقـ لأـهـلـ الجـنـةـ، بـغـيرـ إـحـاطـةـ وـلـاـ كـيـفـيـةـ، كـمـاـ نـطـقـ بـهـ كـتـابـ رـبـنـاـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ الـقـيـامـةـ:22ـ23ـ، وـتـفـسـيـرـهـ عـلـىـ مـاـ أـرـادـهـ اللهـ تـعـالـىـ وـعـلـمـهـ"اهـ.

قلت: وقد أجمع أهل السنة ومن وافقـهمـ علىـ رؤـيـةـ اللهـ تـعـالـىـ فيـ الـآخـرـةـ للـدـلـائـلـ المتواترةـ قـرـآنـاـ وـسـنـةـ فقدـ بلـغـ أحـادـيـثـ الرـؤـيـةـ مـبـلـغـ التـوـاتـرـ منـ روـاـيـةـ ثـمـانـيـةـ وـعـشـرـونـ مـنـ الصـحـابـةـ كـمـاـ بـيـنـهـاـ إـلـاـمـ العـلـامـ سـيـديـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ الـكتـانـيـ

الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، واستدرك عليه السيد العلامة المحدث سيد عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني الطنجي رحمه الله في كتابه (إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر) وقال: "ونص على تواترها أيضاً ابن كثير في تفسيره" اهـ.

الدليل العقلي على جواز رؤية الله تعالى:

الله سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يُرى، فالله تعالى يصح أن يُرى.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ لَكِنْ بِلَا كِيفٍ وَلَا انْحِصارٍ



مَبَحِثُ الرُّسْلِيَّاتِ

مبحث الرسليات

بعد الفراغ من ذكر العقائد المتعلقة بالله تعالى، وبيان براهينها؛ نشرع في بيان العقائد المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

اعلم أنه مما يجب على المكلف اعتقاده أن الرسل عليهم الصلاة والسلام مبعوثون من الله تعالى ليبلغوا أمره ونهيه ووعده ويعيده ويبيّنوا للمكلفين ما يحتاجون إليه من أمور دنياهم وأخرتهم حتى تقوم عليهم الحجة من غير وجوب عليه سبحانه تعالى فهم سفارٌ بين الحق سبحانه وتعالى وأولي الألباب من خليقه، فالإرسال والإنباء هو فعل من أفعال الله تعالى الجائزة، وأفعاله تعالى لا تتصف بالوجوب خلافاً لمن قال بوجوبها، بل هو متفضل بها على عباده، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: 165)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَن نَّزِيلَ وَنَخْرُجِ﴾ طه: 134، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ فاطر: 42.



فصل

الرَّسُولُ وَالنَّبِيُّ

إن الإيمان بالأنبياء والمرسلين واجب على المكلفين لأنه ركن من أركان الدين، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^{البقرة: 285} وقد اصطلاح أهل الحق على أن الرسالة: هي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقه، يُزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة.

والرسول: هو إنسان، ذكر، حُرُّ، يأتي بشرع جديد من الله عز وجل، يُؤمر بتبلیغه، ويكون ناسخاً لشرع الرسول الذي قبله.

- قوله "إنسان": خرج به الملائكة والجن، إذ ليس في الجن رسول وإنما هم رسول الإنس إلى الجن، وأما الملائكة ففيهم الرسل، لكن ليس الكلام هنا على رسليهم إنما الكلام على رسلي الإنس لأن ذكرهم هو المقصود.

- قوله "ذكر": خرج به الأنثى والختن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^{يوسف: 109}.

- قوله "حر": خرج به العبد، لأن شغاله بخدمة سيده، ولأن العبودية هي عقاب تأدبي لمن رفض الانصياع للحق بعد عرضه عليه، وهو هنا مستحيل شرعاً في حق الرسل والأنبياء قبل النبوة وبعدها، إذ يستحيل عليهم كل وصف دني يقدح في مقاماتهم العالية، وأي قدح أكبر من وصفهم بالعبودية للبشر، فالله حفظهم من ذلك قبل النبوة وتسمى "إرهاصاً" وبعد النبوة وتسمى "عصمةً"، فهو تعالى تولى حفظ وعناية

أوليائه بأكثر من هذا فكيف بأنبيائه؟ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾⁶² يونس:62 وبناءً عليه فكل ما قيل في حق سيدنا يوسف عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام من أنه كان عبداً لا يصح ولا بوجه من الوجه؛ لأن القاعدة العقائدية أن ما وجب لنبي وجب لكل الأنبياء قال تعالى: ﴿لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾²⁸⁵ البقرة:285 كما سنبينه لاحقاً.

أما ما حدت لسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى لما أراد خلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من الجب أزعج خواطر السيارة بأن أعدمهم الماء حتى احتاجوا إلى الاستقاء ليصل يوسف عليه الصلاة والسلام إلى الخلاص عناءً منه سبحانه وتعالى لنبيه والقصة مذكورة بتفاصيلها في القرآن الكريم فتدبرها، وخلاصتها أن الله سخر له عزيز مصر وكان مؤمناً، بأن حمله إلى بيته حيث طلب من زوجه أن تعني به وتكرم مثواه، وتتلطف به وذلك لما سمع من غرائب أحواله من السيارة الذين أتوا به من أرض فلسطين، ففترس به أن يكون له شأن عظيم راغباً فيه أن يكون ابنًا له، وذلك كله لا يكون من شأن العبيد، وهو أقل ما يناسب مقام النبوة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مَصْرَ لِأُمْرَاتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾²¹ يوسف:21، فتبصر أيها الطالب للحق في قدرة الله وعناته بأحب خلقه حيث نقله من بلاد الشام إلى مصر ليُعلي شأنه ويعظم قدره، فلا تتسرع بإصدار الأحكام بمقاييس الوهم جزاً فتفقع بما يغضبه الله بسبب إذانتك وتنقيصك من مقام أحب الخلق إليه كما بينته في رسالتي " وجوب التصديق بتنزيله يوسف الصديق".

• وقولنا "يأتي بشرع جديد": خرج به النبي؛ لأنّه متبع لشرع الرسول الذي قبله.

• وقولنا "ويكون ناسخاً لشرع الرسول الذي قبله": إما أن يكون النسخ بالكلية لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَاجًا﴾^{المائدة: 48}، وإما بالجزئية لبعض أحكام شريعة الرسول الذي قبله، لقوله تعالى في حق سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَلَا حِلَالَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^{آل عمران: 50}، والنـسخ يكون في فروع العبادات والمعاملات، ولا يدخل في أصول العقائد ومتعلقاتها.

أما النبي: هو إنسان، حر، يوحـى إـليـه من الله عـز وجـلـ، ويـكون مـتـبعـاً لـشـرـعـ الرـسـولـ الذـيـ قـبـلـهـ، وـيـؤـمـرـ بـتـبـلـيـغـهـ.

وبناء على ما تم بيانه يتضح لك أن معنى الرسالة مغاير لمعنى النبوة، فالرسالة أعم، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾^{الحج: 52}، فعطـفـ النـبـيـ عـلـىـ الرـسـولـ فـيـ الـآـيـةـ يـوجـبـ المـغـايـرـةـ، وـلـماـ جـاءـ مـنـ حـدـيـثـ آـبـيـ ذـرـ، قـالـ: قـلـتـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ! كـمـ التـبـيـوـنـ؟ قـالـ: (مـائـةـ أـلـفـ نـبـيـ وـأـرـبـعـةـ وـعـشـرـونـ أـلـفـ نـبـيـ)، قـلـتـ: كـمـ الـمـرـسـلـوـنـ مـنـهـمـ؟ قـالـ: (ثـلـاثـ مـائـةـ، وـثـلـاثـةـ عـشـرـ) "رواه البيهقي في السنن وشعب الإيمان، والطبرـيـ فـيـ التـارـيـخـ، وـعـنـدـ اـبـنـ حـبـانـ فـيـ صـحـيـحـهـ بـزيـادـةـ (جمـ غـفـيرـ) وـكـذـلـكـ صـحـحـهـ الحافظ اـبـنـ كـثـيرـ وـابـنـ حـجـرـ".

تنبيه:

اعلم وفقني الله وإياك لما فيه الخير أن النبوة لا تختص بالذكر، بل يجوز عقلاً وشرعاً أن تكون في النساء، كما هو الحال مع السيدة مريم عليها الصلاة والسلام؛ لأن علماء أصول الإعتقاد أصلوا وأجمعوا واتفقوا أن الملائكة لا تنزل ولا تُكلـمـ بـصـفـتـهاـ الروـحـانـيـةـ إـلـاـ الرـسـلـ وـالـأـنـبـيـاءـ، وـقـدـ جـاءـتـ الـآـيـاتـ القرـآنـيـةـ دـالـةـ عـلـىـ نـبـوـةـ

السيدة مريم عليها الصلاة والسلام، وهي مسألة تخفى على كثير من طلبة العلم، والسبب في ذلك التقليد فيما لا يصح فيه التقليد، رغم الإجماع المنعقد أنه لا يصح التقليد في العقائد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران:42، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيْمَ﴾ آل عمران:45، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِلَيْيَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ عَلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم:18-19، وصيغة الملائكة هنا تفيض بالتعظيم والمقصود بها جبريل أمين الوحي، والآيات في نبوة مريم كثيرة وكثيرة جداً وهي صريحة في نزول الوحي على السيدة مريم عليها الصلاة والسلام وما جاء فيها قرآنًا فاق كثيراً مما جاء لإخواتها من الأنبياء ويكتفي أنها ذكرت في سورة الأنبياء معطوفةً عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيْمَ إِذْ اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مريم:16، وقد بينت كل ذلك برسالتي "القول المتيم بنبوة السيدة مريم" فتبصر وتدبّر واهجر التقليد في العقائد لأنّه غالباً لا يأتي بخرين.

ولما جاء في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم: (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةِ نِسَاءِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ لِمَرِيْمَ بِنْتِ عَمْرَانَ) رواه النسائي وأحمد وأبي يعلى في مسنده وفي الحديث دلالة على نبوة السيدة مريم عليها الصلاة والسلام؛ لأن كلمة "إلا" جاءت للإستثناء وما بعد الاستثناء يفيد حكمًا زائداً كما قرره علماء الأصول، وما هو الزائد على نساء العالمين إلا النبوة فتدبر!!.



فصل

بيان عدد الأنبياء والمرسلين

عليهم الصلاة والسلام

يجب على المكلف أن يؤمن بأن الله رسول وأنبياء على الإجمال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ "غافر: 78"، فلا يوجد في الآية تعلق وتمسك بعدد الأنبياء والمرسلين، بل هو بيان من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنا أرسلنا يا محمد رسولًا من قبلك إلى أمّهم منهم من قصصنا عليك نبأهم وحكاياتهم ومنهم من لم نقصص عليك نبأهم وحكاياتهم والقرآن يشرح بعضه ببعضًا، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَسِيدٌ﴾ "هود: 100"، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أُوحَيْنَا إِلَيْكَ هُذَا الْقُرْآنُ﴾ "يوسف: 3" وأما بيان عددهم فقد جاء في حديث أبي ذري السابق، والإجماع الذي نقله الإمام أبو منصور البغدادي في (أصول الدين) فقال: "أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما وردت به الأخبار الصّحيحة، أو لهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم" اهـ.

أما ما جاء به القرآن فيجب الإيمان به على التفصيل، والمتفق عليه خمس وعشرون في كتاب الله، وقد جمعت سورة الأنعام ثمانية عشرنبياً، وذلك في قوله

تعالى: ﴿وَتَلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوَدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجَزِي الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلُّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ "الأَنْعَام": 83-86، والباقيون: آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَنِي آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ "آل عمران": 33، وإدريس عليه السلام قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ "مريم": 56، وشعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ "الشعراء": 177-178، وصالح عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ "الشعراء": 142، وهود عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ "الشعراء": 124-125، وذو الكفل عليه السلام قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ "ص": 48، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ "الأحزاب": 40.

قال الشيخ العلامة إبراهيم المارغني المالكي التونسي رحمه الله:

قَدْ وَجَبَ الْإِيمَانُ تَفْصِيلًا عَهِمْ	خَمْسٌ وَعِشْرُونَ مِنَ الرُّسُلِ بِهِمْ
هُمْ آدُمٌ إِدْرِيسُ نُوحُ شُعَيْبٌ	وَفِي الْكِتَابِ ذُكِرُوا بِدُونِ رَيْبٍ
إِسْحَاقُ صَالِحٌ كَذَا يَعْقُوبُ	ذُو الْكِفْلِ إِلْيَاسُ الْيَسَعُ أَيُّوبُ

هَارُونُ لُوطٌ زَكَرِيَا مُوسَى
 يُوسُفُ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ عِيسَى
 يَحْيَى سُلَيْمَانُ گَدَّا دَاؤْدُ
 مُحَمَّدٌ خَاتَمُهُمْ وَقُلْ يَحْبُّ
 وَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَوْلَ الرَّسُولِ سَيِّدُنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرُهُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ
 عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ "آل عمران: 33"، وَلِحِدْيَةِ أَيِّ أُمَّامَةٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّيِّ كَانَ
 آدَمُ؟ قَالَ: (نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ)" رواه ابن حبان والطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك وقال

الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح، وقد أجمع أهل الحق على ذلك، قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في (أصول الدين) ما نصه: "أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين محمد صلى الله عليه وآلته وسلم" اهـ.



أولاًً: الصفات الواجبة للرسل والأنبياء

ذهب أهل الحق أن النبوة لا تكتسب بالجهد والإجتهاد في العبادات، إنما هي هبة من الله تعالى تفضل بها على من اختصه من عباده، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ دُوِّ
الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيَنذِرَ يَوْمَ الْثَّلَاثَةِ﴾¹⁵، وقال
تعالى: ﴿الَّهُ أَعْلَمُ حِينَ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾¹⁶ الأنعام:124، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَخْرُثُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾¹⁷ طه:13، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾¹⁸ البقرة:269.

قال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله في (عقيدة أهل التصوف) ما نصه:
”ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتبعه الأنام على لسان الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه“ اهـ.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةً مُكَتَّبَهُ وَلَوْرَقَ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَهُ
بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِنْ

واعلم أن الرسل والأنبياء بشر في أصل الخلقة لكنهم ليسوا كالبشر بما ميزهم الله
ووهم من صفات الكمال، فهم أكملخلق صورةً ومعنىً، وأظهراً وباطناً،
قال تعالى: ﴿وَلَلَّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾¹⁹ الأنعام:86.

وهم مبرؤون من كل عيب ونقص في أجسادهم أو قبح في صورهم ينافي كمال
خلقتهم كالبكم والصمم والعمى والعور والعرج والحدب والعنفة والجب والأذرة
وغير ذلك مما يشين أو يغض من أقدارهم ووجاهتهم قبل النبوة وبعدها، فكل ما ينافي

كمال الخلقة فهو مستحيل عرضي بالشرع وإن كان جائزًا عقلاً لأنه ينافي أصل النبوة، وقد رمت بني إسرائيل موسى عليه السلام بداء الأدمة - انتفاخ الخصية - مع أن سيدنا موسى عليه السلام تزوج بنت شعيب الرجل الصالح من مدین، وقد برأه الله ما قالوا كذباً وزوراً، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ "الأحزاب": 69.

فلهذا يجب لهم من الصفات ما يحقق المقصود من إرسالهم لذاتهم إجمالاً مثل الصدق، والأمانة، والتبلیغ، والفتانة، وهي صفاتٌ جامعَةٌ لكل معانٍ الكمال في حقهم، مانعةٌ من كل معانٍ النقص التي قد نتوهمها في حقهم عليهم الصلاة والسلام، فعن قتادة، قال: (ما بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهُ، حَسَنَ الصَّوْتُ، وَكَانَ نَبِيًّا كُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ الْوَجْهُ حَسَنَ الصَّوْتِ) رواه الترمذی في الشمائی، ورواه ابن عساکر في تاريخ دمشق عن قتادة عن أنس.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسی المالکی رحمه الله:

يَحِبُّ لِلرَّسُولِ الْكِرَامِ الصَّدْقُ أَمَانَةُ تَبْلِيلِ يَعْهُمْ يَحِبُّ

قلت:

ثُمَّ الْفَطَانَةُ لَهُمْ حَقٌّ فَمَيِّزَ الْكَذِبَ مِنَ الصَّدْقِ



صفة "الصدق"

اصطلاحاً: هو مطابقة الخبر للواقع مطابقةً تامة، مثل إخبار الأنبياء بأنهم أرسلوا إلى الخلق وكل ما يتعلق بالوحي، والصدق ثابت للرسل والأنبياء الكرام في دعواهم النبوة والرسالة، وكذلك يجب لهم الصدق حتى في الكلام المتعلق بأمور الدنيا ولو كان مزاحاً، فلا يقع منهم الكذب في شيء من ذلك كُلِّه لا عمداً ولا سهواً.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الصدق في حقهم عليهم الصلة والسلام:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: 4)، وقال تعالى: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: 52)، وقال تعالى: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (الأحزاب: 22).

- من السنة المشرفة: عن جعفر بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَحِدُونِي بِخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا) رواه البخاري والطبراني في المعجم الأوسط، ول الحديث الحسن البصري مرسلاً، قال: أَتْتُ عَجُوزًَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: (يَا أَمْ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ)، قال: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: (أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْ شَاءَ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ الواقعية: 35-37) رواه الترمذى في الشمائى والبغوى في معالم التنزيل وغيرهما، وعن أبي هريرة، قال: قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟ قَالَ: (إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا) رواه الترمذى وأحمد والطبراني في المعجم الأوسط وغيرهم، وعن أنس بن مالك، أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَهُنَّ تَلِدُ الْإِبْلَ إِلَّا التُّوقُ)"رواه أبو داود والترمذى وغيرهما".

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على وجوب صدق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال القاضي عياض اليحصبي المالكي رحمه الله: "أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ الْمُوْبِقَاتِ" رواه السفاريني في لوامع الأنوار.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "عَرَّفَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسُهُ بِلَا كِيفٍ، وَبَعْثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ وَبِبَيَانِ الْمَفَسَّلَاتِ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَإِثْبَاتِ الْحَجَةِ وَتَقوِيمِ النَّاسِ عَلَى مَنْهَجِ الْإِخْلَاصِ فَصَدَقَتْهُ بِمَا جَاءَ بِهِ" اهـ. دفع شبه من شبهه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، للإمام تقي الدين الحصني الشافعي.

قال الإمام أبو بكر الباقلاني رحمه الله في (الإنصاف) ما نصه: "ويجب أن يعلم: أن صدق مدعي النبوة لم تثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديهم بالإتيان بمثل ذلك" اهـ.

الدليل العقلي على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالصدق:

لأنهم لو لم يكونوا صادقين للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: (صدق عبدي في كل ما يبلغ عنني)، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى، وما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب وهو وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام في كل ما جاؤوا به.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوْلَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ لِلَّزْمِ أَنْ يَكُثُرَ إِلَهٌ فِي تَصْدِيقِهِمْ
إِذْ مُعْجِزِتُهُمْ كَقَوْلِهِ، وَبَرَّ صَدَقَ هَذَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ خَبْرٍ

المعجزة

- اصطلاحاً هو أمرٌ خارقٌ للعادة، يظهر على يد مدعى النبوة أو الرسالة، مقررون بالتحدي، موافقٌ للدعوى، سالمٌ عن المعارضة بالمثل، دالٌ على صدق المدعى.
- قوله "خارج للعادة": خرج بذلك غير الخارج للعادة، وهو ما اعتاده الناس واستمرروا عليه، كغرائب المخترعات وال موجودات.
 - قوله "يظهر على يد مدعى النبوة أو الرسالة": ليعلم أنه تصديق له فخرج بذلك الكراهة، والمعونة، والإستدراج، والإهانة.
 - قوله "مقررون بالتحدي": خرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة، والآية وهي ما كانت بعد النبوة.
 - قوله "موافق للدعوى": خرج بذلك الإهانة لأنها مخالفة للدعوى، مثال ذلك ما إذا قال: علامة صديق انفلات البحر، فانفلق الجبل.
 - قوله "سالم عن المعارضة بالمثل": خرج بذلك السحر والشعوذة لأنه يعارض بمثله وبأقوى منه.
 - قوله "دالٌ على صدق المدعى": خرج بذلك ما إذا كان مُكذب له، مثال ذلك إذا قال: علامة صديق نطق هذا الحجر فنطق بما هو مخالف له، كقوله: أنت مفتر كذاب.

وَمِنْ شَرِوطِهَا:

- أن تكون قولهً أو فعلًاً أو تركًا، فالأول كالقرآن، والثاني كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.
- ألا تكون في زمن نقض العادة، كزمن طلوع الشمس من مغربها، وما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر، وللأرض أن تنبت فتنبت، وللنوز أن تخرج فتخرج، وكذلك كل ما يظهر على يديّ الدجال.

وَمِنْ الْمَعْجَزَاتِ الْخَاصَّةِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعْجَزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ

يجب الإيمان بالإسراء والمعراج، وهو من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم وأنه كان بالجسد والروح، وإسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكباً البراق بصحبة سيدنا جبريل عليه السلام، فنزل وصلى بالأنبياء عليهم السلام إماماً، ثم عرج به إلى السماوات العلا، ثم إلى سُدْرَة المُنْتَهِي، ثم إلى مستوىً سمع فيه صريف الأقلام، وقد رأى الملائكة والأنبياء في منازلهم ودخل الجنة، ورأى النار، وافتراض عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس، وسمع كلام الله الأزلية، ثم رجع في ليلته إلى مكة، وكل ذلك كان بروحه وجسده صلى الله عليه وآله وسلم يقظةً لا مناماً.

وحادثة الإسراء والمعراج هي الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسماء ولم يشاركها فيها نبي ولا ملك، التي إذا تدبرها ذو فهم وعقل وبصيرة علم أن الله قد جمع

له فيها شرف المنازل والرتب، وفضله بها على الأولين والآخرين، ومن أنكر الإسراء والمعراج فقد نزع ربوة الإسلام من عنقه، إلا قريب عهد بالإسلام أو قادم من المناطق النائية.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالإسراء والمعراج:

- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لِرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^{الإسراء: 1}، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَعْشَى السَّدْرَةَ مَا يَعْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^{النجم: 13-18}، والمقصود بالرؤبة هنا رؤية سيدنا جبريل عليه السلام.

- من السنة المشرفة: عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أُتُّيَتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ)، قال: (فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أُتُّيَتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ)، قال: (فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ)، قال (ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ حَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكْرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ التَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتَحَ لَنَا

فإذاً أنا بيوسف صل الله عليه وسلم، إذاً هو قد أعطى شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بياضريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: «ورفعناه مكاناً علىياً»، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صل الله عليه وسلم، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى صل الله عليه وسلم، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صل الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابراهيم صل الله عليه وسلم مُسِنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كاذان الفيلة، وإذا ثمرها كالمقال، قال: (فلما غشيتها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينتبه من حسنه، فأوحى الله إلى ما أوحى، ففرض على حمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى صل الله عليه وسلم، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: حمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوتبني إسرائيل وخبرتهم)، قال: (فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب، حفف على أمتي، فحط عني حمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني

خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّحْكِيفَ)، قَالَ: (فَلَمْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرُ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُوهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُوهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)، قَالَ: (فَنَزَّلْتُ حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّحْكِيفَ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيِيَتْ مِنْهُ) "روا
مسلم"، والأحاديث في هذا الباب كثير ومتواترة، نص على ذلك الحافظ أبو عمر الخطاب بن دحية في كتاب التنوير في مولد السراج المنير، من روایة ستة وعشرون من الصحابة، ونقله ابن كثير في تفسيره.

وعن مسروق قال قلت للسيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: "لَقَدْ قَفَ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكُمْ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْحَبِيبُ﴾" الأنعام: 103، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾"الشورى: 51...، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ" رواه البخاري".

وقد اعتبر المحققون من العلماء الخارق للعادة ثمانية أنواع:

1- الإرهاص، وهو: ما يقع للنبي قبلبعثه ويسمى تأسيساً، مثل كلام عيسى عليه السلام في المهد، وإظلال الغمام له صلى الله عليه وآله وسلم، وشق صدره صلى

الله عليه وآله وسلم كما ثبت في صحيح مسلم، وجود طعام الصيف في فصل الشتاء للسيدة مريم عليها السلام وطعم الشتاء في فصل الصيف مع الحفاظ على منافعه في الصيف والشتاء كما جاء به القرآن.

2- المعجزة، وهي: ما يقع للنبي بعد بعثته متحدياً بها قومه، مثل النار التي لم تحرق إبراهيم عليه السلام، وعصى موسى عليه السلام التي انقلبت ثعباناً، وإحياء الموتى ليعسى عليه السلام، والقرآن الكريم والإسراء والمعراج وهو من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم وانشقاق القمر وغير ذلك كثير، وهذا الخارق إما أن يكون بطلب النبي ورغبته وإما إكراماً وهبةً من الله لنبيه تعظيمًا له ولملكانه عند خالقه وتنبيهاً للعباد على رسالته.

3- الآية، وهي: ما يقع للنبي بعد بعثته لا بقصد التحدي، مثل: نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحنين الجذع له.

4- الكراهة، وهي: ما يقع على يد مؤمن صالح، غير مقرؤن بدعوى النبوة، منقاد للنبي ومصدقاً له، مثل ما وقع لنوم أهل الكهف ثلاثة مائة سنين وتسعة، قال تعالى: ﴿وَلَيَثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِينِينَ وَأَرْدَادُوا تِسْعَاً، قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيَثُوا﴾ "الكهف: 25-26"، ومثل ما وقع لآصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتد إليه طرفه، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ "النمل: 40"، وما تواتر من وقوع

الكرامات لكثير من الصحابة، قال الإمام التاج السبكي رحمه الله في معيد النعم ومبيد النقم: "كان عمر رضي الله عنه قد أمر سارية بن زنيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: "يا سارية! الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم" "ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة بلفظ آخر"، وأخرج أبو نعيم من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه قال: عرض لعلي عليه السلام رجلان في حكومة، فجلس في أصل الجدار، فقال رجل: يا أمير المؤمنين الجدار يقع، فقال علي عليه السلام: امض كفى بالله حارساً، فقضى بينهما، وقام ثم سقط الجدار، وأخرج أيضاً عن عمارة بن ياسر قال: حَدَّثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا بِحَدِيثٍ فَكَذَّبَهُ، فَمَا قَامَ حَتَّى أَعْمَى، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة من جهة ليث ابن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر أن علياً عليه السلام حمل الباب يوم خير، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً، وقد كثرت الكرامات فيما بعد زمن الصحابة والتابعين، فدونها العلماء في كتب مستقلة كالخلية لأبي نعيم الأصبهاني، والرسالة القشيرية للإمام القشيري، وطبقات الأولياء للشعراني، وغيرهم الكثير.

5- المعونة أو التأييد، وهي: ما يقع لمؤمن من تفريح كربة، أو إنقاذ من أزمة، من غير سعي منه، ولا استعانة بأحد من الخلق.

6- الإهانة، وهي: ما يقع للمنتبي - أي مدعى النبوة - بنقيض قصده، مثل ما يحكي: أن مسلمة الكذاب مسح بيده رأس صبي فقرع، وتفل في بئر فنصب ماوها وصار ملحاً، وتفل في عين أبور لتبرأ فعميت الصالحة.

7- الإستدراج، وهو: ما يظهر على يد فاسق خديعةً ومكرًا به.

8- السحر، وهو: قواعد يقدر بها الساحر على أفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعد السحر وعلومه، ويمكن اكتسابه بالتعلم.

فيتبين من هذا أن الخارق بالنسبة للنبي ثلاثة أنواع: إرهاص، معجزة، آية. وأعلم أن كل معجزة آية ولكن ليس كل آية معجزة فوجب التفريق بين ما هو عام وخاصة.

فائدة:

كرامات الأولياء حق، وإنكارها مكابرة، فالولي همه إرضاء الله تعالى لا حصول الكرامة، ولذا نقل القشيري في رسالته عن أبي علي الجوزجاني قوله: "كُنْ صَاحِبَ الْإِسْتِقَامَةِ، لَا طَالِبَ الْكَرَامَةِ، فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَرَبُّكَ يُطَالِبُكَ بِالْإِسْتِقَامَةِ" اهـ.

وبناء على ما سبق، فإن كرامة الولي، إنما هي حقيقتها معجزة للنبي، إذ أن ذلك الولي ما أعطيها، إلا باتباعه للنبي.

قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والآيات للأنبياء والكرامات للأولياء حق" اه، وقال الإمام محي الدين النووي رحمه الله في كتاب (بستان العارفين) ما نصه: "اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول، وأما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه، ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقع، وأما النقول: فآيات القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة" اه.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَأَئْبِتَنْ لِلْأَوْلَى إِلَيْهَا الْكَرَامَةُ
وَمَنْ نَفَاهَا فَأَنْبَذَنْ لَهُ الْكَلَامَةُ

قال الإمام البوصيري المصري رحمه الله:

وَالْكَرَامَاتُ مِنْهُمْ مُعْجِزَاتٌ
حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلَى إِلَيْهَا

فائدة:

اعلم أن المعجزات وسائر السمعيات يُكتفى فيها بخبر الواحد الصحيح بلا نزاع عند أهل الحق، لأنهم أجمعوا أن ما جاز في العقل وورد بوقوعه السمع وجب قبوله وحمله على ظاهره، وقد صرخ بذلك كثير من العلماء كالنووي في شرحه على مسلم، والقاضي عياض في الشفا، وابن حجر في فتح الباري، قلت: وكل ما تفرع عن الأصل يكفي فيه خبر الآحاد.



صفة الأمانة

اصطلاحاً: المراد بها العصمة، أي حفظ الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم وجوارحهم من التلبس بما هو منهٰ عنه حسياً كان أو معنوياً، سواء قبل النبوة أو بعدها، أما قبل النبوة لثلاً يُعيرُهُم الناس بها بعد النبوة ويُسمى ذلك إرهاصاً، أما بعد النبوة فهي العصمة، فلا تقع منهم الكبائر ولا الصغائر ولا صغائر الخسنة ولا غيرها ولا ما يقع في المروءات ولو كان من المباحثات كأكل في قارعة الطريق قبل النبوة وبعدها، وكذلك حفظ جسدهم الشريف من كل مرض فيه تنفير، كالجذام والحرب والبرص، أما المعنوية فقد حفظ الله بواطنهم من الغل والحسد والبغض والجشع والبخل وكل معاصي القلب، ويُسمى صاحبها أميناً للأمن في جهته من كل ما سبق كما مر آنفاً. ولسيعلم أن أفعال الأنبياء محصورة في الطاعة وهي الواجب والمندوب، فلا يفعلون المباح تشهياً، وإذا وقع منهم صورة ذلك فهو للتشريع، فينقلب واجباً أو مندوباً في حقهم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الأمانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ "الشعراء: 107"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ "الأنفال: 58"، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ "الأنبياء: 51".

- **من السنة المشرفة:** عن أبي رافع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (والله إنّي لأمين في السماء، أمين في الأرض...) رواه الطبراني في المعجم الكبير وغيره، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَيْنِي قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ

تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (ا كُتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقًّ) "رواه أحمد وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهما".

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام.
قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين): "أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها، وأما السهو فليس من الذنوب فلذلك جاز عليهم" اهـ وهو من قبيل التشريع.

الدليل العقلي على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالأمانة:

لو فعلوا محرماً أو مكروهاً لكننا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمر بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، وهو لا يأمر بمحرم ولا مكروه، فأصبح هذا الأمر منهياً عنه بإعتبار، ومأمور به باعتبار آخر، فلما كان صدور المحرم يفضي إلى هذين الضدين الباطلين، كان صدور الفسق عنهم محال وما أدى إلى المحال فهو محال.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَوِ اسْتَقَى التَّبْلِيقُ أَوْ خَانُوا حُتِمْ أَنْ يُقْلَبَ الْمَنْهِيُّ ظَاعَةً لَهُمْ



صفة "التبليغ"

اصطلاحاً هي إيمانهم كل ما أمروا بتبليغه للخلق، لا ينكرون منه شيئاً، لأنسياً ولا عمداً قبل التبليغ، أما بعد التبليغ فيجوز عليهم النسيان وذلك لحكمة التشريع.

واعلم أن ما جاؤوا به من عند الله تعالى أقسام ثلاثة:

- 1- قسم أمروا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.
- 2- قسم أمروا بكتمانه، فلم يبلغوا منه حرفاً.
- 3- قسم خيروا بتبليغه، فبلغوه من كان أهلاً.

فيجب على الرسل والأنبياء التبليغ، لثبوته في صريح القرآن والسنة وموافقته لصريح العقل، فقد أخذ الله الميثاق على العلماء بالتبليغ والتبيان، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُّمُونَهُ﴾ آل عمران: 187 فإذا كان هذا حال العلماء المتبعين للأنبياء والمرسلين، وقد توعد الشرع في صريح الكتاب والسنة الذين يكتمون العلم ولا يبينونه للناس باللعنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾ البقرة: 159، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ جِيَءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) رواه أبو داود والترمذمي والحاكم في المستدرك وغيرهم، وبهذا يتبيّن أن العالم واجب عليه التبليغ فمن باب أولى وجوب التبليغ على الأنبياء والمرسلين وهو من قبيل الاستدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى، وكذلك شرع من قبلنا هو شرع لنا ما لم يأتي ناسخٌ، وكل ذلك يفيد وجوب التبليغ.

ويجوز على الرسل الكرام نسيان ما كان من قبيل فضائل الأقوال والأفعال ولكن بعد التَّبْلِيغ، أما ما كان من قبيل الثوابت كالصلوة والصوم والحج والزكاة والمواريث والدماء والفروج وغيرها من الأركان فلا، ويجوز النسيان مع التلبس بالفعل لحكمة التشريع، فقد روى الإمام مالك في الموطأ بخلافاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنِّي لَا أَنْسَى وَلَكِنْ أَنْسَى لِأَنْسَنَ) وصححه القاضي عياض في الشفا، وقد سها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خمسة مواضع:

1- أنه سلم من ركعتين، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشِيِّ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشْبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَأَتَكَ أَعْلَيْهَا كَانَهُ غَضِبَانُ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّاكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَاهِرِ كَفِهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَتِ السَّرَّاعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: قُصِّرَتِ الصَّلَاةُ؟ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِسِيتَ أَمْ قُصِّرَتِ الصَّلَاةُ؟ فَقَالَ: (لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ، فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟) فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَرَ، ثُمَّ كَبَرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَرَ فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ، ثُمَّ سَلَّمَ.

2- وأنه سلم من ثلاث ركعات، كما جاء عند مسلم عن عمران بن الحصين قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَفِي لَفْظٍ: فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْخَرْبَاقُ، وَكَانَ فِي يَدِهِ طُولٌ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَرَ لَهُ صَنِيعَهُ، فَخَرَجَ غَضِبَانٌ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى انتَهَى إِلَى

النّاسِ فَقَالَ: (أَصَدَقَ هَذَا؟) قَالُوا: نَعَمْ، فَصَلَّى رَكْعَةً ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ.

3 - أنه سلم من خمس ركعات، وهو في الصحيحين عن ابن مسعود قال: أن النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم صلـى الظـهر خـمسـاً فـقـيلـ لـهـ: أـزيـدـ فـي الصـلاـةـ؟ فـقـالـ: (وـما ذـلـكـ؟) قـالـواـ: صـلـيـتـ خـمسـاـ، فـسـاجـدـ سـجـدـتـيـنـ بـعـدـماـ سـلـمـ.

4 - وأنه ترك التشهد الأول، كما رواه الشیخان عن عبد الله بن بحينة أنه قال: صـلـى لـنـا رـسـوـلـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ رـكـعـتـيـنـ مـنـ بـعـضـ الـصـلـوـاتـ، ثـمـ قـامـ، فـلـمـ يـجـلسـ، فـقـامـ النـاسـ مـعـهـ، فـلـمـ قـضـىـ صـلـاتـهـ وـنـظـرـنـا تـسـلـيـمـهـ كـبـرـ قـبـلـ التـسـلـيـمـ، فـسـاجـدـ سـجـدـتـيـنـ وـهـوـ جـالـسـ، ثـمـ سـلـمـ.

5 - وأما ما ذكر من سجوده صلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ للشك فقد يستدل له بما رواه ابن مسعود قال: صـلـى النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ، قـالـ إـبـرـاهـيمـ: زـادـ أـوـ نـقـصـ، فـلـمـ سـلـمـ قـيـلـ لـهـ: يـا رـسـوـلـ اللـهـ حـدـثـ فـي الصـلاـةـ شـيـءـ؟ قـالـ: لـآـ، وـمـا ذـاكـ؟ قـالـواـ: صـلـيـتـ كـذـا وـكـذـا، فـتـنـيـ رـجـلـيـهـ وـاـسـتـقـبـلـ الـقـبـلـةـ فـسـاجـدـ سـجـدـتـيـنـ، ثـمـ سـلـمـ، ثـمـ أـقـبـلـ عـلـيـنـاـ فـلـمـ أـقـبـلـ عـلـيـنـاـ بـوـجـهـهـ قـالـ: (إـنـهـ لـوـ حـدـثـ فـي الصـلاـةـ شـيـءـ لـنـبـأـتـكـمـ بـهـ وـلـكـنـ إـنـنـاـ آـنـاـ بـشـرـ مـثـلـكـمـ أـسـىـ كـمـ تـنـسـوـنـ فـإـذـاـ نـسـيـتـ فـدـكـرـوـنـيـ وـإـذـاـ شـأـ أـحـدـكـمـ فـيـ صـلـاتـهـ فـلـيـتـحـرـ الصـوـابـ فـلـيـتـمـ عـلـيـهـ ثـمـ لـيـسـلـمـ ثـمـ يـسـجـدـ سـجـدـتـيـنـ) رواه البخاري".

أما في الفضائل فهو كثير، مثل ما روي في الصحيحين عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، أن النبي صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ سـمـعـ رـجـلـاـ يـقـرـأـ، فـقـالـ: (رـحـمـهـ اللـهـ، لـقـدـ أـذـكـرـنـيـ آـيـةـ كـنـتـ أـنـسـيـتـهـاـ).

وشهودهم عليهم الصلاة والسلام ناشئ عن اشتغالهم بالله سبحانه وتعالى، وما أجمل ما قاله "شارح المغارب" أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن قرقول المالكي:

يَا سَائِلِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ سَهَا وَالسَّهُو مِنْ كُلِّ قَلْبٍ غَافِلٌ لَاهِي
قَدْ غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِرُّهُ فَسَهَا عَمَّا سِوَى اللَّهِ، فَالْتَّعْظِيمُ لِلَّهِ
الأدلة النقلية على وجوب صفة التبليغ في حقّهم عليهم الصلاة والسلام:

- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79]، وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ
بِمَا تُؤْمِنُ﴾ [الحجر: 94]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُرِّلُ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيَّنَ لَهُمْ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64].

- من السنة المشرفة: عن أبي بكرٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ: (أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهِدْ، فَلْيَبْلَغْ الشَّاهِدُ الْغَايِبَ فَرَبَّ مُبَلَّغٍ
أَوْعَى مِنْ سَامِيعٍ) رواه البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله
عنها وعن أبيها قالت: (مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئاً
مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبَّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾"المائدۃ: 67)" رواه البخاري والترمذی وغيرهما.

وكل ما وجب للرسل يجب للأنباء لعموم الأدلة في ذلك وخاصة التبليغ بل هو واجب في حق العلماء وفي حق الأنبياء أوجب لأنهم مأمورين باتباع الرسل.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أنَّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بالتبليغ.

قال الإمام السبكي رحمه الله: "أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ وغيره" نقله القسطلاني في شرح المواهب الدنية في المنح الحمديّة.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجِبُ لِرَسُولِ الْكَرَامِ الصَّدْقُ أَمَانَةً تَبِلٍ يَغْهُمْ يَحِقُّ
الدليل العقلي على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالتبليغ:

لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق، لكننا مأمورين بكتمان بعض ما أوجب الله علينا تبليغه من العلم من احتاج إليه؛ لأن الله سبحانه أمرنا بالاقتداء بهم، والكتمان حرام، ملعون فاعله، و فعلهم للمحرمات مستحيل، لما علمنا من وجوب أمانتهم، وما أدى إلى المستحيل مستحيل، فلزم العكس، وثبت المطلوب، وهو وجوب صفة التبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

مُحَالُ الْكَذِبُ وَالْمَنْهِيُّ كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يَا ذَكَرِيٌّ

فائدة:

إن مما يجب أن يعلم أنَّ الرسل والأنبياء مأمورون بالتبليغ فيما أمروا بتبلیغه لا ينکرون منه شيئاً، وقد ظهر ذلك في بيان صفة التبليغ وأدلةها النقلية كما جاء في صريح الكتاب والسنة ولا يمنعه العقل السليم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ﴾ [الحج: 52]، فالآلية صريحة في إرسال الرَّسُول والنَّبِي من الله تعالى، فما العبرة من الإِرْسَال إن كان حال النَّبِي مخفياً، وكان غير مأمور بالتبليغ؟!.

وإنَّ في تعرُّض الأنبياء للاستهزاء والأذية والقتل، لأَكْبَر دليل على تبليغهم؛ لأنَّ ذلك القتل وتلك الأذية لا تكون في حَقِّ مُسْتَرٍ لا يُعرف حاله بين الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف: 7]، والآيات كثيرة في هذا المعنى.

ثم إنَّ الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق على العلماء بالتبليغ وعدم الكتمان قرآنَا وسنةً، وفي ذلك أَكْبَر دليل على تبليغهم عليهم الصلاة والسلام، فقد ذمَّ المولى تعالى الكاتمين وتوعدُهم بأشد العذاب قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْثُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَأْلَعُنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: 159]، فإذا كان هذا حال العلماء ورثة الأنبياء، فكيف بالأنبياء وهم أعلى مقاماً وورتبة، وهذا ما يعبر عنه بالاستدلال بالأدنى على الأعلى.

ول الحديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه آله وسلم: (أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِ...)، إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبَعِّثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبَعَثَتْ إِلَى النَّاسِ كَافَةً) "رواه البخاري"، وكيف يكون النبي مبعوثاً إلى الناس وهو مستورٌ عنهم غير مبلغ لهم؟ وقد بينت كل ذلك برسالتي "غاية المأمول في التفرقة بين النبي والرسول".

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
يَجْبُ لِرَسُولِ الْكَرَامِ الصَّدْقُ أَمَانَةُ تَبِيلٍ يَغْهُمْ يَحِقُّ



صفة "الفطانة"

اصطلاحاً هي كمال العقل وحدة الذكاء، لإلزام الخصوم وإبطال دعاويمهم الفاسدة، فلو وزن ذكاء نبي واحد من الأنبياء في كفة، وزن ذكاء أهل زمانه مجتمعين في كفة، لرجحهم ذكاؤه، وهكذا بقية الأنبياء في صفاتهم يفوقون أهل زمانهم مجتمعين وهم فيما بينهم متفضلين وتفضيلهم من الله لا دخل للعقل فيه، بخلاف ذكاء نبينا فإنه يرجح على كل المكلفين سابقين ولاحقين أنبياء ومرسلين وغيرهم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الفطانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَتَلَّكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ "الأنعام: 83"، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ حِدَالَنَا﴾ "هود: 32"، وقال تعالى: ﴿وَجَادُلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ "النحل: 125".

- من السنة المشرفة: عن السيدة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَوَاللهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُهُمْ لَهُ خَشْيَةً) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، ولا يكون صلى الله عليه وآله وسلم الأعلم إلا أن يكون الأعلم عقلاً وفهمًا، وما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لجميعهم؛ لأن منصبهم يقتضي ذلك قال تعالى: ﴿لَا تُنَقِّرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ﴾ "البقرة: 285"، ويدل عليه حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد، وأمهاتهم شتى) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، فلا تفريق بينهم فيما يجب وما يجوز وما يستحيل عليهم، إنما التفريق يكون فيما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض وهو تفضيل شرعي، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ "البقرة: 253".

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على وجوب الفطانة للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَرَاجِبٌ فِي حَقِّهِمُ الْأَمَائِةِ وَصِدْقُهُمْ وَضِفْلُهُ الْفَطَائِهِ
قلت:

نُّمَّ الْفَطَائِهِ لَهُمْ حَقٌّ فَمَيِّزَ الْكَذِبَ مِنَ الصَّدْقِ

الدليل العقلي على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالفطانة:

أن أداء رسالتهم لا يتم إلا بذلك؛ لأن من لم يكن فطناً أي مغفلًا لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة عن دعوته وإبطال شبهة المخالفين، ولأننا مأمورون بالاقتداء بهم في أقواهم وأفعالهم، والمقتدى به لا يصح أن يكون بليداً مغفلًا.

فائدة: ومما يدل على فطنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ طه: 114، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلْ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: 16-17، فالآياتان صريحتان في كونه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرك لسانه بالقرآن لحفظه وخشية ذهابه، وهذا من حدة ذكائه وفطانته، وقد شهد الله له بذلك بأنه لا ينسى وهذه إشارة باللغة على حدة ذكائه صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ الأعلى: 6.



ثانيةً: ما يستحيل على الرسل والأنبياء

ما يجب أن يعلم بأنه يستحيل في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كُل صفة نقيص تقدح في مقاماتهم العلية، وإن كُل معانٍ النقص مندرجة تحت أضداد الصفات الواجبة لهم.

فيستحيل عليهم الكذب: وهو ضد الصدق، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ تَقَوَّلْ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^{الحقة: 43.}

وَتَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْخِيَانَة: وهي ضد الأمانة، فلو وقع المحرم منهم لوجب زجرهم؛ لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محروم شرعاً وغير جائز ولا بوجه من الوجوه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُنُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^{الأحزاب: 57.}

وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْكَتْمَانُ: أي كتمان شيء مما أمروا بتبلیغه وهو ضد التبلیغ، إذ كيف يقع منهم، وقد شهد الله تعالى لهم بالتبلیغ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلَّغُونَ رسالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^{الأحزاب: 39.}، وقال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رسالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطُوا بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^{الجن: 28.}، وقد أذن لهم عليهم الصلاة والسلام في إيصال بعض العلوم لبعض الخصوص دون العموم، كبعض ما خص به رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم آل بيته الأطهار عليهم السلام، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت:

أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِيَ كَأَنَّ مِشْيَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَرْحَبًا بِابْنِتِي) ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ إِنَّهُ أَسْرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: اسْتَخَصِّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ ثُمَّ تَبْكِينَ ثُمَّ إِنَّهُ أَسْرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِّكَتْ فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلَّتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْتَنِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا قِبَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلَّتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَسْرَ إِلَيَّ فَقَالَ: (إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوْلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحْوقًا بِي وَنَعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ) فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: (أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ) قَالَتْ: فَضَحِّكَتُ لِذَلِكَ "رواه الشیخان والتزمذی وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ عَلَیٌّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلَیٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِنْبَرِكُمْ هَذَا يَقُولُ: "عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ" رواه أبو يعلى في مسنده وابن حجر في المطالب العالية بزروائد المسانيد الشمانية، وغيرهما، وكذلك خصّ رسول الله صل الله عليه وآلله وسلم بعض أصحابه الكرام، فعن أبي هريرة قال: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ" رواه البخاري، وعن عمّار بن ياسر قال: "مَا عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهُدْ إِلَى النَّاسِ كَافَةً، وَلَكِنْ حُذْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وسلم قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْجَأُوا إِلَيْهِمْ) رواه مسلم.

وتحليل عليهم بلادة الذهن: وهي ضد الفطنة، ومعناها البلادة والغباء، فلا يجوز أن يكون الرسول بليداً، لأنهم قد أرسلوا لإقامة الحجة على المجادلين والمعاذين، ولا يكون ذلك من مغفل، ولأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف.

الأدلة النقلية على استحالة كل تلك الصفات في حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُمْ قَدْوَةً وَأَئِمَّةً هُدِيَ لِمَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ.

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ أَقْتَدِهِ﴾ "الأنعام: 90"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ "النحل: 120"، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَفْعَلُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتَنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ "الصف: 3"، وقال تعالى: ﴿وَلَلَّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ "الأنعام: 86".

- من السنة المشرفة: عن قتادة، قال: (مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ) رواه الترمذى في الشمائل، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن قتادة عن أنس.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على وجوب كل كمال خلقي وخلقي في الصورة والمعنى لهم عليهم الصلاة والسلام، فهم أجمل الناس في الصورة، وأنسخ الناس في الكرم، وأشجع الناس في قول الحق والدفاع عنه، وهكذا في الباقي.

الدليل العقلي على استحالة هذه الصفات على الرسل الكرام:

إن هذه الصفات، صفات نقاء وعيوب، والأنبياء والمرسلين أئمة هدى، وإمام الهدى هو الذي يقتدي به، فلو صدرت منهم هذه الصفات لكنا إما مأمورين بالإقتداء بهم وهذا لا يجوز، أو غير مأمورين وهذا باطل، فلما كان تلبسهم بهذه الصفات يُفضي إلى هذين القسمين الباطلين كان صدور هذه الصفات منهم محالاً لأسباب كثيرة ذكرها علماء التوحيد منها:

أولاً: لو كانوا موصوفين بمثل هذه الصفات لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا﴾ "الحجرات: 6" فالآية صريحة في التثبت والتوقف في قبول شهادة الفاسق، وهذا باطل في حق الرسل فإن لم تقبل شهادتهم في الدنيا فكيف تقبل شهادتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ "البقرة: 143" ومن كان شهيداً على جميع الخلق استحال أن يتصرف بصفات تخلُّ بعصمته.

ثانيًا: لو كانوا موصفين بمثل هذه الصفات من الكذب والخيانة لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِيْكُفُورٍ﴾ [الحج: 38]، ولما ثبت باستحالة الكذب والخيانة وعدم التبلیغ وكل ما يخدش في صفات الكمال لهم.

ثالثًا: أجمع أهل الحق أن الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّاً فَضَلَّتْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 86]، وقد ثبت بالأدلة القطعية عدم صدور المعصية من الملائكة قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ [التحريم: 6]، فلو صدر من الأنبياء الفسق لامتنع أن يكونوا أفضل من الملائكة، وهو باطل، وما أدى إلى الباطل فهو باطل، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ﴾ [ص: 28].

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
مُحَالُ الْكَذِبِ وَالْمَنْهِيُّ كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يَا ذَكِيرِي



ثالثاً: ما يجوز على الرسل والأنبياء

يجوز في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى النقص في مراتبهم العلية؛ لأن لا يكون منهاً عنه، ولا مُبَاحًا مُزْرِيًّا، ولا مرضًا منفراً تعافه الأنفس وتنفر منه الطبع السليمة.

اعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام يتعرضون لما يتعرض له غيرهم من البشر من الأكل والشرب، والبيع والشراء، ودخول الأسواق، والزواج والطلاق، والموت والحياة، واللذة والألم، والصحة والمرض، والنوم لكن بأعينهم فقط دون قلوبهم، وخروج المني لكن بسبب امتلاء الأوعية دون الاحتلام، والشرط في جواز الأعراض البشرية عليهم أن لا يكون مؤدياً إلى نقص في مراتبهم العلية من حيث كونهم أنبياء، وكل ما كان من قبيل الجائز في حق عموم البشر، وواجب في حق الأنبياء والمرسلين فهو من قبيل الواجب العرضي أي أن الله أوجبه لهم، ومثله ما يستحيل في حق الأنبياء والمرسلين ويجوز في حق عموم البشر فهو من قبيل المستحيل العرضي أي أن الله جعله مستحيلاً عليهم ويسمى هذا قبل النبوة إرهاصاً وبعد النبوة معجزةً وكل ما لم يدخل تحت الواجب والمستحيل العرضيين في حقهم فهو باقي على أصله من قبيل الجواز.

وإن ما يقع عليهم من الأعراض البشرية لا يكون منهاً عنه لوجوب أمانتهم عليهم الصلاة والسلام كما مرّ معنا سابقاً، وكذا لا يكون مباحاً مُزْرِيًّا، أي محترراً، كسؤال الصدقة وقبوها، وكذا الأكل في الأسواق، وما شابه مما تأباء الأنفس الأبية، فإن هذه الأمور وإن كانت مباحة في أصلها، إلا أنها لا تليق بكمال قدرهم أن

يتلبسوا بها، لما أخرجه البخاري في الصحيح، (باب من تكلم بالفارسية والرّطانة)، عن أبي هريرة أنَّ الحسن بن عليٍّ عليهما السلام أخذ تمرة من تمْر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالفارسية: (كَيْخُ كَيْخٍ أَمَا تَعْرِفُ آنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ).

وإنَّ ما ينزل بهم عليهم الصلاة والسلام من البلاء والمرض لا يُعرِّضُهم لنفور الناس منهم، بل العكس، يزيد من رفعتهم وعلوٌ قدرهم في قلوب من سواهم، أمَّا الأعراض التي فيها نقصٌ كالجذام والبرص، والصمم والعمى، والبكم والشلل، والعرج والعور، والحسد والبغض والخوف، التي تتنافي مع أصل النبوة في حقِّ الأنبياء وأصل كمال الخلقة في حقِّ غير الأنبياء، فهي مستحيلةٌ عليهم بلا نزاع؛ لأنَّ تلبسهم بتلك الأعراض يستلزم نفور الناس عنهم، وذلك منافيٌ لما كلفوا به من دعوة الناس إلى دين الحق، فما قيل بأنَّ سيدنا شعيباً عليه السلام كان ضريراً، لا أصل له، إذ إنَّ العمى صفةٌ نقصٌ في حقِّ الْكُمَلِ من البشر فما بالكم بخيرة الله تعالى من خلقه وهو أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام!، وكذلك ما قيل في حقِّ سيدنا يعقوب عليه السلام من أنه أصيب بالعمى، باطلٌ مستحيل، وإنما حصلت له غشاوة من كثرة البكاء وزالت، وكذلك ما قيل من أنَّ الدود خرج من جسد سيدنا أيوب عليه السلام عند مرضه فهو أكذوبةٌ مع وجوب العلم أنه يستحيل على الدود أن يأكل أجسادهم بعد الموت فما بالك وهم أحياء!، والحاصل أنَّ اليهود فرطوا حتى استنقضوا الأنبياء ووصفوهم بأمور مُنْقِصة، والتَّنصاري أفرطوا في التَّعظيم حتى وصفوا سيدنا عيسى عليه السلام بصفات الألوهية، أمَّا أهل الحقِّ من المسلمين لم يُفْرِطوا فكانوا بين ذلك قواماً.

وليعلم بأن النبي لا يخاف خوف الجن، إنما يخاف خوف الوجل، وخوف التقصير في حق خالقه، وخوف الشفقة على من يحب، أما الخوف خوف جن من عدو أو من بطش ظالم وباغٍ، فإنَّ هذا الأمر يتربع عنه بعض الأولياء، فكيف بمقام النبوة! ثم اعلم أنَّ ما جاز عليهم من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، إنما هو بحسب ظواهرهم فقط، أما بواطنهم فهي متعلقة بحب رب البرية سبحانه وتعالى، لا يخلُّ مرضٌ ونحوه بشيءٍ منها، ولا يحصل منهم ضجر ولا شكوى ولا تأوه، بل لا يزيدهم ذلك إلا قرباً وحباً لله.

وإن التنبيه لمثل هذا الأمر مهم جدًا، فإن لذة المباح وشدة البلاء قد تشغل العامة من المؤمنين عن النية الصالحة، بل وعن عين الطاعة في الكثير من الأحيان، لكن خصوص المؤمنين الذين وفقهم الله تعالى لطاعته وحمده وشكره، فلا يقع منهم الفعل إلا مصحوباً بجميل النية فتنقلب إلى طاعة، ولا تشغله لذة مباح أو شدة بلاء عن مداومة ذكر الله تعالى في كل حال، وإذا كان هذا حال من تبع الرسل والأنبياء، فكيف يكون حالهم الشريف عليهم الصلاة والسلام!

هذا وإن ما ينزل بهم عليهم الصلاة والسلام من الأعراض لا يخلو من فوائد

وحكمة:

- كتعظيم أجورهم عليهم الصلاة والسلام، ورفع قدرهم ومكانتهم عند المولى سبحانه وتعالى.
- وتسلية قلوبهم الشريفة عن هذه الدنيا، أي التصبر على ما فيها، فيجدون الراحة عند شدة البلاء، ويأنسون بلذة أنسٍ لا يعرفه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- ثم تنبية قلوب المؤمنين إلى خسّة قدر الدنيا عند الله تعالى، وعدم رضاه تعالى بها دار جزاء لأوليائه فما بالك بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.
- والتسلية بأحوالهم الشريفة إذا نزل بنا بعض ما نزل بهم، إذ هم خير أسوة وخير فُدوة.

- والتشريع، فبفعله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم شرع لنا كثيراً من الأحكام الشرعية، كالتييم، وصلاة الخوف، وصلاة المرض، وغيرها من الأحكام.

الأدلة النقلية على جواز الأعراض البشرية في حقّهم عليهم الصلاة والسلام:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: 20)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَدُرْرِيَّةً﴾ (الرعد: 38)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبُتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: 144)، وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَ يَأْكُلُانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة: 75)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَا هُنَّ صَنْعَةَ لَبُوئِسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ بِأَسِكُمْ﴾ (الأنبياء: 80)، وقال تعالى: ﴿وَدَأْوَدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحُرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (الأنبياء: 78).

- من السنة المشرفة: وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكل وشرب ونام وتزوج وطلق وباع واشترى، وكذا غيره من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ول الحديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال: (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَائُكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطُرُ، وَأَصَلِّ وَأَرْقُدُ، وَأَتَرْوَجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) رواه البخاري.

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على جواز الأعراض البشرية دون المنفعة على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله في كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأتفقوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ... يأكل ويجوع، ويصح ويمرض" اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ كُلُّ عَرَضٍ لَّمْ يَسْمُوْدِيَاً لِنَقْصٍ كَالْمَرَضِ

الدَّلِيلُ الْعَقِلِيُّ عَلَى جَوازِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

هو مشاهدة وقوعها بهم لأهل زمانهم، فقد شوهد مرضهم وجوعهم وأذية الخلق لهم عليهم الصلاة والسلام، وقد نقل ذلك بالتواتر لمن بعدهم، فكأنهم يشاهدونها عياناً.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

جَوازُ الْأَعْرَاضِ عَلَيْهِمْ تَسْلٌ حِكْمَتِهِ وَقُوَّهُهَا بِهِمْ

خاتمة:

إن كل ما سبق من المعاني، والتنبيهات، هو لأجل تحقيق معنى الأصل الذي وجب لهم عليهم الصلاة والسلام، وهو وجوب كُلِّ كمال خلقي وخلقي في الصورة والحس والمعنى، وإن هذا هو المقصود والمراد، فمهما بلغت عبارتنا في حقهم عليهم الصلاة

والسلام من الجزالة والفصاحة، فإنها عن جليل رتبتهم الشريفة قاصرة، وعن كمال مقامهم جزماً ناقصة، فلقد مدحهم الخالق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^{القلم:4}، فلننتبه جيداً لهذا المقام الكريم، فقد قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُونَ وَتُوَقِّرُونَ وَتُسَبِّحُونَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^{الفتح:9}، وإنَّ فَهْمَنَا لِآياتِ القرآنِ الكريمة، وأحاديثِ السنة النبوية المطهرة، لابدَ وأن يكون مُنضبطاً بهذا الأصل، فأيُّ وَهُم ناقص، أو فَهْمٌ قاصرٌ لبعضِ الآيات والأحاديث، لابدَ أن يُردَّ، لمخالفته الأصلِ الكريم في حقِّهم عليهم الصلاة والسلام، ويؤول تأويلاً يليق بمكانتهم عند الله.



فصل في

وجوب الإيمان بالكتب السماوية

يجب على المكلف الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل والأنباء، كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، وقد جاءت الكتب هداية العباد ورعاية مصالحهم الدنيوية والأخروية على ما سبق في علم الله وحكمته، سواء علمنا أسمائها أم لم نعلمه ومنها: الصحف والألواح والتوراة والإنجيل والزبور، والقرآن وهو المعجزة الخالدة المُتحدى بأقصر آية منه المُبتدأ بسورة الفاتحة المُختتم بسورة الناس، وله عدة أسماء منها الفرقان والكتاب والذِّكر، وهو المهيمن والنور والهدى والحق فعن عَلَيٌ عليه السلام قال: قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ سُئَلَ مَا الْمَخْرُجُ مِنْهَا؟ قَالَ: (الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: 42 "مَنْ ابْتَغَى الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَلَيَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ، قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الدَّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالثُّوْرُ الْمُبِينُ، وَالصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ حَبْرٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَذِيلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعْتُهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَا أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الجن: 2" ولَا يَخْلُقُ عَنْ كُثْرَةِ الرَّدِّ، ولَا تَنْقَضِي عِبَرُهُ، ولَا تَفْنَى عَجَابِهُ" رواه الدارمي في مسنده.

ويجب الإيمان بالكتب السماوية وكل ما جاء فيها وبأنها بوجي من الله على رسالته قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^{الإسراء: 9}، وقال تعالى: ﴿قُولُواً آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^{البقرة: 136} فكل ما ثبت من الكتب تفصيلاً يجب الإيمان به على التفصيل، وكل ما ثبت إجمالاً يجب الإيمان به على الإجمال لأن الإيمان بالكتب والصحف والألواح هو الأصل أما أسماء الكتب وعددها فهو متفرع عن ذلك الأصل، فما ثبت قلنا به وما لم يثبت يبقى حكمه حكم ذلك الأصل، وكل ما في تلك الكتب هي عبارات والمعبر عنه واحد لا مثيل له ولا شبيه وهو كلام الله الأزلي الأبدى الذي ليس بصوت ولا حرف، والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن والصحف والألواح التي نزل بها سيدنا جبرائيل عليه السلام على قلوب الرسل والأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام كلها دلالات يتوصل بها لمعرفة ما أمر به المولى سبحانه وتعالى وما نهى عنه وغير ذلك من الحكم التي تتعلق بها مصالح العباد في دنياهم ومعادهم، والذي يجب على المكلف هو تعظيم هذه الكتب على ما هي عليه من تحريف لأنها لا تخلو من حق، ومثل ذلك القرآن إذا حرف فإن تعظيمه واجب رغم أنه حرف فإنه لا يخلو من الحق كذلك الكتب السماوية فإنها لا تخلو من حق رغم أنها حرفت، وخصوص القرآن عن غيره من الكتب السماوية أنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه، فإذا وقع تحريف في كتابته عن خطأ أو عدم عُرف ذلك واستدركه العلماء قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَأَنَا الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَخَافِظُونَ﴾ "الحجر": 9، والقاعدة العامة أن الاستهزاء بالجزء حكمه مثل الاستهزاء بالكل ككلمةٍ أو حرف لا فرق في ذلك عند العلماء سلفهم وخلفهم.

وكذلك مما يجب على المكلف أن يعتقده أن هذه الكتب والصحف والألوان ليست من ترتيب رسول ولا نبي ولا ملك إنما نزل بها أمين الوحي سيدنا جبرائيل عليه السلام على قلوب الأنبياء والمرسلين على وفق علمه وحكمته سبحانه وتعالى مفرقاً على فترات وما ظهر لنا من أسباب النزول كل ذلك سابق في علم الله سبحانه وتعالى مع كمال الحكمة التي يبديها لنا من تلك الأسباب الظاهرة المقرونة بالنزول.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ "البقرة": 4، وقال تعالى: ﴿كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ "البقرة": 285، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِفِي الصُّحْفِ الْأُولَى، صُحْفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ "الأعلى": 18 - 19، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ "الأعراف": 145، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ

كتاب الله》 "المائدة: 44" ، وقال تعالى ﴿وَآتَيْنَا دَأْوِدَ رَبُورًا﴾ النساء: 163 ، وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ الحديد: 27 ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِ﴾ النساء: 136 ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَنَّ نَزَّلْنَا الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 9.

- من السنة المشرفة: ما رواه عمر بن الخطاب في حديث جبريل عليه السلام الطويل عندما سُئل النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم: "عن الإيمان؟" فقال صلـى الله عليه وآلـه وسلم: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه....) رواه مسلم وغيره، وعن أبي ذر الغفارـي أنه سـأـلـ النبي صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ كـمـ كـتـابـاـ أـنـزلـ اللهـ؟ قالـ: (مائة كتاب وأربعة كتب، أـنـزلـ علىـ شـيـثـ خـمـسـونـ صـحـيـفـةـ، وـأـنـزلـ علىـ أـخـنـوـخـ (إـدـرـيـسـ) ثـلـاثـونـ صـحـيـفـةـ، وـأـنـزلـ علىـ إـبـرـاهـيمـ عـشـرـ صـحـائـفـ، وـأـنـزلـ علىـ مـوسـىـ قـبـلـ التـورـةـ عـشـرـ صـحـائـفـ، وـأـنـزلـ علىـ إـبـرـاهـيمـ وـالـزـبـورـ وـالـفـرقـانـ) رواه ابن حبان.

- الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمـهـ اللـهـ فـيـ كـتـابـ (الـإـقـنـاعـ فـيـ مـسـائـلـ الـإـجـمـاعـ) ما نـصـهـ: "وـأـجـمـعـ أـهـلـ الـإـسـلـامـ؛ جـنـهـمـ وـإـنـسـهـمـ فـيـ كـلـ زـمـانـ وـبـكـلـ مـكـانـ إـجـمـاعـاـً صـحـيـحـاـً مـتـيقـنـاـً عـلـىـ أـنـ الـقـرـآنـ الـذـيـ أـنـزلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ عـلـيـهـ رـسـوـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـقـ لـازـمـ لـكـلـ بـشـرـ اـتـبـاعـهـ".

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما نـصـهـ: "لـمـ يـرـسـلـ الـأـنـبـيـاءـ لـعـبـاـ، وـلـمـ يـنـزـلـ الـكـتـبـ لـلـعـبـادـ عـبـثـاـ، وـلـاـ خـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـمـ بـاطـلـاـ" رواه الشـرـيفـ الرـضـيـ فـيـ كـتـابـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ، وـقـالـ إـلـمـامـ عـلـيـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ آـبـائـهـ السـلـامـ فـيـ (الـصـحـيـفـةـ السـجـادـيـةـ) ما نـصـهـ: "الـلـهـمـ إـنـكـ أـعـنـتـنـيـ عـلـىـ خـتـمـ كـتـابـكـ الـذـيـ أـنـزلـتـهـ نـورـاـ"

وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته"اه، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار وذلك كله حق".

وقال الإمام أحمد بن سلمة الطحاوي رحمه الله في عَقِيَّدَتِهِ الْمُسَمَّةِ (بيان عقيدة أهل السنة والجماعة) ما نصه: "والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى".

قال الإمام عبد الواحد بن عاشير الماليقي الفاسي رحمه الله:

الإِيمَانُ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعْ بَعْثٍ قَرُبٍ



مَبْحَثُ السَّمْعَيَاتِ

مبحث السمعيات

بعد أن أنهينا الكلام على الأحكام الضرورية الواجبة علينا معرفتها وال المتعلقة بالإلهيات والرسليات وبيان براهينها، نشرع بالكلام على الأحكام الضرورية المندرجة تحت باب السمعيات.

واعلم أن أصل العقائد متوقف ثبوتها على الأدلة القطعية الثبوت الصرحة المعنى والتي اصطلح على تعريفها بالأدلة اليقينية المكتسبة من الكتاب والستة والإجماع المعتبر، مثل ما مر معنا فيما يجب علينا معرفته في حق الله ورسله، فباب الإلهيات يعتمد على الدليل القطعي في قسم الواجب منها، وأما القسم الجائز فيكتفى فيه بالخبر الصحيح؛ لأنه فرع عن أصل أي فرع عن ثبوت القدرة لله تعالى، وشمولها لكل مقدور، وقد أثبتهما الدليل القطعي في قسم الواجب، وباب النبوات يعتمد منها على الدليل القطعي شيئاً: أولها: إثبات النبوة وحاجة الناس إليها، وثانيها: إثبات نبوة شخص معين، فلا يصح الجزم بأن شخصاً نبي، إلا إذا ثبت بالخبر الذي يفيد اليقين، وأما ما هو مندرج تحت هذا الباب الذي اصطلح على تسميته بباب السمعيات فيكتفى فيها بالحديث الصحيح بلا نزاع عند أهل الحق، لأنهم أجمعوا على أن ما جاز في العقل، وورد وقوعه بالسمع وجب قبوله وحمله على ظاهره، فما ثبت فيه تفصيلاً نؤمن به على التَّفَصِيلِ وما ثَبَتَ فِيهِ إِجْمَالًا نَؤْمِنُ بِهِ عَلَى الإِجْمَاعِ، وَمَنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ صَلَّ وَغَوَى وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ مُخَالَفَتِهِ، مثلاً: العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والجنة، والنار، وَوُجُودِهِمُ الْآنَ، أما كيفية كتابة القلم على اللوح، وما يتعلق بتفصيل العرش والكرسي، وما يدور في الجنة والنار، وكل ذلك فرعٌ عن الأصل ويكتفى فيه ما يثبت من الأخبار الصحيحة، فإن ثَبَتَ الدَّلِيلُ قَالَ الْعُلَمَاءُ بِهِ

وَأَتَبْتُوهُ، وَإِلَّا تَوَقَّفُوا رَحْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَوْضُوا بِهِ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا يَدُورُ مَبْحَثُ السَّمْعِيَاتِ.

ويقصد بالقطعي من حيث الثبوت: المตواتر كالقرآن والأحاديث المتواترة والمشهورة، ويقصد بالظني من حيث الثبوت: أحاديث الآحاد، ويقصد بالقطعي من حيث الدلالة: القول الذي لا يحتمل إلا معنىً واحدًا، ويقصد بالظني من حيث الدلالة: ما يمكن أن يحتمل أكثر من معنى، وقد يكون الخبر ظنياً وينقلب إلى قطعي بإجماع العلماء المجتهدين على معناه فيصبح نصاً ولا يقبل له تأويل.

فصل

السَّمْعِيَاتِ اصطلاحاً: هو ما كان طريق ثبوته السمع الوارد في الكتاب أو السنة بطريق الوحي على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن سيدنا جبريل عن اللوح المحفوظ ولا يستقل العقل بإدراكه، كفناه العالم، والبعث والحضر، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من أمور الآخرة، ويقابله ما يثبتُ بِالْعَقْلِ وَإِنْ وافقَ النَّقْلَ، فما كان طريق العلم به العقل يُسمَّى العقليات والنظريات، وما كان طريق العلم به السمع يُسمَّى السمعيات.

فنحن نؤمن أن كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما أخبر به عن المولى سبحانه وتعالى، قرآناً وسنةً هو حقٌّ، فما جاء به الرسول حقة التسليم والقبول، سواء شاهدنا بحواسنا أو غاب عنا، سواء أدركناه بعقلنا أم لم ندركه نؤمن به وجوباً بعد ثبوته عن طريق الخبر المتواتر أو المشهور أو الخبر الثابت الصحيح الصريح اللفظ والمعنى والذي لا يقبل الاجتهاد والرأي والنظر وليس له

معارض مثله أو أقوى منه من باب الأخرى والأولى وأن لا يقبل النسخ ولا بوجه من الوجوه.

وقد تقرر مما تقدم ثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحة رسالته بدليل ثبوت المعجزة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ "الأعراف: 158"، وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ "النساء: 79"، والدليل العقلي عليه: محمد صلى الله عليه وآله وسلم ادعى الرسالة، وأيدَهُ الله تعالى بالمعجزة، ومن أَيَّدَ بالمعجزة كان رسول الله، فلزم أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم رسول من الله.

ومن ثبتت رسالته فلزم صدقه في كل ما أخبر به، فوجب قبول خبره، ودليله: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أَيَّدَ بالمعجزات، والمؤيد بالمعجزات وجب صدقه في دعوته، وكل صادق يجب قبول خبره بعموم دعوته.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتابه (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقال أهل الحق: الصادق في دعوى النبوة يجوز ظهور معجزة التصديق عليه، ولا يجوز ظهور معجزة التصديق على المتنبي في دعوى النبوة" اهـ.

قال العلامة أحمد المرزوقي المكي المالكي رحمه الله في منظومته (عقيدة العوام):
 وَكُلُّ مَا أَتَىٰ بِهِ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقُبُولُ
 قال العلامة السفاريني الحنبلي رحمه الله في منظومته (الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

وَكُلُّ مَا صَحَّ مِنَ الْأَخْبَارِ أَوْ جَاءَ فِي التَّزِيلِ وَالْأَكَارِ

مِنْ فِتْنَةِ الْبَرْزَخِ وَالْقُبُورِ وَمَا أَتَىٰ فِي ذَٰلِكَ مِنَ الْأُمُورِ
وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْوَرَىٰ لَمْ تُعْدَمْ مَعَ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً فَاسْتَفْهِمْ
فَكُلُّ مَا عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَرَدَ مِنْ أَمْرِهِذَا الْبَابِ حَقٌّ لَا يُرَدُّ

فيجب على المكلف الإيمان بكل ما صح ثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدخل فيه: الإيمان بالجنة، والملائكة، وكذا الإيمان بالروح، والموت، وسؤال الملائكة منكر ونكير، ونعيم القبر وعداته، وقيام الساعة، وفناء العالم، والبعث، والحضر، والحساب، والثواب والعقاب، والميزان، والصراط، والجحظ، والشفاعة، والجنة، والنار والخلود فيهما وأن كل ذلك حق لا شك فيه ولا ريب وهو حقيقة الإيمان.

وجوب الإيمان "بِالْجَنِّ"

يجب على المكلف الإيمان بوجود الجن فهو أمر مقطوع به لثبوته في القرآن الكريم والسنة المتواترة وإجماع أهل الحق من المسلمين، والجن هي مخلوقاتٌ لطيفةٌ ليس لها جرم يتصور في الذهن عندنا وإن كان لها كيفية ولكننا نجهلها مثلها مثل الروح لأن كل ذلك متوقفٌ على السمع، وهي تُشمُّ ولا تُتُكَّ، ليس لها أجرام نعهد لها ولا أشكالٌ نراها ولكن المولى أعطاها القدرة أن تتشكل بصور بعض الحيات والمخلوقات الأخرى كما ثبت في الأحاديث، فعن أبي السائبِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ إِذْ سَمِعْتُ تَحْتَ سَرِيرِهِ تَحْرِيكَ شَيْءٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا حَيَّةً فَقُمْتُ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَيَّةٌ هَاهُنَا، فَقَالَ: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ فَقُلْتُ: أُرِيدُ قَتْلَهَا،

فأشَارَ لِي إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِهِ تِلْقاءَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمٍّ لِي كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْرَازِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعْرِيسٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَأَمْرَهُ أَنْ يَدْهَبَ بِسَلَاحِهِ مَعَهُ، فَأَتَى دَارَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَائِمَةً عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ، فَقَالَتْ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَإِذَا حَيَّةً مُنْكَرَةً فَطَعَنَهَا بِالرُّمْحِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا فِي الرُّمْحِ تَرْتَكِصُ، قَالَ: لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الرَّجُلُ أَوِ الْحَيَّةُ، فَأَتَى قَوْمُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرِدَ صَاحِبَنَا، قَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ) مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَحَدِّرُوهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ إِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدُ أَنْ تَقْتُلُوهُ، فَاقْتُلُوهُ بَعْدَ الشَّالِثَةِ) رواه أبو داود وأحمد، وقد خلقت من مارج من نار، قال تعالى: ﴿وَالْجَانَ حَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِنْ نَارِ السَّمُوم﴾ [الحجر: 27]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَارِجِ نَارٍ﴾ [الرحمن: 15].

وُسُمِّيَ الْجَنُّ جِنًا لاجتنابهم واستثارهم عن العيون، ومنه سُمي الجنين جنيناً، فهم يرونا ولا نراهم على خلقتهم الحقيقة، بل فقط إذا تشكّلوا بالإنس والحيوانات وغيرهما، فقد أعطاهم المولى سبحانه وتعالى القدرة على التشكّل بهما كما مرّ بيانه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَأُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27]، وقد نصّ شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناشر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث تصوّر الجن على صور شتى من صور الحيوانات، فقال: "ذكر في إرشاد الساري أيضاً أنها متواترة، ونصه: وقد تواترت الأخبار بتتصورهم في صور شتى، ثم ذكر أنّهم يتتصورون بصور بني آدم، وفي صور الحيوانات، وفي صور الكلاب" اهـ، وقد روی في كتب السيرة النبوية، كسيرة ابن

هشام، والسيرة لابن حبان، وابن كثير، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وغيرهم أن إبليس تشكل في هيئة شيخ نجدي عند اجتماع الكفار في دار الندوة لمناقشة كيفية القضاء على الإسلام، وأشار إليهم بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهم: "انتخروا عشرة شبان من عشر قبائل من قريش، وأعطوا كل واحد سيفاً ثم يعمدون إلى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، فيقتلونه قتلة رجل واحد، فيضيع دمه في القبائل؛ فلا تستطيع بنو هاشم أن تقتل واحداً من هؤلاء الشبان وحينئذ يلتجئون إلى الديمة، فتسلمون منه" اه، وقد روي في مسند الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: (إذا سمعتم نباح الكلب بالليل أو نهاق الحمير فتعودوا بالله، فإنهم يرون ما لا ترون)، وعن أبي ثعلبة الحشني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الجنة ثلاثة أصناف صنف لهم أجنبية يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الأسماء والصفات، كما ذكر القرآن الكريم تسخير الجن لبني الله سيدنا سليمان عليه السلام، فكانوا يقومون له بأعمال كثيرة شاقة تحتاج إلى القوة قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغُّ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجَهَانِ گَلْجُوبَ وَقُدُورِ رَّاسِيَاتِ اعْمَلُوا آلَ دَاؤُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾ سيا: 12 .¹³

فهم خلق من خلق الله لا هم كالملائكة ولا هم كالإنس، لا كما زعم البعض أنهم الجراثيم والميكروبات التي تصيب الناس بالأمراض التي كشف عنها العلم

الحديث وهذا وهم وخرافة لا أصل لها فقد دلت على وجودهم نصوص الكتاب والسنة المتواترة والإجماع المعتبر، وهم مكلفو من حين الخلقة، ولدُوا عُقلاء مكلفين، من حيث المقدرة على فهم الخطاب ورد الجواب، ودليل ذلك عدم وجود دليل على بلوغهم، تبعاً لقاعدة "عدم وجود العلامة له علامة" ولو كان لهم علامة لأخبرنا المولى بها، ودليل تكليفهم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ "الذاريات: 56"، وقال تعالى: ﴿فُلَّ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِ ظَهِيرًا﴾ "الإسراء: 88"، فالقرآن وجه التحدي لكل من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فدلل مفهوم الخطاب على أن الإنس والجن مكلفو جميعاً بالإسلام.

واعلم أن مساكنهم الجبال والأودية والحراب أي الأماكن المهجورة، والبحار والمحيطات، وهم كالإنس يتراکبون ويتناسلون، ويأكلون ويسربون، وينامون ويتمخضون ويترزون، عن ابن عمر، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَائِلِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَائِلِهِ) رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ) رواه مسلم وأبو داود وأحمد وغيرهم، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِداوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَبَعَّهُ بِهَا، فَقَالَ: (مَنْ هَذَا؟) فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: (ابْغِنِي أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضُ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظِيمٍ

ولَا بِرَوْثَةٍ)، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثُوْبِي حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَسْيَتُ، فَقُلْتُ: مَا بِالْعَظِيمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: (هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفَدُّ جِنٌّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنِّ، فَسَأَلُوكِي الرَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمْرُوا بِعَظِيمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً) رواه البخاري، وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أتاني، داعي الجن، فذهببت معه فقرأت عليهم القرآن)، قال: فانطلق بنا، فأرانا آثارهم، وآثار نيرائهم، وسائلوه الزاد، فقال: (لَكُمْ كُلُّ عَظِيمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَقُعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَهُمْ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَ لِدَوَابَّكُمْ)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَلَا تَسْتَجِوْبُهُمَا، فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ) رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم، وهم كذلك يتناسلون ويتناكحون كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاتِرَاتُ الظَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ الرحمن: 56، وفيه دلالة صريحة أن الجن يطمثون النساء ويتناكحون، وللإمام مالك قول في جواز التزاوج بين الإنس والجن، فقال: "ما أرى بذلك بأساً في الدين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل، قيل لها: من زوجك؟ قالت: من الجن!! فيكثر الفساد في الإسلام بذلك" اه، وقال السيد العلامة عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتاب (قصص الأنبياء آدم عليه السلام): "وقول الإمام مالك يدل على الحكمة، وبعد النظر، وهو يتفق مع الأخذ بسد الذريعة الذي اعتبره الإمام مالك في كثير من المسائل" اه، والجن لهم قدرة على الوصول إلى السماء الأولى ولا يستطيعون دخلوها وإن كانوا يستطيعون إستراق السمع من خلاها، ثم قل ذلك ببركة مولده صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا

مُلِّيَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلصَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ
لَهُ شَهَابًا رَّصَادًا ﴿الجَنٌ: 8-9﴾.

وكما أن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام هو أبو البشر، فإن بليس لعنه الله هو أبو الجن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِإِدَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفْتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَذُّوبُّينَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿الكهف: 50﴾، وهو أول من كفر بالله تعالى، وقد أمره المولى تعالى أن
يسجد لأدم عليه الصلاة والسلام فأبى.

ثم إن منهم المسلم والكافر والطائع والعاصي كحال المكفرين من الإنس فطائعهم
يُثاب بالجنة، وكافرهم يعاقب بالنار، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ
كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا﴾ ﴿الجَنٌ: 11﴾، والكافر منهم يقال عنه شيطان، والجان مثل الإنس يتبع
كل الديانات كالإسلام واليهودية والنصرانية ومنهم من لا دين له، ومنهم من ينكر
البعث كالكافر من الإنس، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَلُوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ
أَحَدًا﴾ ﴿الجَنٌ: 7﴾، وقد ذُكر شيء من أحواهم في سوري الرحمن والجن.
والجن لانبي لهم ولا رسول، وإنما رسول البشر هم رسول الجن، وأنبياء البشر هم
أنبياء الجن.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجن:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿فُلْ أُورْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿الجَنٌ: 1-2﴾
وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ

إِلَى بَعْضِ رُخْرُفِ الْقُولِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَدَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ》^{الأنعام:112}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَخْسِرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِينَ وَقَالَ أُولَئِكُو هُمُّ مِنَ الْإِنْسِينِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^{الأنعام:128}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّ مِنْ قَدْ حَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِينِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلْتُمْ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَا وَلَاهُمْ رَبَّنَا هُؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلِكُنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^{الأعراف:38}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِينِ إِنِّي أَسْتَطْعِمُ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْظَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^{الرحمن:33}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِإِدَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَدُرْرِيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^{الكهف:50}، قَلْتَ: وَنَصُ الْآيَةِ صَرِيقٌ فِي أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ طَاوُوسَ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمَا خَالَفْ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ وَيَفْعُلُونَ مَا يَأْمُرُونَ، قَالَ الْحَسْنُ الْبَصْرِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ: "مَا كَانَ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةِ عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ" اهـ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

مِنَ السُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ: نص شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني - الحسني رحمه الله في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) على أن أحاديث وجود الجن متواترة، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنْ أَحْفَظَ زَكَاةَ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فِي جَوْفِ الْلَّيْلِ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا رَفِعْتَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا صَلَّى الْغَدَاءَ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْلَّيْلَةَ؟) أَوْ قَالَ: (الْبَارِحةَ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْتَكَ حَاجَةً فَخَلَيْتُهُ وَرَأَمْتُ أَنَّهُ لَا يَعُودُ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ)، قَالَ: فَرَضَدْتُهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَاءَ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لَا رَفِعْنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَ حَاجَةً، فَخَلَيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْلَّيْلَةَ أَوِ الْبَارِحةَ؟) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَ حَاجَةً فَخَلَيْتُهُ، وَرَأَمْتُ أَنَّهُ لَا يَعُودُ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ)، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا رَفِعْنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أُعَلَّمَ كُلِّمَاتٍ يَنْقُعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، قَالَ: وَكَانُوا أَحْرَضَ شَيْءٍ عَلَى الْحُبُرِ، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرُأْ آيَةَ

الْكُرْسِيٌّ ﴿الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 255)، فِإِنَّهُ لَنْ يَرَأَلَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظًا، وَلَا يَقْرَبُكَ الشَّيْطَانُ، حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَقْتُ سَيِّلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: صَدَقَكَ وَإِنَّهُ لَكَاذِبُ، تَدْرِي مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، ذَاكَ الشَّيْطَانُ” رواه ابن خزيمة والنسائي وغيرهما، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَلَقْتِ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقْتِ الْجَانِبَ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقْتِ آدَمَ مِمَّا قَدْ وُصِّفَ لَكُمْ) رواه مسلم وابن حبان وأحمد وغيرهم، وعنها رضي الله عنها وعن أبيها قالت: حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم: حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً ذَاتَ لَيْلَةٍ حَدِيثًا، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ الْحَدِيثُ حَدِيثُ حُرَافَةٍ؟ فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا حُرَافَةٌ؟ إِنَّ حُرَافَةً كَانَ رَجُلًا مِنْ عُذْرَةَ، أَسَرَّتْهُ الْجِنُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَكَثَ فِيهِنَّ دَهْرًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَدَوْهُ إِلَى الْإِنْسِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنَ الْأَعَاجِيبِ، فَقَالَ النَّاسُ: حَدِيثُ حُرَافَةٍ) رواه أحمد والترمذى في الشمايل والطبراني في المعجم الأوسط وغيرهم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجود الجن وأئنَّ منهم المؤمن والكافر، ومن أنكر وجودهم فقد كذَّب القرآن والستة والإجماع، ونَزَعَ رَبَقَةً الإسلام من عُنْقِيهِ، وتعلق به أحكام المرتدين.

قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الجن حق وأن إبليس عاص لله كافر منذ أبي السجود لآدم واستخف به عليه السلام" اه، ونقل العلامة الكتاني رحمه الله في كتاب (نظم المتناثر في الحديث المتواتر) الإجماع فقال: "نقل الشيخ أبو علي الحسن بن رحال المعداني في شرحه لمختصر خليل، عن البرزلي أن الصواب أن حكم من أنكر وجودهم من المعتزلة أنه كافر؛ لأنَّه جحد نص القرآن، والسنة المتواترة، والإجماع الضروري" اه، وقال الإمام القسطلاني رحمه الله في كتاب (إرشاد الساري) ما نصه: "دللت على وجودهم نصوص الكتاب والسنة مع إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين عليه، وتواتر نقله عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تواتراً ظاهراً يعلمه الخاص والعام" اه، وقال الإمام بدر الدين العيني الحنفي رحمه الله في كتاب (عمدة القاري في شرح البخاري) ما نصه: "توافت به أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تواتراً معلوماً بالضرورة" اه.

قال الإمام أحمد الدَّارِيرُ المصريُّ الْمَالِكِيُّ رَحْمَةُ اللهِ: وَالْجِنُّ وَالْأَمْلَاكُ ثُمَّ الْأَنْبِيَا وَالْحُورُ وَالْوِلْدَانِ ثُمَّ الْأُولَى

وجوب الإيمان "بالملائكة"

يجب على المكلف الإيمان بوجود الملائكة الكرام عليهم السلام لثبت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، فهم مخلوقات لطيفة مُكرّمة حُلِّقت من نور، لا يأكلون ولا يشربون، ويدل عليه قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة عندما أتوه في صورة شبان، فقدم لهم الطعام، فلم يأكلوا.

ولا يتناكرون ولا يتناسلون ولا يتغوطون ولا يتمخضون ولا ينامون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، عباد الله مكرمون ليسوا كالجبن والإنس لا في الخلقة ولا متعلقاتها ولا في هيئة الأحكام وكيفيتها وإن كان لهم تكاليف فلا نعرف ما هيتها قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18] فالآية صريحة الدلالة على أن الله احتاج بشهادتهم على أمرين مشهودين وهما: توحيده سبحانه وتعالى وصحة دين الإسلام وانحصر الحق فيه، وقرن شهادتهم بشهادته، والله لا يستشهد من خلقه إلا من عظم قدره عنده، فهذه الآية تدل على علو قدرهم ومكانتهم وأنهم مكرمون عند ربهم، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون قال تعالى: ﴿بَلْ عَيَّادُ مُكَرَّمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 26-27]، رسول معصومون قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: 1]، جُبِلُوا على الطّاعة، لا يعصون الله ما أمرهم، وي فعلون ما يؤمرؤن، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ

شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ》^{التحرير: 6}، لا يوصفون بذكورة ولا بأئنوثة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى﴾^{النجم: 27}، أعطاهم المولى القدرة على التشكيل بأشكال متعددة ولكنها لا تكون إلا حسنةً جميلة، وتنحصر في الْكُلُّ من الذكور، وهو أمرٌ تعبدِي لا دخل للعقل فيه، وبناءً عليه لا انتقاد من مقام النساء كما يظن بعض الجاهلين؛ لأنَّه وحيٌّ من الله ويدل عليه مجيء جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام في صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^{مريم: 17}، وهم خلق عظيم كما وصفهم القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِيْ أَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخُلُقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{فاطر: 1}، وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^{التكوير: 20}، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسَلَّمَ في وصفه: (رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ، سَادًا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) رواه مسلم، وهم كثيرون لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^{المدثر: 31}، وروى الطبراني بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسَلَّمَ أنه قال: (رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)، مسكنهم الأصلي السماوات، وينزلون إلى الأرض لتنفيذ ما أمروا به من أعمال، قال

تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^{القدر: 4}، لا يضعون ولا يهرمون، ولا تعرّيهم آفة من الآفات، ولا يموتون إلا عند النفخة الأولى نفخة الموت لجميع الأحياء.

وقد أثبتت النص قرآنًا وسنة على وجود الملائكة فلا عبرة لمن حمل اللفظ على غير ظاهره، إذ اتفقوا على أن الأدلة من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرفا الدليل القطعي، والآيات صريحة في أن الملائكة مخلوقات موجودة عالمية مريدة لا تعصي الله ما أمرها، ولها وظائف مختلفة، كحمل الرسالات إلى الأنبياء قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^{الحج: 75}، ومنهم حافين حول العرش يسبحون الله قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^{الزمر: 75}، ومنهم من خلق للتعذيب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُوهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾^{التحريم: 6}، وغير ذلك من الأفعال.

وكل ما ثبت عن الملائكة بالإجمال، يجب الإيمان به على الإجمال ك بالإيمان بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله، وكل ما ثبت بالتفصيل، يجب الإيمان به على التفصيل، كما نطق به كتاب ربنا، ومنهم:

• جبريل عليه السلام:

وهو أشهر الملائكة وأفضلهم، وهو ملك الوجي، السفير بين الله ورسله وأنبيائه، يعرفه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا ينزل بالوجي إلا عليهم بالإجماع كما أصلوه في قواعد عقائدهم، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُواً لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^{البقرة: 98}، ويسمى: الروح الأمين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^{الشعراء: 192-193}، ويسمى: روح القدس، قال تعالى: ﴿قُلْ تَرَأَةُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحُقْقِ لِيُثَبِّتَ النَّذِيرَ آتَيْنَا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^{التحل: 102}، ويسمى أيضاً بالناموس، كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أول عهده بالوجي: "هذا الناموس الذي أنزل على موسى" رواه البخاري ومسلم، وعند أبي نعيم في الدلائل: "أنزل على عيسى"، قال النووي: وكلاهما صحيح.

• ميكائيل عليه السلام:

وهو المكلف بالأمطار والبحار والأنهار والزرع، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُواً لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^{البقرة: 98}، ذكر الله تعالى الملائكة في الأول وهذا ذكر عام، ثم ذكر جبريل وميكائيل وهذا خاص، والقصد من الإفراد في هذه الآية هو التمييز والترشيف لهما عليهما الصلاة والسلام، وأخرجه أبو الشيخ عن عكرمة بن خالد: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَلَائِكَةِ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: (جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ)، فَأَمَّا جِبْرِيلُ

صَاحِبُ الْحَرْبِ وَصَاحِبُ الْمُرْسَلِينَ، وَأَمَّا مِيكَائِيلُ فَصَاحِبُ الْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ، وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَمُوَكِّلٌ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَأَمَّا إِسْرَافِيلُ فَأَمِينُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ).

• إِسْرَافِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وهو الموكل بالنفخ في الصور، فينفخ فيه نفختين: النفحة الأولى تفني فيها المخلوقات إلا ما شاء الله، والنفحة الثانية تبعث فيها جميع المخلوقات، فترجع الأرواح لأجسادها، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنْظَرُونَ﴾ الزمر: 68.

• مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وهو الموكل بقبض الأرواح، وهل هو ملك واحد يقبض جميع الأرواح أم إنه اسم جنس لجمع من الملائكة؟، هذا أمرٌ واسعٌ يحتمل كلا الأمرين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ السجدة: 11، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ الأنعام: 61.

• الْحَفَظَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وهم الموكلون بحفظ العباد، قال تعالى: ﴿وَيُرِسُلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ الأنعام: 61، وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: 11.

• الْكَتَبَةُ، رَقِيبُ عَتِيدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

وهما الموكلان بكتب الأعمال، أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات وكلاهما رقيب عتيد، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّ الْمُتَلَقِّيَانِ

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدُ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿ق:17-18﴾
وقال تعالى: ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ "الإنفطار: 11-12".

• رضوان خازن الجنة عليه السلام:

وهو الموكل بالجنة ورئيس خزنتها، عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يِسْ وَمَنْ قَرَأَ يِسْ وَهُوَ يُرِيدُ بِهَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأَعْطَيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اثْنَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَأَيْمَانًا مُسْلِمٌ قُرِئَ عِنْدَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ سُورَةً يِسْ نَزَلَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ سُورَةٍ يِسْ عَشَرَةً أَمْلَاكٍ، يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا يُصْلَوُنَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْهَدُونَ غُسلَهُ، وَيُشَيَّعُونَ جِنَازَتَهُ، وَيُصْلَوُنَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ، وَأَيْمَانًا مُسْلِمٌ قَرَأَ يِسْ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوْحَهُ حَتَّى يَحْيِيهِ رِضْوَانُ خازِنُ الْجَنَّةِ بِشَرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ فَيَشَرِّبُهَا، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوْحَهُ وَهُوَ رَيَّانٌ، فَيَمْكُثُ فِي قَبْرِهِ وَهُوَ رَيَّانٌ، وَيُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ رَيَّانٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حُوْضٍ مِنْ حِيَاضِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ رَيَّانٌ) "رواية القضايعي في مسند الشهاب".

• مالك خازن النار عليه السلام:

وهو الموكل بالنيران ورئيس خزنتها، ومعه الزبانية وهم تسعة عشر ملكاً، ولكل ملك منهم أعوان وجند، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كِتُونَ﴾ "الرخرف: 77"، وقال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرُ، لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ "المدثر: 26-30".

• **مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:**

وَهُمَا الْمُوْكَلَانِ بِسُؤَالِ الْعَبْدِ فِي قَبْرِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالدِّينِ وَالنَّبُوَّةِ، فَعَنْ أَيِّ هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا قُبِّرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكًا أَسْوَادَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ الشَّكِيرُ) رواه الترمذى، وإنهما يأتيان للمؤمن بصفة مبشر و بشير.

• **حَمَلَةُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:**

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 17].

• **هَارُوتُ وَمَارُوتُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:**

قال تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُّرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْءَ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقِ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

• **الْمَكْفُونُ بِالْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:**

قال تعالى: ﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: 4].

• **الْمَكْفُونُ بِالْأَرْحَامِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَ بِالرَّحْمَمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُظْفَةً، يَا رَبِّ مُضْغَةً، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِي

خَلْقُهُ، قَالَ: أَذْكُرْ أَمْ أُنْتَ، شَقِّيْ أَمْ سَعِيدُ، فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجْلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) "رواہ الشیخان وأحمد".

• المکلفون بالنصر والرعب عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِالْفِيْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ "الأنفال: 9"، قال الربيع بن أنس: (كان الناس يوم بدر يعرفون قتل الملائكة - أي الذين قتلتهم الملائكة من الكفار - من قتل الناس، بضرب فوق الأعنق، وعلى البنا، مثل: وسم النار) "رواہ البيهقي".

• المکلفون بالإستغفار للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاعْفُرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِيمَهُ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَدُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ "غافر: 7-8"، وغيرهم مما لا يعلم أسمائهم وعددهم وما هم مكلفين به إلا الله.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالملائكة:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ "البقرة: 285"، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالثَّيَّيْنَ﴾ "البقرة: 177"، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ "الأحزاب: 43"، وقال تعالى: ﴿وَلَلَّهِ يَسْجُدُ

ما في السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِرُونَ》"النَّحْل: 49" ،
وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِلُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُنِي بِاسْمَهُ
هُوَلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ》"البقرة: 30-31" ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا
يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ》"الأعراف: 206" .

- مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ
نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قُدِّرَ وَصِفَ لَكُمْ)" رواه مسلم ، وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:
قالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ
شَدِيدُ بَيْاضِ الشَّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثْرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ
حَتَّى جَلَسَ إِلَى الثَّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتِيهِ إِلَى رُكْبَتِيهِ وَوَضَعَ
كَفَّيْهِ عَلَى فَخِدَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتَؤْتِي الرِّزْكَاهَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحْجَجَ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا) قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ:
(الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ...الْحَدِيثِ)، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ
قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ
يُعْلَمُ كُمْ دِيَنَكُمْ)" رواه مسلم ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ الثَّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

قال: (إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، وَأَخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانًا، وَرَبٌّ غَيْرِ غَضِيبَانَ، فَلَا يَرَاهُ، يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَقٌّ تَخْرُجَ) رواه النسائي وأحمد وغيرهما، وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهمَا شهدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَدْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِّيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ وَذَكَرْهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم، وعن ابن مسعود، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ قَرِينٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَ الْجِنِّ)، قالوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَأَنَا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، وَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ) رواه مسلم وابن حبان وأحمد وغيرهم، وعن أبي ذئر، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّلتُ السَّمَاءَ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئْتِيَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعَ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وعن ابن عباس قال: بينما رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسُّوْطِ فَوْقَهُ وَصُوتُ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْرُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضْرَبةِ السُّوْطِ فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارُ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (صَدَقَتْ ذَلِكَ مِنْ مَدِ السَّمَاءِ التَّالِثَةِ)، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسْرُوا سَبْعينَ رواه مسلم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجود الملائكة، ومن أنكر وجودهم فقد كذب القرآن والسنة المتوترة والإجماع، ونزع رَبَّةَ الإسلام من عُنقِيهِ، وتعلق به

أحكام المرتدین، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 136).

قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الملائكة حق وأن جبريل وميكائيل ملكان رسولان لله عز وجل مقربان عظيمان عند الله تعالى وأن الملائكة كلهم مؤمنون فضلاً" اه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى" اه، وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ما نصه: "جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ومارواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم"، وقال الإمام البيهقي الشافعي رحمه الله في كتاب (شعب الإيمان) ما نصه: "والإيمان بالملائكة ينتظم معاني: أحدها: التصديق بوجودهم، والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مأمورون مكلّفون لا يقدرون إلا على ما يقدّرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، والثالث: الاعتراف بأن منهم رسول الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر" اه، وقال الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي في عقیدته المشهورة ما نصه: "والملائكة عباد الله تعالى العاملون بأمره، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة" اه، وقال الحافظ

ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله في كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ما نصه: "قال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات، وأبطل من قال إنها الكواكب أو إنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها" اهـ، وللإمام السيوطي الشافعي رحمه الله رسالة أسمها الحبائق في أخبار الملائكة جمع فيها الأدلة على ثبوت وجودهم.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الإِيمَانُ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكِتَبِ وَالرَّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعَ بَعِثٍ قَرُبٍ

تنبيهات:

1. لا يجوز وصف الملائكة عليهم السلام بالأنوثة، وذلك لمعارضة قوله تعالى حكايةً عن الكافرين: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسَأَّلُونَ﴾ الزخرف: 19، ومن وصفهم بالذكورة، فقد أخطأ بهم ما جاء به الشرع وأثبتت ما لم يثبت، ونفي أن يكونوا إناثاً لا يلزم أن يكونوا ذكوراً، فإن الملائكة خلق ليسوا كالإنس ولا كالجن في الخلقة ومتعلقاتها، وقد استوفيت الأدلة على حكم من نسب إلى الملائكة الأنوثة في رسالي "ما حكم من يقول أن الملائكة ذكوراً أو إناثاً".

2. لا يجوز الإستهزاء بملك الموت عليه السلام فهو مأمورٌ بقبض الأرواح، ولا بخازن النار فهو مأمورٌ بتعذيب العصاة والكفار، فمن استهزأ بالملائكة بأي وجهٍ من الوجوه كفر لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ

فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾"البقرة: 98، كذا لا يجوز الاستهزاء والتقليل من أهوال النار والعقاب كمن يقول: "نتدفأ في نار جهنّم".

وجوب الإيمان "بالعرش"

يجب على المكلف الإيمان بوجود العرش؛ لأن نصوص الكتاب والسنة واردة بذلك وإثباته وأجمع أهل الحق على وجوده.

اصطلاحاً: هو مخلوقٌ عظيمُ الحجم، له قوائم، خلقه الله تعالى إظهاراً لقدرته ولم يتَّخذه مكاناً لذاته، لا يعلم حقيقته إلا الله، جعله سقفاً لمخلوقاته، وأمرَ ملائكته بحملِه، وتعَبَّدَ بعضُهم بِتَعْظِيمِه والطَّوافِ به، وهو محمولٌ بِلُطْفِ اللهِ تعالى كَبِيقَيَّةِ المَخْلوقات، لا يُعْجِزُ عنها شيءٌ؛ لأنَّه مُسْتَغْنٌ عنها جميعاً.

والعرش من المخلوقات الباقيَة أراد الله له البقاء، وبقاها ليس بذاته، أما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ﴾"القصص: 88، فهو عامٌ خُصّ منه ما استثناه الدليل، كالروح وعجب الذنب والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وغيرهم، وقد نظم الجلال السيوطي ثمانية منها بقوله:

ثَمَانِيَّةٌ حُكْمُ الْبَقَاءِ يَعْمَلُهَا
مِنَ الْخَلْقِ وَالْبَاقِونَ فِي حَيَّرِ الْعَدَمِ
هِيَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ نَارٌ وَجَنَّةٌ
وَعَجْبٌ وَأَرْوَاحٌ كَذَا اللَّوْحُ وَالْقَلْمُ
وَيَجِبُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ لَمْ يُثْبِتْ دَلِيلٌ مِنَ الْكِتَابِ أَوِ السُّنْنَةِ لِبَيَانِ مَاهِيَّةِ الْعَرْشِ وَصَفَتِهِ،
فَالْوَاجِبُ أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّهُ مُخْلُوقٌ عَظِيمٌ، وَبِبَيَانِهِ عَلَى مَرَادِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالعرش:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ "البروج: 15"، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ "غافر: 7"، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ "الحاقة: 17"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ "هود: 7"، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ "طه: 5"، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ "التوبه: 129"، قال القرطي في الجامع لأحكام القرآن: "خص العرش؛ لأنه أعظم المخلوقات، فيدخل فيه ما دونه" اهـ، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ "المؤمنون: 116"، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِنِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحُقْقِ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ "الزمر: 75"؛ وجموع هذه الآيات وغيرها يمنع من صرف اللفظ عن ظاهره، وتؤوله على معنى الملك أو العلم كما زعم بذلك قوم، فوجب القطع بثبوت وجوده.

- من السنة المشرفة: عن عمران بن حصين، قال: قال أهل اليمن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء) رواه البخاري وغيره، وعن أبي هريرة قال: قال

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةً أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ قَالَ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) رواه البخاري وغيره، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الناسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيَّقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذُ بِقَائِمَةِ مِنْ قَوَاعِدِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِ أُمِّ جُوزَيِّ بِصَعْقَةِ الْطُّورِ؟) رواه البخاري، وعن أبي ذر الغفارى، قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ عُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: (فَإِنَّهَا تَذَهَّبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾) [يس: 38] رواه البخاري، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَصَبِي) رواه الشيخان وأحمد وغيرهم، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَمَّا اقْتَرَفَ أَدَمُ الْحَطِيَّةَ، قَالَ: يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَرَّتْ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لَأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتِنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوْحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ،

إِنَّهُ لَا يَحْبُّ الْخَلْقَ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ عَقَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدًا خَلَقْتُكَ" رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في دلائل النبوة، وغيرهم، وعن جابر قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (اهْتَرَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدٍ بْنِ مُعَاذٍ)" رواه البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم، وقد نص العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتره فقال: "ففي شرح المواهب ثبت عن عشرة من الصحابة أو أكثر" اهـ.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالعرش وأنه مخلوق.

قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "وأتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ثم خلق الأشياء كلها كما شاء وأن النفس مخلوقة والعرش مخلوق" اهـ، وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخد م مكاناً لذاته" اهـ رواه الإمام أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والعرش والكرسي حقٌّ، وهو مُستغنٌ عن العرش وما دونه" اهـ، وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ما نصه: "كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتاج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه" اهـ رواه الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفترى، وقال الإمام البيهقي الشافعي رحمه الله في (الأسماء والصفات) ما نصه: "اتفقت أقوايل أهل التفسير على

أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيته وأمربني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة على صحة ما ذهبوا إليه "أه، وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمة الله في (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) ما نصه: "قال أبوالوليد بن رشد في "شرح العتبية" إنما نهى مالك لعنة يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله بحركته كما يقع للجالس منا على كرسيه، وليس العرش بموضع استقرار الله، تبارك الله وتنته عن مشابهة خلقه" أه.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمة الله:
 والعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلْمَ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكَمٍ
 لَا لِإِخْتِيَارٍ وَبَهَا الإِيمَانُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَئُّهَا إِنْسَانٌ
وجوب الإيمان "بالكرسي"

يجب على المكلف الإيمان بوجود الكرسي وأنه مخلوق كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

اصطلاحاً: هو مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى دون العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، ونسبته للعرش كحلقة في فلة، ونمسك عن الخوض في حقيقته، ونفّوّض العلم به لله تعالى، وتسميتها بالكرسي هو من قبيل الشابت في الأصل المختلف في المعنى، ويجب الإيمان به على مراد الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والكرسي كذلك من المخلوقات الباقية التي أراد الله لها البقاء، وبقاها ليس بذاتها، كما مر معنا فيما ذكره الإمام السيوطي رحمه الله.

واعلم أن تأويل لفظ "الكرسي" من غير دليل لا يصح، وقد بين ذلك العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتابه "بدع التفاسير" فقال: " ومن بدع التفاسير قول المعتزلة: الكرسي هو العلم" اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكرسي:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَسَعَ كُرْسِيهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255].
 - مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٌ مُلْقَأَةٌ بِأَرْضِ فَلَاءٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاءِ عَلَى الْحَلْقَةِ) رواه ابن حبان والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرها، قلت: ومنطق الحديث ومفهومه دالٌ على أن العرش غير الكرسي بل هما حقيقة مختلفتان، وتأويلهما على معناً واحد باطل من كل الوجوه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاءِ عَلَى الْحَلْقَةِ) ولو كانا معناهما واحد لما صح التفاضل ولأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم مصان عن العبث.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالكرسي وأنه مخلوق.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: "العرش والكرسي حقٌّ، وهو مُستغنٍ عن العرش وما دونه" اهـ، وقال ابن عطية المحاري رحمه الله في كتاب (المحرر الوجيز) ما نصه: "والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه" اهـ، وقال ابن جزي الكلبي رحمه الله في (التسهيل لعلوم التنزيل) ما نصه: "الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو

أعظم من السماوات والأرض، وهو بالنسبة للعرش كأصغر شيء" اه، وما أجمل قول القائل: "لَا إِلَهَ إِلَّا عَرْشٌ يَحْمِلُهُ وَلَا كُرْسِيٌّ يَسْنُدُهُ بَلِّ الْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ وَالْكُرْسِيُّ وَعَظَمَتُهُ الْكُلُّ مَحْمُولٌ بِلُطْفِ إِرَادَتِهِ".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلْمَنْ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكَمٍ
لَا لِحْيَيْسَاجٍ وَبَهَا إِيمَانٌ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا إِلَيْسَانُ

وجوب الإيمان "باللوح المحفوظ"

يجب على كل مكلف بالإيمان باللوح المحفوظ وأنه موجود ومخلوق وذلك لوروده نصاً في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

اصطلاحاً: هو مخلوقٌ عظيم دون العرش لا نعلم حقيقته، ولا يمكن تصوّره، موجود فوق العرش، لحديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْحَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضِيبِي) رواه البخاري ومسلم وهو من المخلوقات الباقية التي شاء المولى سبحانه وتعالى لها البقاء، فبقاؤه ليس بذاته، خلقه المولى سبحانه وتعالى لحكمةٍ يعلمها، مكتوبٌ فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيمة، وفيه القضاء المبرم الذي لا يتبدل ولا يطلع عليه مخلوقٌ ويعرف بالغيب الكلي، أما ما نزل إلى بيت العزة هو الذي يتغير ويعرفه الملك فينزل به في ليلة القدر ويعرف بالقضاء المعلق، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿الرعد:39﴾، وله عدة أسماء منها: اللوح المحفوظ، الكتاب، الإمام المبين، أم الكتاب، الكتاب المسطور.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باللوح:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿الرعد:39﴾، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّحِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ﴿البروج:22-21﴾، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَا فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿يس:12﴾، وقال تعالى: ﴿وَالظُّورِ، وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ ﴿الطور:1-2﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿الحج:70﴾، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿الحديد:22﴾، قال الإمام القرطبي في كتاب (الجامع لأحكام القرآن): "يعني اللوح المحفوظ" اه، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ ﴿القمر:53﴾.

- **مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ:** عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كان الله وآله يكتب كل شيء، وخلق السموات والأرض) رواه البخاري، وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء) رواه مسلم والعدد هنا قد لا يفيد الحصر، وإنما المبالغة في قدم خلق الأشياء التي كتب في اللوح المحفوظ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزوجته السيدة أم حبيبة رضي الله عنها: (قد سألت الله لاجالي مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاقي مقصومة) رواه مسلم، وهذا محمول على كتابة هذه الأمور في اللوح المحفوظ.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان باللوح وأنه مخلوق.

قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله في كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا على أنه تعالى قدر أفعال جميع الخلق وأجاههم وأرزاقهم قبل خلقه لهم، وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم" اهـ.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "المراد بالكتاب أحد شيئين: إما القضاء الذي قضاه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ﴾" المجادلة: 21، أي قضى ذلك، قال ويكون معنى قوله (فوق العرش) أي عنده علم ذلك فهو لا ينساه ولا يبدل، كقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ طه: 52، وإن اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر أصناف الخلق وبيان أمورهم وأجاههم وأرزاقهم وأحوالهم، ويكون معنى (فهو عنده فوق العرش) أي ذكره وعلمه وكل ذلك جائز في التخريج، على أن العرش خلق مخلوق تحمله الملائكة، فلا يستحيل أن يimasوا العرش إذا حملوه، وإن كان حامل العرش وحامل حملته هو الله، وليس قولنا إن الله على العرش أي مماس له أو متمكن فيه أو متخيّر في جهة من جهاته بل هو خبر جاء به التوثيق، فقلنا به ونفيينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء وبالله التوفيق" اهـ (نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقِمَ فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة" اهـ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله في كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) ما نصه: "والغرض من

الحادي: لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَصَّبِي، الإِشارة إِلَى أَنَّ الْلَّوْحَ الْمَحْفُوظَ فَوْقَ الْعَرْشِ "اَهَ"

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْبَيْلُ ۖ ثُمَّ الْقَلْمُ ۖ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكَمٍ
لَا لِإِحْتِيَاجٍ وَبِهَا إِلِيمَانٌ ۖ يَجِبُ عَلَيْكَ أَئِمَّهَا إِلِإِنْسَانٌ

فائدة:

اعلم أن القلم كتب في اللوح كل ما هو كائن إلى يوم القيمة وهو ليس فيه كل علم الله تعالى؛ لأن اللوح مخلوق وعلم الله تعالى غير مخلوق علمه أزلي أبدى سرمدي لا ابتداء له ولا انتهاء له.

وجوب الإيمان "بالقلم"

يجب على المكلف الإيمان بالقلم وأنه موجود ومخلوق كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى دون العرش، لا نعلم حقيقته، وعقولنا قاصرة عن تصوره، شاء المولى سبحانه وتعالى له البقاء، أي بقاوه ليس بذاته، وقد أمر الله تعالى القلم أن يجري على اللوح المحفوظ فجرى بقدرة الله ومن غير أن يمسه أحد من الخلق، فسطر في اللوح المحفوظ كل ما هو كان وسيكون إلى يوم القيمة.

والقلم في الأصل ثلاثة:

1. القلم الأول: الذي خلقه الله وقال له اكتب، وهو المراد إذا ما أطلق.

2. القلم الثاني: ما تكتب به الملائكة المقادير والكواين والأعمال وما سوى ذلك مما أمروا به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ "الإنفطار: 10-11".
3. القلم الثالث: ما جعله المولى سبحانه وتعالي بأيدي الناس، يكتبون كلامهم، ويصلون به مآربهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ، عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ "العلق: 5-4"

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقلم:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ "القلم: 1".
- مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وآلہ وسلم قال: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلْمَ قَالَ لَهُ: أَكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبْ؟، قَالَ: أَكْتُبْ الْقَدَرَ، مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبْدِ) رواه الترمذى وأحمد وغيرهما، وإذا ما حملنا كلمة (أَوَّلَ) في الحديث على الأولياء فتكون هذه الأولياء أولياء إضافيةً، أما أولياء خلق الماء فهي أولياء حقيقية، فيكون بذلك خلق القلم بعد الماء كالعرش كما مرّ معنا، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلہ وسلم: (جَفَّ الْقَلْمُ بِمَا أَنْتَ لَاقِ) رواه البخاري، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعى رحمه الله في كتاب (فتح الباري) عند شرحه للحديث: "أي نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه لفراغ ما كتب به" اهـ، وعن ابن عباس قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: (يَا عُلَامُ إِنِّي أُعَلَّمُ كُلِّمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحْذِهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا

اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحْفُ) رواه الترمذى، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (سَبَقَ الْعِلْمُ، وَجَفَّ الْقَلْمُ، وَمَضَى الْقَضَاءُ، وَتَمَّ الْقَدْرُ) رواه البيهقي في القضاء والقدر، وكل ذلك كناية على أن تقدير الله تعالى للأشياء نافذ لا يتبدل.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالقلم، وأنه مخلوق.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقِمَ فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة" اه، وقال القاضي عياض المالي رحمه الله: "كتابه الله ولوحه وقلمه من غيب علمه الذي نؤمن به ونفوض علمه إليه" (نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري).

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلْمُ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكَمٍ
لَا لِاحْتِيَاجٍ وَبَهَا الْإِيمَانُ يَحِبُّ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

وجوب الإيمان "بالروح"

يجب على المكلف الإيمان بالروح، لثبوت ذلك في الكتاب والسنّة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هي جوهرٌ لطيف جعله الله بالنسبة للآدمي متشابهاً بالبدن كما يتشابك الماء بالعود الأخضر، تذهب الحياة بذهابه.

وحقيقة الروح لا نفهمها ولا نستطيع تصورها، ولكن نشعر بها، وهي مخلوقٌ باقيةٌ لا تفني، وبقاوتها هذا ليس ذاتياً بل بإرادة الله تعالى، ومثلها مثل اللوح والقلم والجنة ونعمتها والنار وعذابها والعرش والكرسي وعجبُ الذَّئبِ.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَفِي فَنَّ النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتَلَفَ وَاسْتَظَهَرَ السُّبْكِيَّ بِقَاهَا الَّذِي عُرِفَ
عَجْبُ الذَّئبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّا الْمُرْزَنِيُّ لِلْمُرْزَنِيِّ بِلَا وَضَّحا

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالروح:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85)، قلت: ولا يوجد في الآية تعلق وتمسك بعدم الخوض في بيان حقيقة الروح، بل الآية فيها بيان من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ﴾ أي من خلق ربِّي هي حادثة، وجدت بمشيئة الله تعالى وقدرته فجعلها سبباً في إفادة الحياة للجسد، ثم احتاج على حدوث الروح بتغييرها من حال إلى حال فما تزال في التغيير

والتبديل من نقصان إلى كمال أو من كمال إلى نقص وهو مفهوم قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، بل كيف يصح قبول قول القائل: أن مبحث الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه النبي مرسلاً، فهذا يفيد نسبة الجهل في حقهم عليهم الصلاة والسلام وأنهم لا يعلمون ما يُنَزَّلُ عليهم، بل إن العلماء تكلموا في الروح، فكيف يُقال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا علم له فيها، وهذا كله مستحليل لما قد بيته في مبحث الرسليات من وجوب أن يكون الرسول أعلم أهل قومه، وهو مخالف أيضاً لصريح القرآن، قال تعالى في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113)، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن: 2-1)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114)، فلا يمتنع أن يكون علم الروح مما استأثر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان العلم بالروح مما لم يؤمر بتفصيل بيانه كما مر معنا في باب الرسليات عند الكلام على مسألة التبليغ ولقد خاض فيه كثير من العلماء منهم إمام الحرمين، والإمام النووي، والإمام الرازبي، والعز بن عبد السلام، وأصحاب مالك، وغيرهم كثير فلو كان الخوض ممتنعاً لم يقدم عليه مثل هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى، كما قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري الماليكي رحمه الله في الجوهرة:

وَلَا تَخُضُّ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَأَ نَصٌّ مِنَ الشَّارِعِ لَكِنْ وُجْدًا لِمَالِكٍ هِيَ صُورَةً كَالْجَسَدِ فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذَا السَّنَدِ

- مِنَ السُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ مَرْسُولًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ تَلْقَى رُوحَهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُوا لَهُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَإِذَا قَالَ: مَاتَ، قَالُوا: دُهِبَ بِهِ إِلَى أُمَّهِ الْهَاوِيَّةِ، فَبَيْتَسَتِ الْأُمُّ وَبَيْتَسَتِ الْمُرَبِّيَّةِ)"رواه الحاكم في المستدرك"، وَعَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَئِبِّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ, يَقُولُ: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعْرَفَ مِنْهَا اتَّلَفَ وَمَا تَنَاهَكَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)"رواه البخاري ورواه مسلم من حديث أبي هريرة".

- الإجماع: أجمع أهل الحق على أن الروح حادثة أوجدها الله من العدم، وهي سبب في إفادة الحياة للجسد.

قال الإمام محي الدين النووي الشافعي رحمه الله: "وأصح ما قيل فيها على هذه الطريقة ما قاله إمام الحرمين: إنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر ف تكون سارية في جميع البدن"اه"رواه الباجوري في تحفة المرید بشرح جوهرة التوحيد، وقال عبد الرحيم بن خالد المالكي رحمه الله: "الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس، تسلي من الجسد سلاً"اه"رواه الباجوري في تحفة المرید وهو قول الإمام مالك.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَرَاجِبٌ إِيمَانًا بِالْمَوْتِ وَيَقِيْضُ الرُّوحَ رَسُولُ الْمَوْتِ

وجوب الإيمان "بقيام الساعة وعلماتها"

يجب على المكلف الإيمان بقيام الساعة، ووجود علامات لها، وقيام الساعة، هي آخر أيام الدنيا وأول أيام الآخرة وسميت باليوم الآخر لأن آخرها متعلق في هذه الدنيا وأولهما متعلق بالآخرة، أما وقت قيامها فهو من ضمن الغيب التي استأثر المولى سبحانه وتعالى بعلمه ولم يطلع عليها لا رسول ولا نبي ولا ملك مقرب، ولكن ببالغ رحمته تعالى جعل لها علامات دالة على قرب وقوعها، فهي حق ثابت كثبوت اليوم الآخر فوجب الإيمان بها.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بقيام الساعة:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿اَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾ "القمر: 1"، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتَيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ﴾ "الحجر: 85"، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلُتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيْكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَائِنَكَ حَفِيْ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ "الأعراف: 187"، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتَيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنِ فِي الْقُبُوْرِ﴾ "الحج: 7"، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا، إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا، كَائِنُهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحَاحًا﴾ "النازعات: 46-47" وقال تعالى: ﴿وَلَلَّهِ عَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا لَكُلْمَحُ الْبَصَرِ أَوْ

هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿النَّحْل: 77﴾، وقال تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَعْثَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرَوْنَ﴾ ﴿الأنعام: 31﴾.

- مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: ما جاء في حديث جبريل عليه السلام الطويل عندما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: متى الساعة؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) قال: "فأخبرني عن أماراتها" رواه مسلم، وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار بالسبابة والوسطى رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم وقد نص على تواترهشيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، وعن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا تهجد من الليل، قال: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض) إلى قوله: (والجنة حقيقة والنار حقيقة، والنبيون حقيقة، والساعة حقيقة،... إلى آخر الحديث) رواه الشیخان والترمذی وغيرهم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بقيام الساعة.

قال الإمام أبي زيد القمي رحمه الله في رسالته ما نصه: " وأن الساعة آتية لا ريب فيها" اهـ، وقال العلامة الزرقاني رحمه الله في "شرح الزرقاني على موطأ مالك بن أنس" ما نصه: قوله: (والساعة حق) أي يوم القيمة، وأصل الساعة القطعة من

الزمان، وإطلاق اسم الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها، وأنها ما يجب أن يصدق بها) أهـ، وقال العلامة أحمد بن محمد البرنسى الفاسى المعروف بزروق رحمه الله في شرحه على متن الرسالة ما نصه: "الساعة عبارة عن فراغ أيام الدنيا وإنقراضها سميت بذلك لقرب أمرها وسرعته قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا گَلَمْحُ الْبَصَرِ﴾" النحل: 77 وهو أقرب، ومعنى آتية أي جائية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾" الحج: 7 لا شك فيها يعني لا يمكن الشك لتحقق أمرها إذ قد جاء بالخبر الصادق فلا يصح الشك فيه" أهـ.

فصل

(وجوب الإيمان بعلامات الساعة)

ثم اعلم أن علامات الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: العلامات الصغرى، والعلامات الكبرى التي تقبل معها التوبة، والعلامات الكبرى التي لا تقبل معها التوبة وتعقبها الساعة، وهي متتابعة كنظام خرزات انقطع سلكها.

وقد جرت العادة بأن الإستغراب من الأمر يكون في أول ظهوره فقط، فالعلامة عندما تظهر يستغرب منها الناس، ثم تنتشر فيعتادوا عليها ثم لا تعد بنظرهم علامة، ولعله بأنه لا يلزم من ظهور العلامة الثانية ذهاب الأولى، ولكن قد لا نشعر بها مع وجود ما هو أقوى منها وهكذا تتوالى العلامات من صغرى إلى كبرى حتى يتفاجأ الناس بالعلامات التي لا تقبل معها التوبة، ثم تقوم الساعة على شرار الناس، نسأل الله الخيلم الغفور أن يرزقنا العفو والعافية ويختم لنا على كامل الإيمان، آمين.

ثم أن هناك فرق بين وجود العلامة وظهورها، فالدجال مثلاً موجود كما جاء في حديث تميم الداري وهو من العلامات الصغرى ولكن خروجه وظهوره من العلامات الكبرى.

واعلم أن علامات الساعة بأقسامها هي من قبيل الأخبار السمعية التي اشتهر نقلها اشتهاراً يوجب العلم بها فيجب الإيمان والجزم بوقوعها في الزمان الذي أراده الله تعالى.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بعلامات الساعة:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَعْتَدَ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرًا هُمْ﴾ "محمد": 18.
- من السنة المشرفة: ما جاء في حديث جبريل الطويل: (قَالَ فَأَخْبَرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْؤُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبَرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدُ الْأُمَّةُ رَبِّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَّةَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَوَّلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) رواه مسلم.
- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بقيام الساعة وعلاماتها.

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "خروج الدجال ويأجوج وmajog وطلع الشمس من مغربها ونزول عيسى صلوات الله عليه من السماء وسائر علامات يوم القيمة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله الموفق" اهـ، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى

بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها" اه، وقال الإمام النسفي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط الساعة من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها فهو حق" اه.

قال العلامة السفاريني الحنبلي في منظومته الدرة المضية في عقيدة الفرق
المرضية:

وَمَا أَتَىٰ فِي النَّحْصَ مِنْ أَشْرَاطٍ فَكُلُّهُ حَقٌّ بِلَا شَطَاطٍ

القسم الأول: العلامات الصغرى

1- منها بعثة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى:
عن أنس بن مالك، عن النبي صلـى الله علـيه وآلـه وسلم قال: (بـعـثـتـ أـنـا وـالـسـاعـةـ
كـهـائـيـنـ) وأـشـارـ بالـسـبـابـةـ وـالـوـسـطـىـ"روـاهـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ وـأـحـمـدـ وـغـيـرـهـ"،ـ وـهـذـاـ إـشـارـةـ إـلـىـ
الـسـاعـةـ تـأـتـيـ بـعـدـ بـعـثـتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ وـهـذـاـ عـلـمـ بـقـرـبـهـاـ وـلـيـسـ بـوقـتـهـاـ،ـ أـيـ
مـنـ قـبـيلـ أـنـ كـلـ آـتـ قـرـيبـ.

2- منها فتح بيت المقدس: عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: (اعدد ستة بين يدي الساعة...) موتى، ثم فتح بيته المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنه لا يبقى بيته من العرب إلا دخلته، ثم هذنه تكون بينكم وبين الأنصار فيغدرون فيا ثونكم تحت شمائين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً) رواه البخاري وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وكان ذلك

في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية، كما ذهب إلى ذلك أئمة السيرة.

3- منها وقعة صفين: فقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقْتَلَ فِتَنَانٌ عَظِيمَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةً) رواه البخاري.

4- منها واقعة التهروان: فقد أخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال أتينا أباً أيوب الأننصاري فقلت: يا أباً أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة: (الناكثين والقاسطين والمارقين)، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين، وذكر مثله عن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

5- منها نزول الإمام وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الإمام أبي محمد الحسن بن علي وأخ الحسين عليهم السلام أجمعين: وقد قال النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتَنَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) رواه البخاري والترمذـي وأحمد وغيرهم" والحديث متواتر نص عليه العالمة المحدث محمد بن جعفر الكتـاني الحـسيني رحمـه الله في كتابـه "نظم المـتنـاثـرـ منـ الحديثـ المتـواتـرـ".

6- منها ملك بني أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذية كقتل الحسين بعدما سُمَّ الحسن عليهما السلام، وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق، وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيْكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصِيًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ) رواه أحمد.

7 - ومنها ملك بني العباس وما جرى في أيامهم من المحن والبأس على آل بيت

النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما تواتر في كتب التاريخ والسير والتراجم.

8- ومنها نار الحجاز التي أضاءت منها أعناق الإبل ببصري: عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبْلِ بِبُصْرَى) رواه البخاري.

9- ومنها خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي أنه نبي: عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَلَ فِئَاتَانِ عَظِيمَاتَانِ يَكُونُ بِيْهُمَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةً وَحَتَّى يُبَعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثَيْنَ كُلُّهُمْ يَرْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ) رواه البخاري.

10- ومنها كثرة المال: كما مر معنا من حديث عوف بن مالا.

11- ومنها ضياع الأمانة: عن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس يحدّث القوم جاءه أعرابي قال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدّث، وقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال

بعضهم بـل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه: قال أين السائل عن الساعة؟ فقال لها أنا يا رسول الله قال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قال كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) رواه البخاري.

القسم الثاني: العلامات الكبرى التي ظهرت وما زالت تتوالى حتى يومنا هذا:

منها ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنبياء مرفوعاً: (من اقترب الساعة اثنان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا وأستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعملوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الأرحام ويكون الحلم ضعفاً والكذب صدقاً والحرير لباساً وظهر الجور وكثرة الطلاق وموت الفجأة واثمن الحائين وحون الأمين وصدق الكذاب وكذب الصادق وكثرة القدر وكان المطر قيظاً والولد غيظاً وفاض اللئام فيضاً وغاص الكرام غيضاً وكان الأمراء والوزراء والأمناء حوناً والعرفاء ظلماً والقراء سقة، إذا ليسوا مسؤوك الضأن قلوبهم أثنت من الحيفة وأمر من الصبر يغضبهم الله فتنته يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وظهور الصفراء وتطلب البيضاء - يعني الذهب والفضة - وتكثر الخطباء ويقل الأمور بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المتأبر وخربت القلوب وشربت الحموم وعطلت الحدود وولدت الأمة ربتها وترى الحفاء العرابة صاروا ملوكاً وشاركت المرأة روجها في التجارة وتبشة الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله

وَشَهِدَ الْمَرءُ مِنْ عَيْرِ أَنْ يُسْتَشَهِدَ وَسُلِّمَ لِلْمَعْرِفَةِ وَنُفْقَةَ لِعَيْرِ اللَّهِ وَطُلُبَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَاتَّخَذَ الْمَغْنِمَ دُولَةً - وَهُوَ بِضَمِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ: مَا يُتَدَّاولُ مِنَ الْمَالِ، وَمَعْنَاهُ إِذَا اخْتَصَ الْأَغْنِيَاءُ وَأَرْبَابُ الْمَنَاصِبِ بِأَمْوَالِ الْفَقِيْءِ وَمَنْعُوهَا مُسْتَحِقِيَّهَا كَمَا فِي النَّهَايَةِ - وَالْأَمَانَةُ مَغْنِمًا وَالزَّكَاةُ مَغْرِمًا وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ وَعَقَ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَجَفَا أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَأَطَاعَ امْرَأَتَهُ وَعَلَتْ أَصْوَاتُ الْفَسَقَةِ فِي الْمَسَاجِدِ وَاتَّخَذَتِ الْقِيَامُ وَالْمَعَاذِفُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ فِي الظُّرُقِ وَاتَّخَذَ الظُّلُمُ فَخِرَا وَبَيْعَ الْحُكْمُ وَكُثُرَتِ الشُّرَطُ وَاتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَرَامِيرَ وَجُلُودُ السَّبَاعِ صِفَافًاً - أَيْ بِأَنْ تُجْعَلَ عَلَى السُّرُوجِ كَمَا يَفْعُلُهُ أَمْرَاءُ زَمَانِنَا - وَلَعَنَ آخرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَاهَا، فَلَيْرَتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ وَخَسْفًا وَمَسْخًا وَقَدْفًا وَآيَاتٍ) اهـ، والأحاديث في ذلك كثيرة بل كثيرة جداً لا تليق بهذا المختصر ومن أراد الرجوع إليها فعليه بكتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) للإمام محمد بن رسول البرزنجي الحسيني الشافعي رحمه الله، وكتاب (الفتن والملاحم وأشراط الساعة والأمور العظام يوم القيمة) لابن كثير رحمه الله، وكتاب (القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للإمام السخاوي رحمه الله).

فائدة: قال شيخنا العلامة المحقق السيد عبد العزيز الغماري الحسيني رحمه الله في كتابه "الأربعين العزيزية فيما أخبر به سيد البرية من علامات الوقت" ما نصه: "الأحاديث الواردة في الفتنة وأشرطة الساعة، والم الخبرة بما سيكون قبل قيامها من عجائب المظاهر وغرائب الأحوال، وما سيقع للناس من تبدل وانقلاب وما سينزل

بالأئم من بلايا وأهواه، يجب على العالم الحاذق ألا يتكلف شرحها بما يقتضيه اللفظ والعبارة ومدلول اللغة، فإن ذلك يجر إلى الوقوع في الغلط العظيم، والخطأ الجسيم، وصرف الحديث الوارد في ذلك عما أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لما عبر بتلك الألفاظ عما شاهده، وأطلعه الله تعالى عليه من الأحوال، والأحداث التي ستقع، أتى صلوات الله تعالى عليه وسلمه، بالعبارة التي تقرب للصحابية المعنى لا غير؛ لأنَّه لا يمكن أن يخاطبهم بشيء لا يعرفونه" اهـ.

وقد حفظنا عليه رحمة الله قوله: "لا يجوز لأحد أن يكتب عن العالمة حتى تبرز أي يفندها من صغرى وكبري؛ لأنَّ هذا الباب مزلقة أقدام العلماء، وهذا لأنَّ ثكذب الأمة ولا يُكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يجتمع في الحديث الواحد علامات صغرى كضياع الأمانة واستحلال الكذب، وكبري تقبل معها التوبة كخروج الدابة وخروج الشمس من المغرب" اهـ.

القسم الثالث: العلامات الكبرى التي لم تظهر بعد:

وهي علاماتٌ مَهِيَّةٌ عظيمةٌ، قد توادر الخبر بها، ولقد جاء غالباً محملًاً، من حديث حُذْيَفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفارِيِّ قَالَ: اطْلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: (مَا تَذَكَّرُونَ؟)، قَالُوا: نَذَكَّرُ السَّاعَةَ، قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَّرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَظُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا)،

وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةُ حُسُوفٍ: حَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَحَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَحَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) "رواه مسلم"، وهي علامات متتابعة، فما أَنْ تَظَهَرَ وَاحِدَةٌ حتَّى تَتَبعُهَا بَقِيَةُ الْعَالَمَاتِ الْأُخْرَى، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْأَمَارَاتُ خَرَّاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ السَّلْكُ شَيْءٌ بَعْضُهُ بَعْضًاً) "رواه الحاكم في المستدرك"، وهي قسمان:

أولاً: علامات كبرى تُقبل معها التوبَة: وهي ظهور المهدى، ويأجوج ومأجوج، وخروج الدجال، ونزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام والنار التي تخرج من قعر عدن تطرد الناس إلى أرض المحشر.

ثانياً: علامات كبرى لا تُقبل معها التوبَة: وهي طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة.

قال العلامة السفاريني الحنبلي في منظومته الدرة المضية في عقيدة الفرقَة المرضية:

وَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ أَشْرَاطٍ فَكُلُّهُ حَقٌّ بِلَا شَظَاطٍ
 مِنْهَا الْإِمَامُ الْخَاتُمُ الْفَصِيحُ مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَسِيحُ
 وَإِنَّهُ يَقْتُلُ الدَّجَّالَ بِبَابِ لَدُّ خَلٌّ عَنْ جِدَالٍ
 وَأَمْرُ يأجوج ومأجوج أثَبَتِ فَإِنَّهُ حَقٌّ كَهْدَمُ الْكَعْبَةِ
 وَإِنَّ مِنْهَا آيَةً الدُّخَانِ وَإِنَّهُ يُذَهِّبُ بِالْقُرْآنِ

طُلُوعُ شَمْسِ الْأَفْقِ مِنْ دَبْورٍ كَذَاتِ أَجِيَادٍ عَلَى الْمَشْهُورِ
وَآخِرُ الْآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ

أولاً: العلامات الكبرى التي تقبل معها التوبة:

1- الدُّخَان:

اعلم أن آية الدخان هي من أشرطة الساعة التي ورد النص بها وإنها حق يجب الإيمان بها، لثبوتها بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^{الدخان:10}، ومن السنة ما رواه حذيفة بن الإمام مرفوعاً: (أنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَانًا يَمْلأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ شِبْهُ الرُّكَامِ، وَإِنَّمَا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فِيهِ، وَمِنْ خَرْيَهِ، وَعَيْنَيْهِ، وَأَذْنَيْهِ، وَدُبْرِهِ) رواه الطبراني، ورواوه البغوي ولفظه: قال حذيفة بن الإمام سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أول الآيات الدخان، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبيين تسوق الناس إلى المحشر تُقْيَلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^{الدخان:10}، يَمْلأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)، وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: "آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الركام ويُنْفَخُ الْكَافِرُ حَتَّى يَقْدَّ" ، وقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن البصري، وزيد بن علي عليه السلام هو دخان قبل قيام الساعة يدخل

في أسماء الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أو قد فيه ولم يأت بعد وهو آت.

2- يأجوج و Magee:

اعلم أن آية خروج يأجوج و Magee هي من أشراط الساعة التي ورد النص بها وإنها حق يجب الإيمان به، لثبوتها بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، أما الكتاب فقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتَحَتْ يَأْجُوْجَ وَمَاجُوْجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ "الأنبياء: 96" ، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ، قَالُوا يَا ذَا الْقُرْبَيْنِ إِنَّ يَأْجُوْجَ وَمَاجُوْجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهُمْ تَجْعَلُ لَكُمْ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا ﴾ الكهف: 93-94" ، ومن السنة ما روی في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان، عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم آنه قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قَتْلِهِ الدَّجَالَ أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدْانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزْتُ عِبَادِي إِلَى الصُّورِ، وَبَيَعَثُ اللَّهُ يَأْجُوْجَ وَمَاجُوْجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمْرُرُ أَوْلُهُمْ عَلَى بُحْرَيَةٍ طَبَرِيَّةٍ فَيَشَرِّبُونَ مَا فِيهَا وَيَمْرُرُ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءً، وَيَحْصُرُونَ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الشَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ)، وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم دخل عليها فزعاً يقول: (لا إله إلا الله ويل للعراب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج و Magee مثل هذه وحلّ بإصبعيه الإبهام والتي تليها)، قال: فقلت: يا رسول الله أئهلك وفيينا الصالحون؟

قال: (نعم إذا كثُرَ الْخَبْثُ) رواه البخاري، وفي الحديث الطويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شَعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجَعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْعَثَهُمْ إِلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شَعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجَعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهِينُهُمْ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسَهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهِينَةُ الدَّمِ فَيَقُولُونَ قَهْرَنَا أَهْلُ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلُ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَفَّاً فِي أَفْقَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا) فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَ الْأَرْضِ لَتَسْمَئُ شَكَرًا مِنْ لُؤْمِهِمْ وَدَمَائِهِمْ) رواه أحمد.

والنَّعْفُ: نوع من الدود يكون في رؤوس الإبل وتحت قرن الحروف، وقد أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج، وذكر الإمام ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافت بن نوح عليه السلام وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هَلْ بَلَغَتُهُمْ دَعْوَتُكَ فَقَالَ: (جُزْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يُحِبُّوَا) أهـ رواه العلامة السفاريني في لامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية،

قلت: والحديث متواتر نص عليه العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، ونقل إجماع العلماء عليه.

3- ثلاثة خسوف:

اعلم أن آيات الخسوف هي من العلامات الكبرى التي يجب الإيمان بها، والمقصود بها ثلاثة خسوف تكون عظيمة ومهيبة ليست معتادة كحال الخسوفات التي حدثت وما زالت تحدث إلى الآن، لما رواه حذيفة بن أسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: - فذكر منها- ثلاثة خسوفٍ: خسْفُ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفُ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ) رواه مسلم، وما أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من حديث صحار العبدى: (لا تقوم الساعة حتى يخسَفَ بِقَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ).

4- خروج المهدى المنتظر عليه السلام:

اعلم أن أول أشراط الساعة الكبرى التي وردت بها الأخبار المتواترة ظهور الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله، الخاتم للأئمة المُلهم المجتهد فلا إمام بعده كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده الإمام محمد المهدي عليه السلام، واسمه محمد أو أَحْمَدُ، وسمى بذلك أسوة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه كثير الخصال المحمودة، فقد جاء ذلك في عدة أخبار باسم أبيه عبد الله فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا

وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجُورًا" رواه أبو داود والترمذى والبىهقى وغيرهم، وأخرجه الترمذى وأبو داود في سننه ولفظه: (حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي)، وقد تواترت الأخبار أنه من ولد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء، من ولد الحسن عليهم السلام، يولد في المدينة ويبايع في مكة بين الركن والمقام، ومهاجرته بلاد الشام، روى نعيم بن حماد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (الْمَهْدِيُّ مَوْلَدُهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاسْمُهُ اسْمُ نَبِيٍّ وَمُهَاجِرُهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ)، ويكون ظهوره قبل نزول سيدنا عيسى عليه السلام، يحكم بكتاب الله تعالى، ويُحيي ما حُرِفَ من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويملا الأرض عدلاً وأمناً بعد أن مُلئت ظُلْمًا وَجُورًا وَخُوفًا، وقد تواترت الأخبار في خروج المهدى عليه السلام ومن نقل تواتره العلامة محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتاب "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" فعد عشرين نفساً من روى الحديث، وقال: "وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة، والسخاوي ذكر ذلك في فتح المغيث، وفي شرح المواهب نقاً عن أبي الحسين الأبرى في مناقب الشافعى قال: تواترت الأخبار أن المهدى من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه" اهـ، وقال العلامة السفاريني الحنبلى رحمه الله في كتاب (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار البهية) ما نصه: "وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعى فالإيمان بخروج المهدى واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة" اهـ، وللقاضى العلامة محمد بن علي الشوكانى رحمه الله رسالة سماها (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) قال فيها: "والآحاديث الواردة

في المهدى التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً في الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدى فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للإجتهاد في مثل ذلك "اه وللحافظ السيوطي رحمه الله رسالة أسمها "العرف الوردي في أخبار المهدى" جمع فيها الأحاديث والأخبار التي وردت في المهدى، ولشيخنا السيد المحقق العلامة الولي الصالح عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله كتاب حافل سماه "المهدى المنتظر"، وللعبد الضعيف رسالة مختصرة أسميتها "سل الحسام الهندي على منكر خروج المهدى"، بينت وفندت فيها أخطاء ومزاعم منكري خروج الإمام المهدى عليه السلام من السابقين والمعاصرين وكذلك المغالين.

5- الدّجال:

اعلم أن من الآيات العظام والعلامات الجسام خروج الدجال أصل الكفر والضلال والفتنة، فقد أذرت به الأنبياء قومها وحضرت منه أمها وحضر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن أنس قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا بَعِثْتَنِي إِلَّا أَنْذَرَأَمْتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ) رواه البخاري ومسلم، وعن أبي سلمة قال: سمعت أبي هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا أَحَدُّنُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَحْيِي مَعَهُ بِمِثْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا النَّارُ هِيَ الْجَنَّةُ، فَإِنِّي أَنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحَ قَوْمَهُ) أخرجه البخاري ومسلم، وسمى كذلك؛ لأنَّه يغطي الحقَّ بالباطل ويسمى بالمسير

الدّجال؛ لأنَّه يمسح الأرض جوراً وظلماً وبهتاناً بعد أن يطأها؛ ولأنَّه ممسوح العين أيضاً، فعينه كحبةٍ عنِ طافيةٍ لا سواد فيها ولا بياض، مكتوب على جبينه كـف ر من قرأ عليه فواتح سورة الكهف نجا بفضل الله، والأحاديث فيه لعنه الله كثيرة متواترة منها ما جاء في الحديث الطويل عن فاطمة بنت قيس قالت: سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (إِنَّ تَمِيمَ الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصَارَانِيًّا فَجَاءَهُ فَبَأْيَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَاقَعَ الَّذِي كُنْتُ أَحَدُ ثُكُّمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثَيْنَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَوْا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغَرِبِ الشَّمْسِ... قالَ دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطْ خَلْقًا وَأَشَدُهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنْقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ.... قالَ إِنِّي مُحْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُروجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدْعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدَةً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكُ بَيْدِهِ السَّيْفُ صَلْتُهَا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا) رواه مسلم، قلت: والحديث فيه نكتة وهي رواية النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن تميم الداري، وتسمى مثل هذه الرواية كما قررها علماء الحديث برواية الأكابر عن الأصغر.

وفي زمن الدّجال يكون قد عمَّ البلاء وانتشر، لا سيما في بيت المقدس، وعن ابن عمر مرفوعاً: (أَنَّ قَبْلَ خُرُوجِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ أَوْلَ سَنَةٍ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا وَالْأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، وَالسَّنَةُ الثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا وَالْأَرْضُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، وَالسَّنَةُ الثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ مَا فِيهَا وَيَهْلِكُ كُلُّ ذِي ضَرِّسٍ وَظِلْفٍ، وَيَسِيرُ وَمَعْهُ

جَبَلَانِ أَحَدُهُمَا فِيهِ أَشْجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَمَاءٌ، وَأَحَدُهُمَا فِيهِ دُخَانٌ، فَيَقُولُ هَذِهِ الْجَنَّةُ وَهَذِهِ النَّارُ" رواه الحاكم في المستدرك، وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعْرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ)، وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهَرٌ يَمْجُرُ يَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءً أَبْيَضُ وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ، فَأَمَّا إِنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ أَحَدُ مِنْكُمْ فَلَيَأْتِ الْهَرَّ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلِيُغَمِّضْ ثُمَّ لِيُطَاطِئُ رَأْسَهُ فَيَشَرِّبَ فَإِنَّهُ مَاءُ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيلَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ) رواه مسلم، وأخرج مسلم من حديث التوابين بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال ذات غدراً فحضر في ورقة حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رأينا إلينه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداً فحضرت فيه ورقتنا حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: (غَيْرُ الدَّجَالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيْكُمْ فَأَنَا حَيْجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيْكُمْ فَكُلُّ امْرِئٍ حَيْجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌ قَطَطَ عَيْنَهُ طَافِيَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلَيَقْرَأُ عَلَيْهِ فَوَاتِيَحُ سُورَةَ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَةً - أَيْ أَنَّهُ يَخْرُجْ قَصْدًا وَطَرِيقًا وَالثَّخُولُ الدُّخُولُ لِلشَّيْءِ - بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَأَثْبِتُوا)، قلنا: يا رسول الله فما لبنيه في الأرض؟ قال: (أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٌ وَيَوْمٌ كَشْهِرٌ وَيَوْمٌ كَجُمْعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ)، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفيانا فيه صلاة يوم؟ قال: (لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ)، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال:

(كالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتُهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيْبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطَرُ وَالْأَرْضَ فَتُنَبِّتُ فَتَرُوْحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرَىٰ وَأَسْبَعَهُ ضُرُواً وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُضْبِحُونَ مُمْحَلِّينَ لَيْسَ بِإِيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمْرُّ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ أَخْرِجِيْ كُنُوزَكَ فَتَتَبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيْبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا شَابًا مُمْتَلِئًا فَيَضَرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِيلَكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيْحَ ابْنَ مَرِيَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءَ شَرْقِيَّ دَمْشَقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَيْهِ عَلَى أَجْبَحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحْلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَا تَوَقَّعُهُ يَنْتَهِي حِيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ)، والذي يشرع في قتال الدجال هو سيدنا المهدى المنتظر عليه السلام، حتى يستند البلاء على المسلمين فينزل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويقتل الدجال، لما جاء عن سمرة بن جندب أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ وَهُوَ أَعْوَرُ عَيْنِ الشَّمَالِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيلَةٌ وَإِنَّهُ يُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْكِي الْمَوْتَىٰ وَيَقُولُ لِلنَّاسِ أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ أَنَّ رَبِّيْ فَقَدْ فُتِنَ، وَمَنْ قَالَ رَبِّيْ اللَّهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ فَقَدْ عِصَمَ مِنْ فِتْنَتِهِ وَلَا فِتْنَةَ بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَلَا عَذَابَ فَيَلْبِسُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَحْيِي عِيسَى ابْنَ مَرِيَّمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مِلَّتِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ) رواه أحمد.

وقد جاء في الأخبار أن من أهم أسباب خروج الدجال هو نسيان ذكره على المنابر وعدم تحذير الناس منه حتى إذا ذكر ينكرون خروجه من كثرة الجهل به ومن أهم

الأدلة على ذلك حديث رَأْشِدٌ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ إِصْطَهْرُ نَادَى مُنَادٍ أَلَا إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ، قَالَ: فَلَقِيْهُمُ الصَّعْبُ بْنُ جَحَّامَةَ، قَالَ: فَقَالَ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ لَأَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَا يَخْرُجُ الدَّجَالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ وَحَتَّى تَرْكُ الْأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ) رواه أحمد وغيره.

قلت: وقد توادر الخبر في خروج المسيح الدجال فوجب الإيمان به خلافاً من قال أن الدجال كل رجل خبيث، وهو قول باطل لمخالفته النص المتواتر، وألفت فيه التأليف المستقلة، وجمع كل أخباره الإمام العلامة السيد محمد بن رسول بن عبد السيد البرزنجي الحسيني الشافعي في كتابه "الإشاعة لأشراط الساعة".

6- نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام:

اعلم أن من علامات الساعة الكبرى نزول السيد المسيح عيسى ابن مریم عليه السلام من السماء حاكماً بالشريعة المحمدية، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال ولا يقبل إلا الإسلام فلا خيار لأهل الكتاب وقتها إلا الإسلام أو السيف، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث فَيَعُمُّ الخير وينتشر العدل، ويسود الإسلام والأمان، ويُرفع الجهاد، ثم يموت فيصل عليه المسلمين ويدفونه في المدينة قرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج البخاري في تاريخه والطبراني: "يدفن ابن مریم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه رضي الله عنهم فـيكون قبره رابعاً" اهـ

ونزوله ثابت بالكتاب والسنّة المتواترة وإجماع أهل الحق على ذلك، أما في الكتاب قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ النساء: 159، فصريح الآية ومفهومها فيه رد على المكذبين الذين

يكذبون بسيدهنا عيسى عليه السلام وننزله، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^{الزخرف: 61} والتنبيه في الآية فيه تحريض للمؤمنين الذين يؤمنون بسيدهنا عيسى عليه السلام وننزله على الثبات على ذلك الإيمان، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِّدِنِتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾^{المائدة: 110} قال الحافظ السيوطي رحمه الله في (تفسير الجلالين) عقب قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ ما نصه: "يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأن رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران" اهـ، وقال السيد المحقق العلامة أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله في كتابه (إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان) عقب قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ ما نصه: "اشتملت الآية على نكتتين لطيفتين: الأولى: الإشارة إلى أن كلامه كهلاً يأتي على خلاف المعهود، فإن الناس يتكلمون كهلاً وشباباً، ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب، ولكن العجب في شأن عيسى عليه السلام أن يُرفع شاباً ويُغيب مئات السنين في عالم لا تجري عليه الأغيار الجسمانية، ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلاً، لا جرم أنه أمر غريب استحق لغرابته أن ينوه الله به في آياتين من كتابه بطريق البشارة تارة والامتنان تارة أخرى، فاشتملنا بذلك على معجزتين عظيمتين. النكتة الثانية: التعبير بالناس حيث قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾^{آل عمران: 46} ولم يقل: ويكلم بني إسرائيل، أو قومه، كما هو المعهود في كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصة، للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب، بل هم وغيرهم من ينزل عليهم آخر الزمان" اهـ.

وأما السنة فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توافراً لا خلاف فيه بنزول عيسى عليه السلام، فقد رواه أكثر من عشرين نفساً من الصحابة غير الموقفات والمقطوعات وهي في هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرر في علوم الحديث، منها ما رُوي عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوْشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيْكُمْ ابْنُ مَرِيمَ حَكْمًا مُقْسِطًا فَيُكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَعْصَمَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ) رواه البخاري ومسلم والترمذى وغيرهم، قلت: والذي أمر برفع الجزية هو رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم فهو يسمى نسخ معلم بنزول عيسى عليه السلام.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَنَازُلُ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحُقْقِ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ فَيَقُولُ أَمْرِهِمْ: تَعَالَ صَلَّ بِنَا فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ) رواه مسلم، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا مَرْفُوعًا: (لَيَهْمِلْنَ ابْنُ مَرِيمَ حَكْمًا عَذْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا وَلَيَسْلُكَنَّ فَجَّا حَاجَا أَوْ مُعْتَمِرًا وَلَيَأْتِيَنَّ قَبْرِي حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَلَا رُدَنَ عَلَيْهِ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَيْ بَنِي أَخِي إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَقُولُوا أَبُو هُرَيْرَةَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ رواه الحاكم في المستدرك، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَقِيتُ لَيْلَةَ أَسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، قَالَ: فَتَذَكَّرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، قَالَ: فَرَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، قَالَ: فَرَدُوا الْأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُوا الْأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ عِيسَى: أَمَّا وَجْبَتْهَا فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَاهَدَ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعَيْ قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَأَيْتَ فَيَدُوبُ كَمَا يَدُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيَهْلِكُهُ اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا

مُسْلِمٌ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا فَتَعَالَ فَاقْتُلُهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَظْهُونَ بِلَادِهِمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمْرُونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرَبُوهُ، قَالَ: ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُوهُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمْيِتُهُمْ، قَالَ: حَتَّى تَجْوَى الْأَرْضُ مِنْ نَثْنَيْ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيُنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ فَيَجْتَرُ أَجْسَادُهُمْ حَتَّى يَقْذِفُهُمْ فِي الْبَحْرِ" رواه ابن ماجه وأحمد وغيرهما، قلت: والحديث فيه نكتة وهي رواية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النبي عيسى عليه السلام.

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل الحق على نزوله في آخر الزمان حكمًا عدلاً عاملاً بشرعية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال العلامة السفاريني الحنبلي رحمه الله في (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية) ما نصه: "وقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة" اه، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتابه "الفقه الأكبر" ما نصه: "وخرور الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلع الشمس من مغربها، ونزول عيسى صلوات الله عليه من السماء، وسائل علامات يوم القيمة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله الموفق" اه، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لد" اه "روا الطبرى في شرح أصول إعتقداد أهل السنة والجماعة"، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بخروج الدجال الأبور للعين، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء" اه، وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في

كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ما نصه: "ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله" اه، وقال الحافظ أبو الحسين الآبرى في كتاب (مناقب الشافعى) ما نصه: "وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآلـه وسلم في المهدى أنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعدـه على قتل الدجال، وأنه يوم هذه الأمة وعيسى خلفـه في طول من قصته وأمرـه" اه، وقال القاضي عياض رحمـه الله في كتاب (إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم) ما نصـه: "نزول عيسى عليه السلام وقتـله الدجال حقـ، وصحيح عند أهلـ السنة، للأحادـيث الصحيحة في ذلك، وليس في العـقل ولا في الشـرع ما يـبطلـهـ، فوجـبـ إثباتـهـ" اه، وقال الإمام ابن عطـية في تفسـيرـه: "وأجمعـتـ الأمةـ علىـ ماـ تضـمنـهـ الحـديثـ المتـواتـرـ منـ أنـ عـيسـىـ فيـ السـماءـ حـيـ، وـأنـهـ يـنـزـلـ فيـ آخـرـ الزـمانـ، فـيـقـتـلـ الـخـنـزـيرـ، ويـكـسـرـ الـصـلـيـبـ، ويـقـتـلـ الدـجـالـ، ويـفـيـضـ الـعـدـلـ، وـتـظـهـرـ بـهـ مـلـةـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ، ويـحـجـ الـبـيـتـ وـيـعـتـمـرـ" اه، وقال الإمام محمد زاهـد الكـوـثـريـ رـحـمـهـ اللهـ فيـ كـتـابـهـ (نظـرةـ عـابـرةـ فيـ مـزاـعـمـ مـنـ يـنـكـرـ نـزـولـ عـيسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ قـبـلـ الـآخـرـةـ) ماـ نـصـهـ: "فـظـهـرـ مـاـ سـبـقـ أـنـ نـصـوصـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـحـدـهـ تـحـتـمـ القـوـلـ بـرـفـعـ عـيسـىـ حـيـ، وـبـنـزـولـهـ فيـ آخـرـ الزـمانـ، حـيـثـ لـاـ إـعـتـدـادـ بـاـحـتـمـالـاتـ خـيـالـيـةـ لـمـ تـنـشـأـ مـنـ دـلـيـلـ، كـيـفـ وـالـأـحـادـيثـ قـدـ تـوـاتـرـتـ فيـ ذـلـكـ، وـاسـتـمـرـتـ الأـمـةـ خـلـفـاـ عـنـ سـلـفـ عـلـىـ الـأـخـذـ بـهـ، وـتـدوـينـ مـوـجـبـهـ فيـ كـتـابـ الـإـعـتـقـادـ مـنـ أـقـدـمـ الـعـصـورـ إـلـىـ الـيـوـمـ فـمـاـذـاـ بـعـدـ الـحـقـ إـلـاـ الضـلـالـ؟ـ" اه، وقال شـيخـ شـيوـخـناـ الـعـلـمـةـ الـمـحـدـثـ السـيـدـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـ الرـكـانـيـ الـحـسـنـيـ رـحـمـهـ اللهـ فيـ كـتـابـهـ

(نظم المتناثر من الحديث المتواتر) ما نصه: "وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والأحاديث في نزوله كثيرة" اهـ.

واعلم أن الكلام في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام طويل شهير أفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمحضرة ككتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، وكتاب (نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة) للعلامة المحقق محمد زاهد الكوثري رحمه الله، وكتاب (عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام) للسيد العلامة الولي الصالح أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسني الطنجي رحمه الله، والله أعلم.

7- نار تطرد الناس إلى محشرهم:

اعلم أن من الآيات العظام والعلامات الجسام حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو أرض الشام كما جاء ذلك صريحاً في روایات كثيرة، وال الصحيح أنَّ مصدر خروجها اليمن، ثم تنتشر بسرعة وتذهب شمالاً ويميناً وفي كل الإتجاهات؛ لأنَّها مأمورةٌ فتدفع الناس إلى أرض الشام "أرض المحشر" في الدنيا قبل قيام الساعة، ويكون عليها الفصل بين أهل الحق وأهل الباطل وهو حشر الدنيا ليس حشر الآخرة فتغلق عليهم كل الطرق إلا طريق الشام تنزل معهم إذا نزلوا وتقليل معهم حيث قالوا، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَوَّلْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ) رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم" والمقصود بالمغرب أي بلاد الشام لأنها غرب المدينة، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ)، قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَاذَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ) رواه الترمذى وأحمد وغيرهما، قلت: وقد تقدم في حديث حذيفة بن أسيد الغفارى ذكر النار في آخر العلامات، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ فَعَدَّهَا، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنَ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشِرِهِمْ) فاعلم أنها من قبيل الأولية الإضافية إذ ثبت في الدليل الصحيح أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق والنار تجمع شرار الخلق إلى محشرهم فكانت النار من آخر العلامات الكبرى التي تقبل معها التوبة، وللحافظ السخاوي قول آخر، وتسمى النار باسم البلاد التي تمر فيها، فتارة تسمى ب النار حضرموت، وتارة تسمى نار برهوت ويقال له وادي النار وهو في قعر عدن، وعدن على ساحل البحر فالعبارات ما لها واحد، وتارة نار تمر من حبس سيل أيضاً وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار إليه يكون قبل وصولها إلى المدينة، عن رافع بن بشر السلمي، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَبْسٍ سَيْلٍ تَسِيرُ بِسِيرٍ بَطِينَةٍ، تَكُونُ بِاللَّيْلِ وَتَسِيرُ بِالنَّهَارِ، تَغْدُو وَتَرُوْخُ، يُقَالُ: غَدَتِ النَّارُ أَيْهَا النَّاسُ فَاغْدُوا، قَالَتِ النَّارُ أَيْهَا النَّاسُ فَقِيلُوا، رَاحَتِ النَّارُ أَيْهَا النَّاسُ فَرُوْحُوا، مَنْ أَدْرَكَهُ أَكَلَهُ) رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك وغيرهما.

8- ريح طيبة تأخذ المؤمنين:

ومن علامات الساعة التي يجب الإيمان بها خروج الريح الطيبة، وهي ريح رحمة وسلام، تأخذ أرواح المؤمنين وكل من في قلبه حبة خردل من إيمان بطيب ويسير، ولو كان في كيد الجبل، ويبقى شرار الناس وعليهم تقوم الساعة، فتضطُّ كل ذات حمل

حَمْلَهَا، وَتَرِى النَّاسَ سُكَارَى مِنْ هَوْلٍ وَشَدَّةِ الْأَحْدَاثِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَجِيءُ بَعْدَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِيحٌ بَارِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يُبْقِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُونَ مَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَيَعْبُدُونَهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارُ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْقَخُ فِي الصُّورِ) رواه مسلم وأحمد وغيرهما، وجاء عند مسلم: (يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاؤَهُ ثُمَّ يُرِسِّلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ)، وفي حديث أبو هريرة مرفوعاً: (أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمِنِ أَلَيْنَ مِنَ الْخَرِيرِ فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ) رواه الحاكم في المستدرك، قلت: وقد تقدم ذكر أن الريح تأتي من قبل الشام، وللجمع بين الروايتين فهما ريحان شامية ويمنية.

وروى الإمام أحمد والترمذى والحاكم وابن حبان وابن عدي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ)، وفي لفظ: (لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ)، وفي لفظ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وروى الحاكم في المستدرك عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها مرفوعاً: (لَا يَدْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعبدَ الالَّاتُ وَالْعُرَى وَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً

فَتَتَوَقَّى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالٌ حَبَّةٌ حَرْدَلٌ مِنْ خَيْرٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ).

قلت: ولا تعارض بين ما سبق وبين ما رواه مسلم من حديث ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَرَأْلُ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذِلِكَ) وفي لفظ: (حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل وغيرهما، المراد لا يزالون على الحق حتى تأتيمهم الريح الطيبة قرب القيامة وعند تحقق أشراطها فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، فأطلق بقاءهم إلى قيام الساعة وأراد علاماتها وقربها.

واختلفوا في المراد بالطائفة فمنهم من قال هم أهل الحديث وهو قول أحمد والبخاري، ومنهم من قال هم أهل الجهاد حكا ابن الأثير في النهاية، ومنهم من قال هم الصوفية حكا المناوي في فيض القدير، ومنهم من قال هم المجتهدون في الأحكام الشرعية، ومنهم من قال إن هذه العصابة عامة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم علماء محدثون ومنهم قائمون بالمعروف وناهين عن المنكر إلى غير ذلك حكا النووي في شرح مسلم وهو الصواب، ومن أراد الوقوف على دليل كل منهما وتمحیص المعتمد منها فليرجع إلى رسالة شيخ شيوخنا السيد العلامة أبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله في الكلام على هذا الحديث واسمها "الأجوبة" الصرافة لإشكال حديث الطائفة.

ثانياً: العلامات الكبرى التي لا تقبل معها التوبة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ "الأنعام": 158، وهذه العلامات هي:

1- طلوع الشمس من المغرب:

إن من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها وهي من العلامات الغربية العظيمة التي لا تقبل معها التوبة، فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بادروا بالأعمال سِتَّاً، الدجَّال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وأمرَ العَامَّةِ، وخُويصَةَ أَحَدِكُمْ) رواه مسلم، قال قتادة (خويصة أحدكم) الموت، (وأمر العامة) الساعة، وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ "الأنعام": 158) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ) رواه مسلم.

ومن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُروجًا: طلوع الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدَّابَّةُ، أَيُّهُمَا كَانَتْ أَوَّلًا، فَالْأُخْرَى عَلَى أَثْرِهَا قَرِيبًا، ثُمَّ نَشَأَ يُحَدَّثُ، قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا غَرَبَتْ، أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنَتْ فِي الرُّجُوعِ، فَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، قَالَ: ثُمَّ تَعُودُ تَسْتَأْذِنُ فِي الرُّجُوعِ، فَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَا أَبْعَدَ الْمَشْرِقَ

مَنْ لِي بِالنَّاسِ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، أَتَتْ فَاسْتَأْذَنْتُ، فَقَالَ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ مَكَابِنِي) "رواه الحاكم في المستدرك"، وقد نص العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث طلوع الشمس من مغربها فقد رواه خمسة عشر نفساً من الصحابة.

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتابه "الفقه الأكبر" ما نصه: "خروج الدجال، ويأجوج وmajog، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى صلوات الله عليه من السماء، وسائر علامات يوم القيمة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله الموفق" اهـ، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بظهور الشمس من مغريها، وخروج دابة الأرض من موضعها" اهـ، وقال الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط الساعة من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج وmajog، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وظهور الشمس من مغربها فهو حق" اهـ.

2- خروج الدابة "المحسسة":

اعلم إن من علامات الساعة الكبرى خروج الدابة، فقد ثبت خبرها قرآنًا وسنة وإنجماً، وسميت بالحسنة؛ لأنها تجسس أخبار الناس أما الكتاب قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ثُكَلَّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^{النحل: 82}، وأما السنة فكثيرة منها ما أخرجه مسلم عن فاطمة بنت قيس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (....فَدَخَلْنَا الْجُزِيرَةَ فَاقْرَيْنَا دَابَّةً أَهْلَبُ

كثيرُ الشَّعْرِ لَا يُدْرِى مَا قُبِلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كُثْرَةِ الشَّعْرِ فَقُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ فَقَالَتْ أَنَا الْجُسَاسَةُ... الْحَدِيثُ)، وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمِ السَّابِقِ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتَّاً) ذَكَرَ مِنْهَا (...وَدَابَّةَ الْأَرْضِ)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلَّمَ: (تَخْرُجُ الدَّابَّةِ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ، وَعَصَماً مُوسَى فَتَجَلُّو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَاءِ، وَتَخْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْحَوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ") رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وعَنْ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ إِنَّ نَاسًا يَرْعَمُونَ أَنَّكَ دَابَّةُ الْأَرْضِ فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنَّ لِدَابَّةِ الْأَرْضِ رِيشًا وَرَغَبًا وَمَا لِي رِيشٌ وَلَا رَغَبٌ، وَإِنَّ لَهَا حَافِرًا وَإِنَّهَا لَتَخْرُجُ حَضَرَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ ثَلَاثًا وَمَا خَرَجَ ثُلَثَاهَا" رواه السفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار، وَعَنْ أَبْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "لَا يَلْبَثُونَ - يَعْنِي النَّاسَ - بَعْدَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَجَهَتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ وَلَا يُقْبَلُ لِأَحَدٍ تَوْبَةً، وَيَخْرُجُ إِبْلِيسُ سَاجِدًا يُنَادِي إِلَهِي مُرْنِي أَسْجُدُ لِمَنْ شِئْتَ، وَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ تَقُولُ يَا سَيِّدَنَا إِلَى مَنْ نَفَرَ فَيَقُولُ إِنَّمَا سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُنِظِّرَنِي إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَ فَأَنْظَرَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَهَذَا يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَتَصِيرُ الشَّيَاطِينُ ظَاهِرَةً فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ هَذَا قَرِينِي الَّذِي كَانَ يُغْوِيَنِي فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَاهُ، وَلَا يَزَالُ إِبْلِيسُ سَاجِدًا بَاكِيًا حَتَّى تَخْرُجَ الدَّابَّةُ فَتَقْتُلُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ" رواه الحاكم في المستدرك.

وَأَمَّا الإِجماعُ فَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ الْعَالَمَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْكَتَانِي الْحَسَنِي رَحْمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ "نَظَمُ الْمُتَنَاثِرِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ" فَقَالَ: "وَانْعَدَ عَلَى خَرْجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ".

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، وننزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بظهور الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها" اهـ، وقال الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط الساعة من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وننزل عيسى عليه السلام من السماء، وظهور الشمس من مغربها فهو حق" اهـ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله وتبدلهم الدين الحق، فيخرج الله لهم دابة من الأرض فتتكلم الناس على ذلك" اهـ.

فائدة: الظاهر أن خروج الدابة وظهور الشمس من مغربها متلازمان، والفرق بينهما أنَّ خروج الدابة أولية حقيقة؛ لأنَّها موجودة منذ أن اجتمع بهما تميم الداري وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبناءً عليه فإنَّ خروج الدابة يكون قبل خروج الشَّمس من المغرب، وظهور الشَّمس على إثرها مباشرة؛ لأنَّ الدابة تُكلِّم الناس بما هو كائن من حالهم، فمن كان الظاهر من حاله الإسلام وأخبرته الدابة أنَّه يموت على غير الإسلام، فهو كذلك؛ لأنَّها مأمورة أطْلَعَها الذي خلقها على حقائق الأمور، فلا يختلف ما أخبرت به، وذلك من عجائب الأمور الدالة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

ومثاله ما جاء عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدق: (فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلْ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلْ بِعَمَلٍ

أهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا...الْحَدِيث)، رواه البخاري ومسلم، ومعنى هذا الحديث وما سبق من خروج الدابة كله محمول على معنى ما يظهر للناس وليس حقيقة الأمر؛ لأن الظاهر من حال هؤلاء الإيمان وفي باطنهم الكفر، وبعد توصيف الدابة لحقائق الناس بأن يكون مؤمناً أو منافقاً وهم في غفلة من هذا، تعود عليهم الريح الطيبة فتأخذ المؤمنين وتدع المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر، وعلى هذا المعنى فإنَّ الريح لا تأخذ إلا مَنْ وَسَمَتُهُ الدَّابَّةُ بِالإِيمَانِ، وتَدْعُ مَنْ وَسَمَتُهُ بِالْفُقَاقِ، حينها تخرج عليهم الشمس من مغربها فلا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، أي عند تسمية وكشف الدابة لحقائق الأمور وعليه يُحمل حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي حيث قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طَلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ صُحَّى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبِتَهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا) رواه مسلم، وبناءً على هذا فإنَّ التوبة لا تُقبل من الثنائيين؛ لأنهم أنذروا وأغذروا بها قبل ظهورها ولم يصدقوا بها إلا بعد أن تحقق وجودها فكان ذلك علامه فاصلة بين قبول التوبة ورددها، وليس بين صدقها وقبولها.

والشيء بالشيء يُذكر، مما مر سابقاً من نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وأنَّ النَّاسَ يعيشون بُرْهَةً من الزمن ليس بين اثنين عداوة، هذا كلام صحيح، ولكن لا يلزم منه عدم وجود المنافقين في ذلك الزَّمان، بل هم كثُر، ولكن العدل والأخذ على يد الظالم وإنصاف المظلوم هو الذي يُظهر للرأي في ذلك

الزَّمَانُ أَنَّهُ لِيُسَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةً ظَاهِرَةً، كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ الْعَدْلَ هُوَ الَّذِي مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمِ رَغْمَ كُثْرَةِ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِالْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ فِي زَمَنِ سَيِّدِنَا عِيسَى وَقَبْلِهِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَمَا يَجُبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ بَعْدَ خَرْجِ الدَّابَّةِ وَطَلُوعِ الشَّمْسِ وَإِرْسَالِ الرِّيحِ الطَّيِّبَةِ وَفِيضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِينَ، يَتَحَقَّقُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ أَحَدٌ، فَيَنَادِي بِالنَّاسِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مُؤْمِنٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيُظَهِّرُ الْمَنَافِقُونَ كَوَامِنَ بِوَاطِنِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَعَلَى هُؤُلَاءِ تَقْوِيمُ السَّاعَةِ، فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقْوِيمُ وَعَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ فِي قَلْبِهِ مُثْقَالٌ ذَرَّةٌ مِنْ إِيمَانِهِ.

فَتَدَبَّرْ أَخِي الْمُؤْمِنِ كَيْفِيَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ لِفَهْمِ عَوِيْصِ الْمَسَائلِ كَمْثُلِ هَذِهِ الْمَسَأَلَةِ، هَدَانِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى الصَّوَابِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ. كَانَتْ هَذِهِ لَحْةٌ وَجِيزةٌ مِنْ بَعْضِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهَا مُتَتَابِعةٌ وَكَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ، وَأَكْثُرُهَا خَطْوَرَةٌ هِيَ الْعَلَامَاتُ الْكَبِيرَى، وَكَمَا قَلَّنَا سَابِقًا يَكُونُ بَيْنَ الْعَلَامَةِ وَالْأُخْرَى عَلَامَاتُهُ مِنْهَا مَا هُوَ بَاقِي وَمِنْهَا مَا يَخْتَفِي وَيَزُولُ وَهَكُذا، وَالْأَصْلُ الْإِيمَانُ بِهَا جَمِيعًا لِأَنَّ الْإِيمَانَ كُلُّ وَاحِدٍ لَا يَتَجَزَّأُ، نَسَأُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْحَلِيمَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ أَنْ يُعَمِّرَ قُلُوبَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالْيَقِينِ بِهِ، وَأَنْ يَخْتَمَ لَنَا عَلَى كَامِلِ الْإِيمَانِ، وَيَرْزَقَنَا الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، اللَّهُمَّ آمِنَّ.

وجوب الإيمان "بناء العالم"

يجب على المكلف بالإيمان بناء العالم لشبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، فبناء العالم هو بإرادة الله تعالى فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: 88)، فيأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام فينفح في البوق، وهو بوق كبوق الدنيا، النفخة الأولى فيزول هذا العالم بكل ما فيه من الأحياء ويفني وتسمى نفخة الصعق، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: 68)، ويستثنى من الصّعقـة الرسـل والأنـبياء عـلـيـهم الصـلاـةـ والـسـلامـ، وشهـداءـ المـعـركـ.

وإسرافيل كما جمع الملائكة يُميته ملوك الموت بعد أن ينفح النفخة الأولى وسيأتي بيانها لاحقاً، ولا يبقى من المخلوقات سوى ملوك الموت فيما يموت بمشيئة الله تعالى.

ولا بد من العلم هنا، وكما ذكرنا سابقاً، أن كل المخلوقات تموت وتتفنى إلا تلك التي شاء الله تعالى لها البقاء، فبقاؤها ليس ذاتياً.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا عُمُومَهُ فَأَطْلُبْ لِمَا قَدْ لَخَصُوا
وَفِي فَنَّا النَّفْسِ لَدَى التَّفْخِ اخْتِلَفْ وَاسْتَظَهَرَ السُّبْكِي بَقَاهَا الدَّرْ عُرِفَ
عَجْبُ الدَّنْبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا الْمُرَزِّيُّ لِلْمُبَلَّا وَوَضَّحَا

وقد جمعها الإمام السيوطي الشافعي المصري رحمه الله في قوله:
ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقي في حيز العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم ولعلم بأنه قبل فناء العالم يكون هناك حشر من قعر عدن إلى أرض المحشر (بلاد الشام)، وهذا الحشر لا علاقة له بالحشر بعد الفناء والبعث، كما مر معنا سابقاً.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بفناء العالم:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوَّالْجَلَلِ وَالإِكْرَام﴾ "الرحمن: 26-27"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَخْنُونَ تَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ "مريم: 40"، وقال تعالى: ﴿فُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَّ بِكُمْ﴾ "السجدة: 11"، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْشُمْ تَخْرُجُونَ﴾ "الروم: 25"، وقال تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شَرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعُلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ "الروم: 40"، وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ "الروم: 19"، وقال تعالى: ﴿ذُلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ﴾ "الحج: 6-7"، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ "غافر: 68".

- من السنة المشرفة: عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (سأله جبريل عليه السلام عن هذه الآية: ﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ "الزمر: 68" - قال رسول الله صلى الله

عليه وآلـه وسلم - (مَنِ الَّذِينَ لَمْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقُهُمْ)، قَالَ - جَبْرِيلُ - هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (رواية الحاكم في المستدرك).

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بفناء العالم.

قال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) مانصه: "وقالوا أن الله سبحانه قادر على إفناه جميع العالم جملة، وعلى إفناه بعض الأجسام مع بقاء بعضها" اهـ.

وجوب الإيمان بالموت

يجب على المكلف الإيمان بالموت، لشبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو فراغ الآجال المقدرة، وهو عرض يضاد الحياة، وعلامته مفارقة الروح للجسد، ثم إنقاذه من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^{الأعراف: 34}، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾^{المنافقون: 11} خلافاً لمن قال: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلغ.

فيجب على المكلف التصديق بعموم فناء الكل إلا من استثنى بدليل، ومنكره كافر كونه أنكر صريح القرآن والسنة والإجماع واتفاق الأمم، وما هو مشاهد بالحسـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالموت

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^{الأنبياء: 35}، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^{القصص: 88}، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^{الزمر: 30}، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُذْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشَيَّدَةٌ "النساء:78"، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقيْكُمْ﴾ "الجمعة:8"، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ "المؤمنون:99"، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ "الملك:2".

- **مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ:** عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ) رواه مسلم، وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أُوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِيلٌ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وَعَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ تَتَبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ) رواه الترمذى وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم.

- **الإجماع:** وقد أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالموت، وبأنه نازل بكل روح لا محال.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجاز أصحابنا وأكثر الأمة فناء جميع العالم جملة وتفصيلاً، وقالوا أن الذي خلقها قادر على إفناء جميعها وقدر على إفباء بعضها". اهـ.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْمَوْتِ وَيَقِينُ الرُّوحِ رَسُولُ الْمَوْتِ

وللموت ملَكٌ كريم موكل بقبض الأرواح ونزعها من الأجساد بإذن الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّ أَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَ بِكُمْ﴾^{السجدة:11}، وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ إِنَّفُسَهُمْ﴾^{النساء:97}، وقوله تعالى: ﴿وَرَيْسُلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^{الأنعام:61}، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾^{محمد:27}، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ﴾^{الأنعام:93}، ونحو ذلك من الآيات الصريحة على أن الذي يقبض الروح ملائكة لا ملك واحد، وللجمع بين الآيات فيكون المراد أن ملك الموت عليه السلام هو الموكل بقبض الأرواح، ولكن له أعون يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم، فياخذها ملك الموت، قال العلامة الصاوي رحمه الله في كتاب (حاشية الصاوي على جوهرة التوحيد) ما نصه: "فكيفية الجمع بينهما أن تقول: آية الرسل محمولة على المعالجة، وآية ملك الموت محمولة على المباشرة بالفعل" اهـ، ويدل عليه حديث البراء بن عازب الطويل المشهور: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِيهِ: (أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا أَخْدَرَ رُوحَ الْمَيِّتِ أَخْدَهَا مِنْ يَدِهِ بِسُرْعَةٍ مَلَائِكَةً فَصَعِدُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ") رواه أحمد، وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتاب (الحبائق في أخبار الملائكة): أخرج عبد الرزاق، وأحمد في الزهد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ في العضمة، وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: "جعلت الأرض ملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعل له أعون يتوفون الأنفس ثم يق报社 منها منهم" اهـ، وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ

حين مَوْتَهَا﴿"الزمر:42" فـهي محمولة على الفاعل الحقيقي؛ لأنـه الخالق لـذلك حـقيقة، ولا يكون شيء إلا بـمشيـته تعالى.

وقد أجمع الأصوليين على أنـالجـزم بـتعـين إـسـمـنـبـيـأـوـمـلـكـلاـيـثـبـتـإـلاـإـذـاـثـبـتـبـخـرـصـحـيـعـمـرـفـوـعـلـأـنـأـصـلـفـيـهـالـتـوـقـيـفـ،ـوـعـمـلـأـبـمـنـطـوـقـهـهـذـهـالـقـاعـدـةـ،ـفـلـمـيـثـبـتـبـالـكـتـابـوـلـاـبـالـسـنـةـالـصـحـيـحـةـاسـمـمـلـكـالـمـوـتـ،ـخـلـافـاـلـمـقـالـأـنـقـالـمـسـمـعـ"ـعـزـرـائـيلـ".ـ

واعـلمـأـنـهـعـلـيـهـالـسـلـامـيـتـرـقـقـبـالـمـؤـمـنـوـيـأـتـيـهـفـيـصـورـةـحـسـنـةـ،ـوـيـكـفـيـهـالـمـؤـمـنـبـشـارـةـرـؤـيـتـهـمـلـكـالـمـوـتـعـلـيـهـالـسـلـامـ،ـقـالـتعـالـىـ:ـ﴿الـذـيـنـتـوـفـاـهـمـالـمـلـائـكـةـطـيـبـيـنـيـقـولـونـسـلـامـعـلـيـكـمـادـخـلـواـجـنـةـبـمـاـكـنـثـمـتـعـمـلـوـنـ﴾"الـنـحـلـ:32"،ـأـمـاـالـكـافـرـفـمـلـكـالـمـوـتـعـلـيـهـالـسـلـامـلـيـسـرـحـيـماـبـهـ،ـبـلـيـنـتـزـعـرـوـحـهـاـنـتـزـاعـاـ،ـقـالـتعـالـىـ:ـ﴿الـذـيـنـتـوـفـاـهـمـالـمـلـائـكـةـظـالـيـيـأـنـفـسـهـمـفـالـقـوـاـالـسـلـمـمـاـكـنـثـأـنـعـمـلـمـنـسـوـءـبـلـإـنـالـلـهـعـلـيـمـبـمـاـكـنـثـمـتـعـمـلـوـنـ،ـفـادـخـلـواـأـبـوـابـجـهـنـمـخـالـدـيـنـفـيـهـاـفـلـيـئـسـمـثـوـيـالـمـتـكـبـرـيـنـ﴾"الـنـحـلـ:28-29".ـ

وـمـاـتـجـدـرـإـلـيـهـبـأـنـالـمـيـتـمـيـتـبـعـمـرـهـوـأـجـلـهـالـذـيـكـتبـالـلـهـلـهـقـضـاءـمـبـرـمـاـ،ـفـلـاـيـمـوتـأـحـدـإـلاـبـأـجـلـهـوـتـغـيـرـالـأـجـالـمـمـتـنـعـ،ـوـالـأـجـلـهـوـالـوقـتـالـذـيـكـتبـالـلـهـفـيـالـأـزـلـإـنـتـهـاءـحـيـاتـهـفـيـهـ،ـبـمـرـضـأـوـقـتـلـأـوـإـنـتـحـارـأـوـغـيرـذـلـكـ،ـفـالـمـوـتـبـخـلـقـالـلـهـعـالـىـ،ـوـالـسـبـبـكـسـبـ،ـوـالـحـدـوـالـقـصـاصـوـغـيرـذـلـكـمـاـجـرـتـبـهـعـادـةـكـلـهـمـنـقـبـيلـالـأـسـبـابـمـنـغـيرـدـخـلـلـلـقـاتـلـ.ـ

الأدلة النقلية على أن المقتول ميت بأجله:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾^{آل عمران:145}، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^{"النحل":61}.
- من السنة المشرفة: عَنْ عِمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ) رواه البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم.
- الإجماع: أجمع أهل الحق على أن كُلَّ مَنْ مات حَتَّفَ أُنْفِه أو قُتل فإنما مات بأجله.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقال أهل السنة في الآجال: أن كُلَّ مَنْ مات حَتَّفَ أُنْفِه أو قُتل فإنما مات بأجله الذي جعله الله أَجَلًا لعمره، والله تعالى قادر على إبقاءه والزيادة في عمره، لكنه متى لم يُيقِّن إلى مدة لم تكن المدة التي لم يبقه إليها أَجَلًا له" اه، وقال العلامة القرطبي رحمه الله في كتاب (الجامع لأحكام القرآن) ما نصه: "هذا إعلام أن الموت لا بد منه، وأن كل إنسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له؛ لأن معنى مؤجلًا إلى أجل، ومعنى بإذن الله بقضاء الله وقدره، وكتاباً نصب على المصدر: أي كتب الله كتاباً مؤجلًا، وأجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه: أن روح الحي تفارق

جسده، ومتى قتل العبد علمنا أن ذلك أجله، ولا يصح أن يقال: لو لم يقتل لعاش
اهـ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَمَيْتُ بِعُمْرِهِ مَنْ يُقْتَلُ وَغَيْرُهَا بَاطِلٌ لَا يُقْبَلُ

قال ابن نباتة السعدي رحمه الله:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ ماتَ بِغَيْرِهِ تَعَدَّدَتِ الأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ
فَكُلُّهُ سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى كُونِهِ سِيمُوتَ قَتْلًا أَوْ اِنْتِحَارًا أَوْ مَرْضًا أَوْ حَرْقًا أَوْ
غَيْرِ ذَلِكِ.

وجوب الإيمان "بسؤال الملائكة منكر ونكير"

يجب على المكلف بالإيمان بسؤال الملائكة **منكر ونكير** للمكلف بعد الموت إلا من استثنى بدليل، فيسأل المؤمن والكافر والمنافق، وإنما سُمِّيا بذلك؛ لأنهما يأتيان الميت بصورة **منكرة** لم يسبق له رؤيتهما على حقيقتهما، فيترفقان بالمؤمن وينتهران المنافق والكافر، وأعلم أن السؤال إنما هو للمكلفين من الإنس والجن، واختص الله بعض عباده فعصمهم منه، ومنهم: الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والمرابطون، وملازم قراءة سورة تبارك في كل ليلة، كذا سورة السجدة، ومن مات ليلة الجمعة أو يومها، وغير ذلك مما ورد في السنة استثناؤه، روى النسائي في السنن، أنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: (كَفَى بِبَارِقةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً)، وعن فضالة بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي ماتَ مُرَايِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ)" رواه الترمذى وأبو داود والحاكم في المستدرك وغيرهم، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وفاته فتنة القبر) رواه الترمذى وأحمد، وعن ابن عباس قال: ضرب بعضاً أ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خباءً على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائث على قبر وانا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هي المائعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر) رواه الترمذى.

ولابد من سؤال الميت، ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوفها أو تناثر جسده في الجو أو البحر حتى ولو كان رماداً، إذ لا يبعد أن الله تعالى يعيده له الروح في أعضائه ولو كانت متفرقة أو يعيده لأصله كما كانت؛ لأن قدرة الله تعالى صالحة لذلك وأكثر من ذلك، وقد تتنوع الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب حال الميت، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاده ومنهم من يسأل عن كلها، قال ابن عباس: "يسألون عن الشهادتين"، وقال عكرمة: يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمر التوحيد.

قلت: وقد أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بسؤال الملائكة منكر ونکير للميت لشبوث الأدلة المتواترة قرآنًا وسنةً، فقد بلغت أحاديث سؤال الملائكة للميت في قبره، مبلغ التواتر، كما بينها شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني

الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" فقال: "باب فتنة القبر، وهي سؤال الملkin قد تواترت الأحاديث بذلك" اه، وعد ثمانية وعشرين نفساً من رواها، وقال: " وأنها بلغت في العد سبعين حديثاً" اه، ومن نقل تواترها الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله القلساني الباقي المالكي في كتاب (تحرير المقالة في شرح الرسالة) قال: "بلغت الأخبار في فتنة القبر وعذابه مبلغ التواتر" اه، وقال الأبي في شرح مسلم: "أنه تواتر كل من فتنة القبر وعذابه، وأجمع عليه أهل الحق" اه، وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: " تتبع الأحاديث المتواترة بلغت جملة منها حديث الشفاعة، وحديث الحساب، وحديث النظر إلى الله تعالى في الآخرة، وحديث غسل الرجلين في الموضوع، وحديث عذاب القبر، وحديث المسح على الخفين" اه، وقال ابن عبد البر في (التمهيد) ما نصه: "تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الموضع وأجمع أهل الحق والسنّة على الإيمان به وتصديقه، وكذلك الأثر في الشفاعة وعذاب القبر، والحمد لله رب العالمين"، وقال الإمام السعد التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية ما نصه: " وبالجملة: الأحاديث في هذا المعنى، وفي كثير من أحوال الآخرة متواترة المعنى، وإن لم يبلغ آحادها حدّ التواتر" اه.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بفتنة القبر:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿يُتَبَّعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُولِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضْلَلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾²⁷ إبراهيم: والمقصود

بقوله تعالى: ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ سؤاهم في القبر، أما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فهو السؤال يوم القيمة.

- مِنَ السُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنْ أَنَّسٍ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكًا نَّفَاقَهُ دَاهِرًا فَيَقُولُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهُدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعِدًا مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيَقُولُ لَا دَرِيَّتْ وَلَا تَلِيَّتْ ثُمَّ يُضَرِّبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أَذْنَيْهِ فَيَصِحُّ صَبِحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الشَّقَلَيْنِ) رواه البخاري ومسلم، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا قبر الميت أو قال: أحدهكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقلل ل أحدهما المنكر والآخر الشكير فيقولان ما كنست تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول، هو عبد الله ورسولهأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان نعم كنومه العروسان الذي لا يوقظه إلا أحبت أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان ممنايفقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرني فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتختطف فيها أضلاعه

فَلَا يَرَأُ فِيهَا مُعَدًّا حَقَّ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ) رواه الترمذى، وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ قَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِمَيِّتِكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّشْيِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ) رواه أبو داود والبيهقي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرك وغيرهم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على ثبوت السؤال في القبر.
قال الإمام محمد الملا الحنفي رحمه الله في كتاب (عقد الالالي في شرح بدء الأمالي) ما نصه: "أجمع أهل السنة على سؤال منكر ونکير؛ لأن ذلك أمر ممكن، وورد به النص فيجب الإيمان به" اه، وقال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بتأثيث السؤال في القبر" اه.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "سؤال منكر ونکير حق كائن في القبر وإعادة الروح إلى جسد العبد في قبره حق" اه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بسؤال منكر ونکير للحي في قبره عن ربّه ودينه ونبيّه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين" اه، وقال الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "سؤال منكري ونکيري ثابت بالدلائل السمعية" اه.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:
سُؤَالُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيْمُهُ وَاجِبٌ كَبْعَثِ الْحَشْرِ

وجوب الإيمان "بالقبر ونعيمه وعدابه"

يجب على المكلف الإيمان بنعيم القبر وعدابه وإحياء الموتى فيه لثبوت ذلك بالكتاب والسنّة واتفاق أهل الحق من المسلمين، والمراد بهما نعيم البرزخ وعدابه، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ﴾ المؤمنون: 100.

ومعنى البرزخ: هو مجموعة الأمور والأحداث الفاصلة بين الدنيا والآخرة، يبدأ من الموت وينتهي بالبعث، فهو العالم الذي ينقل الله تعالى إليه الأرواح بعد الممات. والحياة البرزخية لا تقادس على الدنيا كما لا تقادس على الآخرة كذلك، ولكن لها وجه متعلق بالدنيا كالعظيم واللحم والدعاء ورد السلام وما إلى ذلك، ووجه متعلق بالآخرة كالنعم والعقاب، فيجب على كل مكفي الإيمان بالبرزخ، وأن حقيقة البرزخ لا يدركها مخلوق إلا من أطلعه الله تعالى على ذلك من الرسل والأنبياء والملائكة وبعض خواصه من الأولياء.

واعلم أنه أضيف النعيم والعقاب للقبر لأنّه الغالب، وإنّ فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب، قبر أو لم يقبر، ولو غرق أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو حرق ثم ذرته الرياح، ومن العذاب ضغطة القبر، والضرب بمطارق من حديد، وجعله حفرة من حفر النار، وكذلك الكلام في النعيم فهو يشمل كل ميت قبر أو لم يقبر، ومن النعيم توسيع القبر، وفتح طاقة فيه من الجنة، وامتلاؤه باليحان وجعله روضة من رياض الجنة، وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر، وكل هذا مما يتناسب مع عالم البرزخ.

وبناءً على ما تقدم وجوب الإيمان بالقبر ونعيمه وعدابه حقيقة وليس معنىًّا لمن كان لذلك أهلاً، وأنه واقع في حياة البرزخ بالروح والبدن معاً، وإن عجزت العقول

عن تصوره لكونها لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، فهو أمر ممكن أخبر به الصادق، وتواردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم، فقد رُوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِّنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدُهُ أَئْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُ مِنْهُ) رواه الترمذى والتسائى والحاكم في المستدرك بسند صحيح، قلت: وهذا محمول على الغالب، وقد نقل شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتани الحسنى رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث عذاب القبر ونعيمه، فقد رواه اثنان وثلاثون نفساً، "اهـ".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بنعيم القبر وعدابه:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿النَّارُ يُرَعْضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيَا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^{غافر: 46} فالآلية صريحة في إثبات عذاب القبر قبل قيام الساعة بدلالة عطف العذاب القيامة عليه، فعلم أنه غيره وليس غير عذاب القبر، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمْتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحَيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾^{غافر: 11} فإن الإحياء الأول في القبر والثاني في الحشر بالإتفاق، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^{آل عمران: 169-170} يدل عليه صريحاً، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذَ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُبْرَوُنَ عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكِبُرُونَ﴾^{الأنعام: 93}، وقال تعالى: ﴿وَلَنُذَيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدَمَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^{السجدة: 21}، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ

مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةَ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْدِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرِدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ» (التوبه: 101)، وقال تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (البقرة: 154).

- مِنَ السُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ: عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبرين فقال: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَيْرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَرِّ مِنَ الْبَوْلِ، - وفي رواية لا يسترنـهـ - وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالثَّمِيمَةِ ثُمَّ أَخَذَ جَرِيَّةً رَطِبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَّ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْيَسَا) رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث لوحده متواتر أورده شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" عن عشرة وهم: أبي بكر، وعائشة رضي الله عنها، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وابن عمر، وأبي أمامة الباهلي، وابن عباس، ويعلى بن مرة، وجابر بن عبد الله، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وقال محدث وقته مولانا عبد العزيز بن الصديق: وزاد شقيقنا فيما وجدته بخطه على هامش نظم المتناثر حديث أبي بكرة، وأبي رافع، وشداد بن الهاد وذكر اسم كتاب له في طرق هذا الحديث وهو "كشف الريـن بطرق حـديث مر على قـبرـين".

- وَعَنْ زِيدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعْوَتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ)، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: (تَعَوَّذُو بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)، فَقُلْنَا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ رواه مسلم، وروى البخاري إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام على القليب، وفيه قتـلـ بـدـرـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ، فـقـالـ لـهـمـ ما

قال: (إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ)، إنما قال: (إِنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ)، وعن أبي أَيُوبَ الْأَنْصَارِي قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: (يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا) رواه الشیخان وأحمد وغيرهم، وعن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِّنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِّنْ حُفْرَ النَّارِ) أخرجه الطبراني في الأوسط، والترمذی ضمن حديث طويل في صفة القيامة عن أبي سعيد الخدري.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر" اهـ، وقال الإمام الأئي رحمه الله في (إكمال إكمال المعلم على شرح صحيح مسلم) في الكلام على أحاديث شق العسيب على القبر ما نصه: "تواتر، وأجمع عليه أهل السنة" اهـ.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكافار كلهم أجمعين ولبعض عصاة المسلمين" اهـ، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربّه ودينه ونبيّه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وآلّه وسلّم، وعن الصحابة رضي الله عنهم، والقبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حفرةِ النار" اهـ، وقال الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وعذاب القبر للكافرين ولبعض

عصاة المؤمنين، وتنعيم أهل الطاعة في القبر مما يعلمه الله تعالى ويريده "اه، وقال الإمام محي الدين النووي رحمه الله في (شرح مسلم) ما نصه: "إعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿التَّارُ يُرْضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيًّا﴾" [غافر: 46]، وظاهرة في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من روایة جماعة من الصحابة، في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجوب قبوله واعتقاده" اه.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

سُؤَالُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيْمُهُ وَاجِبٌ كَبْغُثُ الْحَشْرِ

فائدة: استدل بعضهم على نفي الحياة في البرزخ بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: 22]، اعلم أنه استدلال ضعيف؛ لأن المراد من الآية تشبيه حال الكفار بحال الموتى من جهة عدم سماع القبور والإمتثال لأحكام الشرع، لا نفي ثبوت الحياة في القبر وعدم سماعهم حقيقة، فما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بالسلام على أهل القبور فعن أبي هريرة، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٌ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا حَقُونَ) الحديث، فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع، فيفهم الخطاب ويجيب، وكما بينا أن أمور البرزخ لا تقاد بأمور الدنيا، وعن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكًا فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟، قَالَ: فَمَا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ:

فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعِدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا) رواه البخاري ومسلم.

وجوب الإيمان "بالبعث"

يجب على المكلف بالإيمان بالبعث لشبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: وهو إحياء الموتى بعد النفخة الثانية، وإخراج أهل القبور من قبورهم، وعودة الأرواح إلى الأجساد لا تخطئ روح جسدها، حتى الذين ماتوا حرقاً أو غرقاً أو غير ذلك فالكل تعود أجسادهم كما كانت لتُلقى الحساب، هذا في حق من بَلَى جسده، أما من بقي جسده كما هو حال الرُّسل والأنبياء، والشهداء والصَّديقين، ومن شاء الله له ذلك، فهو لاء لا يتعلّق بهم هذا الأمر، قال تعالى: ﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزمر: 68، وأول من تنشق عنه الأرض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واعلم أن الأجساد بعد البعث تعود كما كانت في الدنيا، إلا أن هذه الأجساد تستحيل إلى أفضل من ذلك لكي تليق بدخول الجنة وذوق نعيمها فضلاً من المولى سبحانه وتعالى، كذلك أجساد الكفار تستحيل وتُضَخَّم لكي يقع عليها عذاب جهنم عدلاً منه سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: (إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَعْظُمُونَ، حَتَّى يَكُونُ مِنْ شَحْمَةٍ أَذْنِ أَحَدِهِمْ إِلَى مَوْضِعِ عُنْقِهِ سَبْعَ مِائَةً، وَغِلْظُ جِلْدِهِ أَرْبَعينَ، وَضَرْسُهُ أَعْظَمُ

مِنْ جَبَلٍ أُحْدِي) رواه الطبراني وغيره، وقد نص شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث بعث العباد ومعادهم الجسماني، قال: "ذكر اللقاني في شرحه لجواهرته أن جملتها ثابت بالتواتر المعنوي، دلالة القرآن، وأنه من ضروريات الدين، وإنكاره كفر بيقين" اه، وقال إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني رحمه الله في (العقيدة النظامية): "فإذا ثبت الجواز فقد نطق الكتاب ومتواتر السنن بنشر الخلاائق لـ يوم الدين وقيامهم لرب العالمين" اه.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالبعث:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون:16، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنِ فِي الْقُبُوْرِ﴾ الحج:7، وقال تعالى: ﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ الزمر:68، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبَعْثُوْنَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبَعْثُوْنَ، ثُمَّ لَتُبَيَّنُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ التغابن:7، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيْدُهُ وَعَدْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِيْنَ﴾ الأنبياء:104، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَهُوَ أَهْوَانُ عَلَيْهِ﴾ الروم:27، وقال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٌ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لقمان:28، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ القيمة:40.

- من السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا بَيْنَ النَّفَخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ،....، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى مَاءً مِنَ السَّمَاءِ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا يَبْتُ الْبَقْلُ) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَهُ، وَأَوْلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلْوَظُ حَوْضَهُ فَيَصْعَقُ، ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صَاعَقَ، ثُمَّ يُرْسَلُ اللَّهُ أَوْ يُنْزَلُ اللَّهُ، مُطْرًا كَأَنَّهُ الظَّلُّ أَوْ الظَّلُّ فَتَبَثُّ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) رواه مسلم، وعن كعب بن مالك كان يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجَعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ) رواه مالك في الموطأ وأحمد والنسائي وغيرهم، وعن البراء بن عازب، قال: كان النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ) رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت.

قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "وأتفقوا أن البعث حق وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا" اه، وقال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا إن الله عز وجل يعيد في الآخرة الناس وسائر الحيوانات التي ماتت في الدنيا" اه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بالبعث" اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الإيمان جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكِتَبِ وَالرَّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعَ بَعِثٍ قَرُبٍ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

سُؤَالُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيْمُهُ وَاجِبٌ كَبْعَثِ الْحَشْرِ

واعلم أن بعث الأمواتِ جائزٌ عقلاً، فالله تعالى القادر على الخلق من العدم أولاً، وهو القادر على بعث الخلق ثانياً، فقدرته تعالى صالحة لهذا ولا كثر من هذا، كما بين ذلك في محكم تنزيله، مبيناً لنا عجائب قدرته في كيفية نقل الإنسان من طور إلى آخر، وكذلك إظهار عجائب قدرته في الأرض التي نعيش عليها من إيجاد وإعدام فيه غاية الإتقان والإحكام والذي يفوق تصور العقول، ولو لا أننا ما لمسناه وعشناه وشاهدناه وسمعناه وأحکمت الحواس الخمسة ذلك لما فهمناه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِتُبَيَّنَ لَكُمْ وَتُقْرَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى آجِلٍ مُسَمَّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدَى إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ﴾ الحج: 7-5، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَاقُ الْعَلِيمُ﴾ يس: 81.

وليعلم بأنَّ قدرة الله تعالى صالحة لجمع وبعث كل الموتى ومنهم الحرق والغرق ومنْ أكلته الطيور والسَّبَاع والأسماك في البحر ومن قطع وحرق وذلك لما رُوي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ: لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ، قَالُوا: خَيْرٌ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مُتْ فَأَحْرُقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ دَرْوُنِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلْكَ، قَالَ: مَحَافِتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ) رواه البخاري وغيره.

وجوب الإيمان "بالحشر"

يجب على كل مكلف بالإيمان بالحشر لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، ومكانه أرض الشام يوم تبدل الأرض غير هذه الأرض، وهو غير الحشر الذي مر معنا؛ لأن الحشر الأول يكون في الدنيا وهو من علامات الساعة الكبرى التي تقبل معها التوبة، كما سبق في محله.

اصطلاحاً: هو سوق الخلائق إلى الموقف بعد البعث لفصل القضاء، وزن الأعمال، ومنه إما إلى جنة أو إلى نار، ويكون بالروح والجسد معاً، ولا فرق في ذلك بين من يُجازى وهم الإنس والجن، وبين من لم يُجاز كالبهائم والوحش على ما ذهب إليه أهل الحق خلافاً لمن أنكر ذلك، والموقف يكون في بلاد الشام أرض المحسرين والمنشرين، وهي أرض بيضاء مستوية كالأديم، وهو الجلد المشدود، لا جبال فيها ولا وديان ولا غيرها، وهي أرض لم يعص الله عليها، فيُحشر المكلفوون على وفق أعمالهم في الدنيا، وما ختم لهم عليه، فمنهم طاعون كاسون راكبون على نوقي رحائهما من ذهب وهم الأتقياء، ومنهم حفاة عراة وهم المسلمون أصحاب الكبائر، ومنهم يُجررون على وجوههم ويُؤخذون بالنواصي وهم الكفار والعياذ بالله تعالى، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُحشر الناس يوم القيمة ثلاثة أصنافٍ صنفاً مشاةً وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم) قيل يا رسول الله: وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: (إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقوون بوجوههم كل حدب وشق) رواه الترمذى، أما الأنبياء والمرسلون يُخسرون كالسرج المنيرة من شدة تميزهم عن باقي المخلوقات، قال

تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: 69).

ويكون الحشر للإنس والجنة والدواب والطيور، حتى أنه يؤتى بالشاة العجفاء، وهي الكسيرة الهزيلة، ويفتقض لها، ثم يؤتى بالموت على شكل كبس، ثم يذبح ويموت، وينادي منادي يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، وينادي للحيوانات كوني تراباً فتكون تراباً فيقول الكافر يا ليتني كنت تراباً، وما هو بثابت كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث حشر العباد إلى المحشر لفصل القضاء بينهم، فقال: "ذكر اللقاني في شرحه لجوهرته أن جملتها ثابت بالتواتر المعنوي، ودلالة القرآن، وأنه من ضروريات الدين، وإنكاره كفر بيقين" اهـ

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحشر:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: 47)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران: 158)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاغًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (آل الأنعام: 128)، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنِكِفَ الْمَسِيحُ مُتُّمٌ أَوْ قُتِلُتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران: 158)، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنِكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنِكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِبْرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (آل الأنعام: 128)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ (آل الأنعام: 172).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^{التَّكْوِيرُ: ٥}، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^{الْمَطْفَفَيْنِ: ٦}.

- مِنَ السُّنْتَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يُحْشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كُقْرُصَةَ نَقِّيٌّ - وَهُوَ الدَّقِيقُ التَّقِيُّ الْأَيْضُ - لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ) متفق عليه، وعن السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تُحْشَرُونَ حُفَّةً عُرَاءً عُرْلَاءَ - غُرْلَاءَ - أَيْ غَيْرِ مَخْتُونِينَ -)، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: (الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهْمَمُ ذَاكَ) متفق عليه، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَوْدُنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ - الَّتِي لَا قَرْنَ هَا - مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ) رواه مسلم وعند أحمد بلفظ (الشاة الجماء)، وعن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشْ أَمْلُحُ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَسْرَئِبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَسْرَئِبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: فَيُؤْمِرُ بِهِ فَيُذْبَحُ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ

الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا) "رواه مسلم"، وعن أبي هريرة قال: أتني النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسَمِّعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنَفِّذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعةِ..)" رواه البخاري ومسلم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بسوق الخلائق إلى أرض المحرش لفصل القضاء بينهم.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوي الحسني المالكي رحمه الله في (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "فوجب الإيمان بكل ما جاء به النبي صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّمَ عن الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، كالحشر والنشر لعين هذا البدن، لا لمثله إجماعاً" اه، وعن النعمان بن سعيد قال: كنا عند علي بن أبي طالب عليه السلام فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُدَادًا﴾ "مريم: 85" قال عليه السلام: "لا والله ما على أرجلهم يخشرون ولا يخشرون الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركون عليها حق يضربوا أبواب الجنة" اه رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسنده وأبيه ورواه ابن أبي حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد" ، وقال الإمام الغزالى رحمه الله في (إحياء علوم الدين) ما نصه: "الحشر والنشر قد ورد بهما الشرع، وهو حق، والتصديق بهما واجب لأنَّه في العقل ممكن" اه.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

سُؤَالُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيْمُهُ وَاجِبٌ كَبْغُثُ الْحَشْرِ

وجوب الإيمان "باليوم الآخر"

يجب على كل مكلف بالإيمان باليوم الآخر لثبوته في الكتاب والسنّة وإجماع أهل الحق من المسلمين، ويسمى: بيوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم القيمة، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم الزلزلة، ويوم الغاشية وله نحو ثلاثة اسم جمعها الإمام الغزالى رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين، وأول اليوم الآخر هو من وقت البعث إلى ما لا ينتهي، وقيل: حتى يدخل أهل الجنة وأهل النار النار، وإنما سمي آخرًا لأنه متصل بآخر أيام الدنيا، وقيل: لأنه آخر الأيام فلا ليل بعده، بل نور محض على من آمن، أو ظلام محض على من طغى وكفر، وسمي بيوم القيمة: لقيام الناس فيه من قبورهم بين يدي خالقهم، ولقيام الحجة لهم أو عليهم.

واعلم أن الخلاائق تناهوا من الشدائيد في هذا الموقف الشيء الكثير، ففيه يلجم الناس بالعرق، فيبلغ آذانهم، ومنهم من يبلغ فوق رؤوسهم، وهم في العرق على قدر أعمالهم، فعن المقادير بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبية، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقوية، ومنهم من يلجم العرق إلجاماً)، قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه رواه مسلم، وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض الليل والنهار والحظة، وفيه سؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتفريطهم فيها، قال تعالى: ﴿وَقُفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُوْنَ﴾^{الصافات: 24}، وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَرْزُوْلُ قَدَّمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِي مَا أَفْتَاهُ، وَعَنْ وَسَلَّمَ

عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَا لِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ") رواه الترمذى وغيره، أما الأنبياء والأولياء فهم آمنون من عذاب الله تعالى لا يمسهم الجزع، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَرَغُ الْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: 103)، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: 62)، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربّه، ورجل قلبُه معلقٌ في المساجد، ورجلان تhabا في الله اجتمعوا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أحافُ الله، ورجل تصدق، أخفى حَقَّاً لا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه، ويوم القيمة طوله ألف سنة، وقيل خمسون ألفاً، ولا يعلم التعارض في ذلك؛ لأن العدد لا يفيد الحصر إلا بقرينة كما قرره علماء الأصول، والمعنى أن الناس مختلفون في ذلك على حسب أعمالهم، فيشدد على الكفار ويطول حتى يكون مقداره خمسين ألف سنة، ومنهم من يمر عليه كألف سنة، ويختلف على الصالحين حتى يكون كركعتين خفيتين، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: 47)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: 6)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف يكُم إذا جمعكم الله كما يجمع التبل في الكنائس حمسمائة ألف سنة، ثم لا ينظر الله إليكم) رواه الحاكم في المستدرك، ومن جملة أحكام اليوم الآخر ما تضمنتها سورة التكوير من قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ﴾ (التكوير: 1) إلى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ

نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ》¹⁴ التكوير: ولذلك روي من حديث ابن عمر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَيْ عَيْنَ، فَلِيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) رواه الترمذى وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَدْهُلُ كُلُّ مُرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾¹⁵ الحج: 2-1، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَافِلٌ سَيْنَةٌ مِمَّا تَعْدُونَ﴾¹⁶ الحج: 47، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَيْنَةٍ، فَاضْبِرْ صَبِرًا جَمِيلًا﴾¹⁷ المعارض: 5-1، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾¹⁸ الزمر: 31، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾¹⁹ النساء: 136، وقال تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾²⁰ القيامة: 1.

- من السنة المشرفة: عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟) قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةً، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَّفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَقَى دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا

مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَكْضِبَ مَا عَلَيْهِ، أَخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَرَ مُسْلِمًا سَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)" رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم".

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

قال الإمام ابن أبي العباس الطوفي الصرصري البغدادي رحمه الله في كتاب (الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية) ما نصه: "أن من أنكر القيامة ضال كافر؛ لأنها من أركان الإيمان الخمسة، وهذا إجماع" اهـ.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيمة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان" اهـ، وقال الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني المالكي رحمه الله في (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "فوجب الإيمان بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم عن الله سبحانه وتعالـى جملة وتفصيلاً، كالحضر والنشر،...، وكالصراط وكالميزان، والجنة والنار، وعذاب القبر وسؤاله" اهـ.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَالْيَوْمُ الْآخِرُ ثُمَّ هَوْلُ الْمَوْقِفِ حَقٌّ، فَخَفَّفِ يَا رَجِيمُ وَاسْعِفِ

وجوب الإيمان "بالحساب"

يجب على كل مكلف بالإيمان بالحساب لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو توقيف الله العباد قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شرّاً، قولهً كانت أو فعلًاً أو إعتقدادًا.

ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن، إلا من استثنى منه، فعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (وعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد وغيرهم بلفاظ مختلفة، وهو حديث متواتر رواه تسعه عشر نفساً، ومنهم من يقف للمحاسبة، فقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذْبَ)، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْتَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ "الإنشقاق": 7-9. قال: (ذَلِكَ الْعَرْضُ) رواه البخارى والترمذى وابن حبان وغيرهم، والحساب يكون بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فصل القضاء، والمراد به أن يكلمهم الله تعالى في شأن أعمالهم وما لها من الثواب وما عليها من العقاب، فيسمعهم كلامه القديم، فعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيْكَلَمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانُ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشَامَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَا بِشَقِّ تَمَرَّةٍ" متفق عليه.

ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد، بل يحاسب الناس جميعاً معاً، حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده دون غيره، وأول من يحاسب هذه الأئمة لتدخل الجنة قبل غيرها، فعن ابن عباس أن النبي صل الله عليه وآله وسلم قال: (نَحْنُ أَخْرُ الْأُمَّمِ وَأَوْلُ مَنْ يُحَاسَبُ)، يُقال: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَتَبَيَّنَاهَا؟ فَنَحْنُ الْأَخِرُونَ الْأَوَّلُونَ) رواه ابن ماجه، والحساب متفاوت فمنه اليسير والعسير، ومنه السر والجهر، ومنه التوبيخ والفضل والعدل، ومنه من تشهد عليه جوارحه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوَزَّعُونَ، حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجِلْدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فصلت: 19-21.

والناس في الحساب أربعة أصناف: منهم من يدخل الجنة من غير حساب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر: 40، ول الحديث أبي أمامة السابق، ومنهم من يدخل النار من غير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَالَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَزِّكِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران: 77، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذْنَ مُؤْذَنٌ، تَتَبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرُّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُرَّاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، ومنهم من يحاسب حساباً

يسيراً، قال تعالى: ﴿فَمَا مِنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^{الإنشقاق: 7-8}، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (اللهم حاسبني حساباً يسيراً)، فقلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ فقال: (هُوَ أَنْ يَنْظُرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيَتَجاوزَ لَهُ عَنْهَا، فَإِنَّمَا مِنْ نُوقَشَ الْحِسَابَ فَقَدْ هَلَكَ) رواه أحمد والحاكم في المستدرك واحساق بن راهويه في مسنده وغيرهم، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بآبي بكر وعمر، فقال: (ما أخرجكم من بيوتكم هذه الساعة؟) قالا: الجوع يا رسول الله، قال: (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجي الذي أخرجكم قوما) فقاما معاً؛ فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أين فلان؟) قالت: يستعدُّ لـنا مـن المـاء؛ إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكثر أضيافاً مـنـي، قال: فانطلق، فجاءهم يعذقـ فيـهـ بـسـرـ وـتـمـ وـرـطـبـ، فقال: كـلـواـ مـنـ هـذـهـ، وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إـيـاكـ وـالـحلـوبـ) فـذـبـحـ لهمـ، فـأـكـلـواـ مـنـ الشـاةـ، وـمـنـ ذـلـكـ الـعـذـقـ، وـشـرـبـواـ، فـلـمـ أـنـ شـيـعـواـ وـرـوـواـ، قـالـ رسـولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ لـآـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ: (وـالـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ لـتـسـأـلـ عـنـ نـعـيـمـ هـذـاـ الـيـوـمـ، يـوـمـ الـقـيـامـةـ)، قـلتـ: هـذـاـ سـؤـالـ إـكـرـامـ وـوـجـلـ لـيـسـ سـؤـالـ حـسـابـ، فالله سبحانه وتعالى يعرف عبده بذنبه، ويقال له: فعلت كذا وفعلت كذا، ثم يتتجاوز عنه فيقال له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، وللمعنى أنه يعرض عليه أعماله ويعرض أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة

ويتجاوز عن السائفة فهذا هو الحساب اليسير؛ لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحججة عليه فإنه متى طلب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح، عن أبي ذر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَآخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اغْرِضُوهَا عَلَيْهِ صِغَارًا ذُبُوبِهِ وَيُخَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ، لَا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانًا كُلَّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً، فَيَقُولُ: إِنَّ لِي ذُوبًا مَا أَرَاهَا هَهُنَا) قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ضحك حتى بدأ نواحده رواه مسلم والترمذني وأحمد وغيرهم، ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها (من نُوقش الحساب عذب)، قال ابن الجوزي في (كشف المشكل من حديث الصحيحين): "وظاهر هذا الحديث أن من فتش عن كل شيء عمله عذب؛ لأن إِنما يفتش المسخوط عليه فأما المرحوم فإن بداية رحمته المساحة في المسألة" اهـ وقد تواترت أحاديث الحساب فنقل شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث الحساب.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحساب:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(البقرة: 202)، وقال تعالى:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيِّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(إبراهيم: 41)، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَا فَتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

الْمِهَادُ ﴿الرعد:18﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿الرعد:40﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﴿الإنشقاق:9-7﴾، وقال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿الأنبياء:1﴾، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿الحجر:93-92﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَهُّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتِئْنَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿النور:24﴾، وقال تعالى: ﴿شَهَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فصلت:20﴾.

- مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عن عمران بن حصين، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ)، قالوا: ومن هُمْ يا رسول الله؟ قال: (هُمُ الَّذِينَ لَا يَكُنُونَ، وَلَا يَسْتَرُّونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)، فَقَامَ عُكَاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قال: (أَنْتَ مِنْهُمْ)، قال: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قال: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةً) رواه مسلم، وعن عبد الله بن قيس الأشعري، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (تُحَشِّرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَصِنْفٌ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَآخَرُ يُحْزَبُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالَ الْحِبَالِ الرَّاسِيَةِ)، فَسَأَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: هَؤُلَاءِ عُبَيْدٌ مِنْ عَبِيدِي، لَمْ يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَعَلَى ظُهُورِهِمُ الدُّنُوبُ وَالْخَطَايا، حُظِّوْهَا وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي) رواه الحاكم في المستدرك، وعن عبد الله بن عمر قال: (بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الشَّارَةِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لِحُسْنِ وَجْهِهِ وَشَارَتِهِ، وَطَيِّبِ رِيحِهِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: أَدْنُوْيَا رَسُولَ

الله؟ قال: نعم، قال: فَدَنَا، ثُمَّ قَامَ، قال: فَعَجِبْنَا لِتَوْقِيرِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قال: أَأَدُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: نعم، قال: فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ فَخِذَهُ عَلَى فَخِذِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرِجْلِهِ، ثُمَّ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قال: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْبَعْثَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ، وَالْقَدْرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلُولِهِ وَمُرُّهِ)، قال: صَدَقْتَ" (روايه النسائي)، وفي الحديث جاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفُهُ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبَّ، ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبَّ، ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبَّ، فَيَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنِّي قَدْ سَرَّتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَسْتُرُهَا عَلَيْكَ الْيَوْمَ، قال: وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" (روايه مسلم).

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالحساب.

قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أنهم يحاسبون بما عملوا من خير وشر وأن الله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لم يشاء" اهـ.

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: "سُوءُ الْحِسَابِ أَنْ يُؤَاخِذَ الْعَبْدُ بِخَطَايَاهُ كُلُّهَا، وَلَا يُغْفَرَ لَهُ مِنْهَا ذَنْبٌ" اهـ. أخرجه الطبراني في شرح أصول إعتقداد أهل السنة والجماعة، وسأل رجل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال: "يُكَلِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"

قالَ: نَعَمْ فَمَنْ يَقْضِي بَيْنَ الْخُلُقِ إِلَّا اللَّهُ، يُكَلِّمُ اللَّهُ عِنْدَهُ وَيَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُتَكَلِّمٌ لَمْ يَرَلْ يَأْمُرُ بِمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ، وَلَيْسَ لِلَّهِ عِدْلٌ وَلَا مِثْلٌ" اهـ." أخرجه الطبرى في شرح أصول إعتقداد أهل السنة والجماعة.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكى رحمه الله:

وَفِي الرَّزْمَنْ قَوْلَانِ، وَالْحِسَابُ حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّهِ ارْتِيَابٌ

وجوب الإيمان "بنشر الصحف"

يجب على كل مكلف الإيمان بنشر صحف الأعمال لشبوته بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا.

ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيمة، تُطوى عند الموت وتُنشر عند الحساب،

فعندما ينفح إسرافيل عليه السلام نفخته الثانية في البوق تتطاير الصُّحُف، وكل صحيفةٍ تأتي صاحبها تتعلق في عنقه لا تُخْطِئُه، يكون فيها مثاقيلُ الدَّرْ، ومثاقيلُ الخَرْدَلِ من الخير والشَّرِّ، ومن الصحف ما هو مقروء، ولكن الفرض لا يكون إلا للكافار، ثم تنادي الملائكة كل واحد وصحيفته في عنقه، فتنزع الصحيفة منه ثم

تعطيه إياها في يده، فمن جاءته صحيفته من قُبْلٍ فهو المؤمن ويأخذها باليدين، قال تعالى: ﴿فَآمَّا مَنْ أُوتَيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرُؤُوا كِتَابِيَهُ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَّهُ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَّهُ، قُطُوفُهَا دَانِيَّهُ، كُلُوا وَاشْرُبُوا هَنِيئًا بِمَا

أَسْلَفُهُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ》 "الحادة: 24-19"، فهؤلاء هم أهل الإيمان جازمين باللقاء فرحين بالعطاء يُعطون كُتُبِهِم بآيمانهم تَسْمِيرًا لهم ورِفْعَةً لِشَائِنِهِم، ومن جاءته من الدُّبُرِ فهو الكافر ويأخذها بالشمال قال تعالى: ﴿فَمَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاوْمُ اقْرَءُوا كِتَابِيْهُ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيْهُ﴾ "الحادة: 26-25" ، فهؤلاء هم أهل الفجور والطغيان آيسين متحسرین، يُعطون كتبهم بالشمال تحقيراً لهم ولملكتهم والعياذ بالله تعالى، أمّا مَنْ جاءته من وراء ظهره فهو المنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإسلام، ثم يأتي المَلَكُ ويأخذه على الإشهاد ثم توضع بيده الشمال، قال تعالى: ﴿وَمَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلِي سَعِيرًا﴾ "الإنشقاق: 12-10" .

واعلم أن أول ما يقرأ المؤمن صحفة حسناته يبيض وجهه، وأما الكافر فيسود وجهه، ويقرأ كل أحد كتابه، ولو كان أمياً، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه و منهم من يدعوا الناس لقراءته إعجاباً بما فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَآمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، وَآمَّا الَّذِينَ ابْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "آل عمران: 106-107" .

وقد توالت أحاديث نشر الصحف فنقل شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" توادر أحاديث الصراط والميزان وإنطلاق الجوارح، وتطاير الصحف وأهوال الموقف، وأحوال

الجنة والنار، فقال: "نقل البرزلي عن شرح الإرشاد أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحة مختصر خليل" اهـ

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بنشر الصحف:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحْفُ نُشَرَتْ﴾^{التكوين: 10}، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَّرْمَتَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ وَخُرُجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، أَفَرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^{الإسراء: 13-14}
- **من السنة المشرفة:** عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يُخْشَرُ النَّاسُ عُرَاءً حُفَاءً) فقلت: يا رسول الله، واسوعتاه ينظر بعضاً إلى بعض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (شُغْلَ النَّاسُ)، قلت: ما شغلهم؟ قال: (نشر الصحف، فيها مثاقيل الذر، ومثاقيل الحزدل)^{رواية الطبراني في الأوسط، وعن أبي موسى الأشعري} قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ، فَجِدَالٌ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَمٌ: (يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ، فَجِدَالٌ وَمَعَادِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطْيِيرُ الصُّحْفِ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذُ بِشِمَائِلِهِ)^{رواية ابن ماجه وأحمد والترمذى من رواية أبو هريرة، وعن أنس بن مالك} قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يُجَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحْفٍ مُحَتَمَّةٍ فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ الله عز وجل فَيَقُولُ الله عز وجل لِمَلَائِكَتِهِ أَقْوَا هَذَا وَاقْبِلُوا هَذَا فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا فَيَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِي وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا ابْتَغَيْتَ بِهِ وَجْهِي)^{رواية الدارقطنى في السنن، وعن السيدة عائشة}

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا لَكِ يَا عَائِشَةً؟) قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذَكَّرُونَ أَهْلِيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا فِي ثَلَاثٍ مَوَاطِنٍ فَلَا يَذَكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَخِفُ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكُتُبِ، حَتَّى يُقَالَ: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيْهَا، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقْعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ، إِذَا وَضَعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ حَافَّتَا، كَلَالِيبُ كَثِيرَةٌ وَحَسَكُ كَثِيرٌ، يَخْسِسُ اللَّهُ بِهَا مِنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَجُو أَمْ لَا)" رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وغيرهما، وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قلت يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة؟ قال: (يا عائشة أما عند ثلاثة فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطوير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار)" رواه أحمد.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بنشر الصحف يوم القيمة.
قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيمة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان" اهـ.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:
وَوَاجِبٌ أَخْذُ الْعِبَادِ الصُّحْفًا كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ نَصًاً عُرِفَـا

وجوب الإيمان "بالميزان"

يجب على كل مكلف الإيمان بوزن أفعال العباد والميزان لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو ميزانٌ واحدٌ حقيقيٌ كميزان الدنيا، له لسانٌ وكفتان، كل منهما أوسع من أطباق السماوات والأرضين، عن سلمان الفارسي مرفوعاً قال: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَلَهُ كَفَّاتَانِ، لَوْ وُضِعَ فِي أَحَدِهِمَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَوْسِعَةٌ" أخرجه الطبرى في أصول الإعتقد، ولا يعلم قدره وكيفيته إلا الله تعالى، يُوزن به أفعال العباد من خير وشر، والطاعة والمعصية، فالله تعالى يُحدِّث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عنده سبحانه وتعالى، فتكون مقادير أعمال العباد معلومة عنده، حتى يظهر لهم الفضل في العفو وتضييف الشواب أو العدل في العقاب، ويشهد له حديث البطاقة، وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنَكِّرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً أَظْلَمَكَ كَتَبِي الْحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيُومَ، فَتَخْرُجُ بِطاقةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةِ الْبِطَاقةِ فِي كِفَّةِ، فَظَاشَتِ السِّجَلَاتُ وَثُقلَتِ الْبِطَاقةُ فَلَا يَثُلُّ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئاً) أخرجه الترمذى واللفظ له وأحمد وابن حبان وغيرهم.

والميزان فرع عن الحساب، فلا توزن أعمال الأنبياء والملائكة، ولا من يدخل الجنة بغير حساب، بل يُزفون إلى الجنة من غير وزنٍ ولا حساب، وهؤلاء هم الأوّلون، أمّا الفُجّارُ الكافرون لا قدرَ لهم عند الله، فلا ينفعهم عملهم مهما كان مع الكفر، بل يُقذفون في النار، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبُّنَا﴾^{الكهف: 105}، ومعناه: فلا نقيم لهم وزناً نافعاً ينجون به من الخلود في النار، ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب، قال ابن عباس مرفوعاً: "ثُورَنُ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيَّئَاتُ فِي مِيزَانِ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّاتِنِ؛ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَتَّقُّلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيَّئَاتِهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾" الأعراف: 8، وَيُؤْتَى بِعَمَلِ الْكَافِرِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَيَخْفُّ وَزْنُهُ حَتَّى يَقَعَ فِي النَّارِ" أخرجه القرطبي في تفسيره.

وقد يوزن الشخص نفسه، ولا عبرة يوم القيمة بمقدار وزنه كأن يكون رجل عظيماً طويلاً أكولاً شروباً أو رجل ضعيفاً خيفاً قصيراً، عن ابن مسعود، أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الرحيم تكتفوه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: (والذي نفس بيده، لهما أنقل في الميزان من أحد) رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما، وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عنده الله جناح بعوضة)، وقال: اقرعوا **﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبُّنَا﴾**^{الكهف: 105} متفق عليه.

وقد تواترت الأحاديث في إثبات الميزان، فنقل شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث الصراط والميزان وانطلاق الجوارح، وتطاير الصحف وأهوال الموقف، وأحوال الجنة والنار، فقال: "نقل البرزلي عن شرح الإرشاد أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحه لمختصر خليل، قال الإمام السيوطي في كتابه الدر المنشور في التفسير بالتأثر عند قوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ﴾"الأعراف: 8، فقد ذكر فيه هناك كثيراً من أحاديث الميزان" اه، وقال شيخنا سيدي عبد العزيز الغماري الحسني الطنجي رحمه الله في "إنكاف ذوي الفضائل المشتهرة": "قال والد المؤلف سيدي جعفر الكتاني في ختم البخاري وأحاديث الميزان بلغت مبلغ التواتر"اه.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالميزان:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾"الأعراف: 8-9، وقال تعالى: ﴿وَرَأَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾"الأنبياء: 47، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾"القارعة: 6-9، والجمع في قوله تعالى: ﴿الْمَوَازِينَ﴾ إنما هو للتعظيم من شأنه وليس للعدد؛ لأن المعلوم من أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال.

- من السنة المشرفة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَلِمَتَانِ حَفِيقَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ

وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ) "متفق عليه"، وعن أبي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَتَقْلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ) "رواه أبو داود والترمذمي وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعن النَّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكَلَائِيَّ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَرَّ وَجَلَ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ) "رواه ابن ماجه وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (خَلَّتِنَا لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُمَا يَسِيرُ، وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِمَا قَلِيلٌ)، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَهِيَ خَمْسُونَ وَمِائَةً فِي الْلِسَانِ، وَأَلْفُ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ) "رواه أبو داود والترمذمي وأحمد وغيرهم"، وعن مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُوبانَ بْنَ بِجْدَ القَرْشِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَخْ بَخْ خَمْسٌ مَا أَثْقَلْهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّ فِي حَسْبِيْهِ وَالِدَادُ)" "رواه ابن حبان وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم"، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْعَاصِي قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلُؤُهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى تَحْلُصَ إِلَيْهِ)" "رواه الترمذمي".

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالميزان يوم القيمة.

قال أبو اسحاق الزجاج رحمه الله: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيمة، وأن الميزان له لسان وكفتان" "نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، وقال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين

الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعنون في القبر، وقالوا بالحوض، والصراط، والميزان" اه.

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ قَالَ: ذُكِرَ الْمِيزَانُ عِنْدَ الْحَسَنِ فَقَالَ: (لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّيَانٌ)" رواه الطبرى في أصول الاعتقاد، وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والحساب والميزان والجنة والنار حق كله،..، وزن الأعمال بالميزان يوم القيمة حق" اه، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾" الأنبياء: 47" فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَمَنْ رَدَّ عَلَى التَّبَيِّنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَدَّ عَلَى اللَّهِ" أخرجه الطبرى في أصول الاعتقاد، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وَالْإِيمَانُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...، وَالصَّرَاطُ وَالْمِيزَانُ" اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:
الإِيمَانُ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعْ بَعْثٍ قَرْبٌ
وَقَدَرٍ كَذَا صِرَاطُ مِيزَانٍ حَوْضُ التَّبَيِّنِ جَنَّةً وَنِيرَانَ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:
وَمَثَلٌ هَذَا الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ فَثُوَرَنُ الْكُتُبُ أَوِ الْأَعْيَانُ

وجوب الإيمان "بالصراط"

يجب على كل مكلف بالإيمان بالصراط لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنَّم، يبدأ من الأرض المبدلة في الدنيا وينتهي إلى ما يلي الجنة، يَرِدُهُ جميع الخلائق، المؤمنون منهم والكافرون، ويتفاوتون في مرورهم عليه، فمنهم فريق سالم يمر على الصراط كلمح البصر، ومنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالطير، وبعضهم سعياً، وبعضهم مشياً، وبعضهم حبواً، ومنهم فريق هالك يَرِدون منه إلى جهنَّم، وهؤلاء هم الكافرون وعصاة المسلمين، والعياذ بالله تعالى.

وكل من يمر ساكتاً إلا الأنبياء والملائكة يقولون: "اللَّهُمَّ سَلَّمَ سَلَّمَ" كما في الصحيح، فعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جَسْرٍ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلَالِيبٌ، وَخَطَاطِيفٌ تَخْطُفُ النَّاسَ يَمِينًا وَشَمَاءً، وَيَجْنَبُتَيْهِ مَلَائِكَةٌ)، يقولون: اللَّهُمَّ سَلَّمَ سَلَّمَ، فمن الناس من يَمُرُّ مثل الريح، ومنهم من يَمُرُّ مثل الفَرِيسِ الْمُجَرَّى، ومنهم من يَسْعَى سعياً، ومنهم من يَمْشِي مشياً، ومنهم من يَحْبُو حبواً، ومنهم من يَرْحَفُ رَحْفَاً، فَامَّا اَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ اَهْلُهَا، فَلَا يَمُوْتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ) رواه البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُضَرِّبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهَرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأَمْتَقِي فِي أَوَّلِ مَنْ يَجُوزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، فَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلَّمَ سَلَّمَ) متفق عليه.

وفي بعض الروايات وصف الصراط بأنه أدق من الشura وأحد من السيف، وهو كنایة عن الشدة والمشقة التي تلحق بالكافرين وبعض العصاة من المؤمنين، أمّا أن يكون على معنى الحقيقة "أدق من الشura وأحد من السيف" فهذا ليس بعيداً إذ قدرة الله تعالى صالحة لهذا ولغير هذا، وهناك من العلماء من قال هذا، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ مَرْفُوعاً قَالَ: "بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقٌ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ" رواه مسلم، ورواه أحمد من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، والأصل وجوب الإيمان بالصراط، أما الخلاف على ماهية الصراط وحقيقة فذلك لا يضر؛ لأنَّه خلاف متفرع عن الأصل وليس هو خلاف في ثبوت الأصل.

وقد نصَّ شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث الصراط، قال رحمه الله: "الصراط والميزان وانطلاق الجوارح، وتطاير الصحف وأهوال الموقف، وأحوال الجنَّة والنار": نقل البرزلي عن شرح الإرشاد أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحه لختصر خليل، وفي الشهاب على الشفا في الكلام على حدث الشفاعة الكبرى على قوله فيه: "وتأتي الأمانة والرحم فتقومان على جنبي الصراط" ما نصه: وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي "اهـ".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالصراط:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿اَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ ذُوْنِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ، وَقُفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصافات: 22-24، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَظَمَسْنَا عَلَى اَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصَّرَاطَ فَآتَى يُبَصِّرُونَ﴾ يس: 66.

- **مِنَ السُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُضْرِبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلَّمْ سَلَّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟)، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، عَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوَبِّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو) "رواه الشیخان وأحمد"، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادِيًّا لِتَلْحُقِ كُلُّ أُمَّةٍ بِمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ صَنَمًا وَلَا وَئَنًا وَلَا صُورَةً إِلَّا ذَهَبُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: ثُمَّ يَعْرِضُ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، ثُمَّ يَضْرِبُ الْجِسْرَ) قُلْنَا: وَمَا الْجِسْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا بَيْنَا أَنْتَ وَأَمْنَا؟ قَالَ: (دَخْضُ مَرْلَةً لَهُ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا عَقِيقًا، يُقَالُ لَهُ السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَلْمِحُ الْبَرْقِ وَكَالظَّرْفِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالصَّدِيرِ وَكَاجْوَدِ الْخَيْلِ وَالرَّاكِبِ، فَنَاجَ مُسْلِمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَوَالَّذِي نَفَسِي بِيَدِهِ مَا أَحَدٌ بِأَشَدَّ مُناشَدَةً فِي الْحَقِّ يَرَاهُ مُضِيًّا لَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْوَانِهِمْ) "رواه مسلم"، وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: (أَنَا فَاعِلُ)، فَقُلْتُ: فَأَيْنَ أَظْلَبُكَ؟ قَالَ: (فَاطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ)، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَنِ الصَّرَاطِ، قَالَ: (فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيرَانِ)، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيرَانِ، قَالَ: (فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الشَّلَاثَ مَوَاطِنَ) "رواه الترمذى".

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالصراط يوم القيمة.

قال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكريين لعذاب القبر يعذبون في القبر، وقالوا بالخوض، والصراط، والميزان" اه، وقال القاضي عياض رحمه الله في كتاب (إكمال المعلم) ما نصه: "وفيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجتمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفتة، وهو الجسر كما في الحديث الآخر" اه.

روي عن سلمان الفارسي مرفوعاً أنه قال: "يُوضَعُ الصَّرَاطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَدٌ كَحَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ مَنْ يَمْرُّ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ" رواه الطبرى في أصول الإعتقداد، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "نُؤْمِنُ بِالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالجَنَّةِ وَالثَّارِ وَالْحَسَابِ، لَا نَدْفَعُ ذَلِكَ وَلَا نَرْتَابُ" رواه الطبرى في أصول الإعتقداد، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وَالْإِيمَانُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ... وَالصَّرَاطِ" اه، وقال الإمام أبو حفص النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وَالصَّرَاطُ حَقٌّ" اه، وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رحمه الله في (الرسالة) ما نصه: "وَإِنَّ الصَّرَاطَ حَقًّا يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَنَاجُونَ مُتَفَاقِوْنَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاهِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَقَوْمٌ أَوْبَقْتُهُمْ فِيهَا أَعْمَالَهُمْ" اه

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الإِيمَانُ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعَ بَعْثٍ قَرُبٍ

وَقَدَرٌ كَذَا صِرَاطُ مَيْزَانٍ حَوْضُ النَّبِيِّ جَنَّةً وَنِيرَانٍ
 قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:
 كَذَا الصَّرَاطُ فَالْعِبَادُ مُخْتَلِفُونَ مُرْوُرُهُمْ فَسَالِمٌ وَمُنْتَلِفٌ

وجوب الإيمان "بالحوض"

يجب على كل مكلف بالإيمان بأن الله تعالى أكرم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحوض يوم القيمة، تشرب منه أمته، الطائعون شراباً طيباً مباركاً، ويزداد عنده من بدل وغيرة كما ثبت بذلك النقل المتواتر.

اصطلاحاً: هو جسم مخصوص، كبير متسع للجوانب والزوايا، ترده هذه الأمة من شرب منه لا يظماً بعدها أبداً.

وقد ورد أن لكل نبي حوضاً، وأكبر الأحواض حوضه المورود صلى الله عليه وآله وسلم، يرد عليه من تمسك بستنته صلى الله عليه وآله وسلم وألقى المودة لآل بيته ليشرب شربة هنية لا يظماً بعدها أبداً، أما من ارتد عن دين الله تعالى أو أحدث فيه مala يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالق جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتقطيس الحق وقتيل أهله وإذلاهم، والمعلمون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيف والأهواء والبدع، فالعصاة من المؤمنين يمنعون ويزدادون ابتداءً من الشرب من الحوض إلى أن تناهم شفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

تنبيه: اختلاف في الحوض هل هو قبل الصراط أم بعده؟ ذهب الإمام أبو الحسن القابسي رحمه الله كما نقل في التذكرة أنه رجح أن يكون قبل الصراط، وصححه

بعضهم؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فيردون الحوض للشرب منه، وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم حوضان: حوض قبل الصراط، وحوض بعده وصحيحه الإمام القرطبي رحمه الله في التذكرة.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحوض:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْظَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾ "الكوثر: ١".
- **مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ:** عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حُوَّضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاءُهُ أَبْيَضٌ مِنَ الْلَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ - أَكْوَابُهُ - كَنْجُومُ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري، مع ضرورة الانتباه بأن هذه الأوصاف اشتربت بالاسم فقط مع ما في الدنيا، وتفرقت في حقيقة الصفة، كون الدنيا لا تُقاس على الآخرة، والآخرة لا تُقاس على الدنيا، فحقيقة الحوض لا نعلمها، ولكن نُقْرُّ ونُؤْمِنُ بما ثبت في الأخبار الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ - قرية تتوسط المدينة ومصر والشام (القدس) - وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ) رواه البخاري ومسلم، وعن سُمْرَةَ بن جُنْدُب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَكْثَرُهُمْ وَارِدَة، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ وَارِدَة) رواه الترمذى، ونشرى
بأن رجاءه واقعٌ مأمولٌ، ولكن يقوله صلى الله عليه وآله وسلم تأدباً وتواضعاً منه، وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أَنَا فَرَطْكُمْ عَلَى الْحُوْضِ وَلَيُرِفَعَ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلِجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ

أَصْحَابِي، فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ) رواه أحمد وغيره، وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (أَنَا فَرَطْكُمْ عَلَى الْحُوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبْدًا لَيَرِدُ عَلَيَّ أَفْوَامُ أَغْرِفُهُمْ وَيَعْرُفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أَحَدُهُمْ هَذَا فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهُدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: (إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَلَ بَعْدِي) رواه الشیخان، ومن أهم أسباب الورود على حوضه مودة آل بيته بطريقة مرضية لا غلو فيها ولا تقصير وقوفاً مع الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى ﴾ الشوري: 23، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنِّي أُوْشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُحِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيهِمُ الشَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِداً عَلَى الْحُوْضِ فَانْظُرُونِي بِمَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا) رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما، وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنِّي تَارِكٌ فِيهِمُ مَا إِنْ تَمَسَّكُتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِداً عَلَى الْحُوْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا) رواه الترمذى وحسنه والحاكم فى المستدرک وغيرهما، وحديث الحوض متواتر بلغ عدد رواته أربعة وستون راوياً من الصحابة، كما بينا ذلك في "خلاصة الخوض بتواتر حديث

ذود البعض عن الحوض من كتاب زلف الطالب ونتف المطالب في سيرة ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" فلينظر أحدنا كيف يخلقه في آل بيته.
- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالحوض يوم القيمة.

قال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكريين لعذاب القبر يعذبون في القبر، وقالوا: بالحوض، والصراط، والميزان، ومن أنكر ذلك حِرَم الشرب من الحوض" اهـ.

وقال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وحوض النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم في القيمة حق" اهـ، وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقیدته المشهورة ما نصه: "والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمتـه حق" اهـ، وقال القاضي عياض رحمه الله في (إكمال المعلم) ما نصه: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه..، وحديثه متواتر عند أهل النقل، رواه خلاائق من الصحابة" اهـ، وقال ابن عبد البر رحمه الله في كتاب (التمهيد) ما نصه: "الأحاديث في حوضه صلـى الله عليه وآلـه وسلم متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم" اهـ، وقال العـلامـة البدر العـيـنيـ في كتاب (عمدة القاريـ) ما نصـه: "وقد أنـكـرـ الحـوضـ الخـوارـجـ وبـعـضـ الـمعـتـزـلـةـ، وـمـنـ كـانـ يـنـكـرـ عـبـيدـ اللـهـ بـنـ زـيـادـ أـحـدـ أـمـرـاءـ"

العراق، وهؤلاء ضلوا في ذلك، وخرقوا إجماع السلف، وفارقوا مذهب أئمة الخلف، ورويَتْ أحاديث الحوض عن أكثر من خمسين صحابياً اه، وقال الإمام أبو حفص النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والحوض حق" اه، وقال الإمام ابن أبي زيد القير沃اني في رسالته ما نصه: "والإيمان بجحود رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم ترده أنته لا يظمه من شرب منه أبداً ويزاد عنه من بدل وغيره" اه، وأوصل الإمام السيوطي رحمه الله في (الأزهار المتناثر في الأخبار المتواترة): عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة وخمسين صحابياً، وقال شيخنا السيد عبد العزيز الغماري الحسني الطنجي رحمه الله في (إتحاف ذوي الفضائل المشهورة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة): "وزاد الكتاني في النظم المتناثر من الحديث المتواتر سبعة آخرين"، ثم قال: "وزاد شقيقنا في الإمام بما تواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام إثنان أيضاً".

قلت: فيكون مجموع من رواه أربعة وستون صحابياً.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الإِيمَانُ جَرْزٌ بِالْإِلَهِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعْ بَعْثٍ قَرْبٌ
وَقَدَرٍ كَذَا صِرَاطُ مَيْزَانٍ حَوْضُ الثَّيِّ جَنَّةً وَنِيرَانٍ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

إِيمَانُنَا بِحَوْضِ خَيْرِ الرُّسُلِ حَتَّمُ كَمَا قَدْ جَاءَنَا فِي النَّقْلِ
يَنَالُ شُرْبًا مِنْهُ أَقْوَامٌ وَفَوْا بِعَهْدِهِمْ وَقُلْ يُذَادُ مَنْ طَغَوْا

وجوب الإيمان "بالشفاعة"

يجب على كل مكلف بالإيمان بشفاعة المشفع يوم القيمة لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو سؤال الخير من الغير للغير.

وهذا السؤال يكون من الأدنى للأعلى غالباً، وهو على قسمين:

الشفاعة في الدنيا: وهي اتخاذ الوسائل عند أصحاب الجاه والسلطان في قضاء الحاجات، ورد الحقوق إلى أصحابها، وهي جائزة لا خلاف فيها، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلُ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء: 85)، وعن أبي موسى الأشعري، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةً، قَالَ: (اشْفَعُوكُمْ تُؤْجِرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِنَ تَبَيَّنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ) متفق عليه.

الشفاعة في الآخرة: وهي المرادة هنا، وهي عند الإطلاق يراد بها الشفاعة العظمى لأهل الجمع في تعجيل الحساب، والإراحة من طول الوقوف والغم، وهي المقام المحمود الذي خُص به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشفاعته عليه الصلاة والسلام تكون بقولِ أو عملِ مقربٍ إلى الله تعالى ليقضي بين الخلق لإراحتهم من طول الموقف ومشقته، وهي ثابتة له صلى الله عليه وآله وسلم، لحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَإِنَّا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) رواه مسلم والترمذى وأحمد وغيرهم، ثم له بعد ذلك صلى الله عليه وآله وسلم شفاعات:

إحداها: شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب (شرح مسلم): "وهي مختصة به صلى الله عليه وآله وسلم".

ثانيتها: شفاعته فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، كما ذكر ذلك السيوطي في الخصائص الكبرى.

ثالثتها: شفاعته فيمن يدخل النار من الموحدين أن يخرج منها، فعن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يُخْرُجُ قَوْمٌ مِّنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّونَ: الْجَهَنَّمِينَ) رواه البخاري.

رابعتها: شفاعته في زيادة الدرجات لأهل الجنة.

خامستها: شفاعته لأهل الأعراف.

سادستها: وهي في الدنيا للتخفيف من عذاب القبر، فعن جابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحَبَّتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ) رواه مسلم، وعن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يعافيه، فأمره أن يتوضأ ويصلّي ركعتين ويذعو: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدِ نِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهُ إِلَيْكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُفْضِّلُ لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ) رواه الترمذى وأحمد والطبرانى وقال حديث صحيح وغيرهم، وقد توالت أحاديث التوسل به عليه الصلاة والسلام فقال التقى السبكى في كتاب (شفاء السقام): "هذا متواتر، والأخبار طافحة به، ولا يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفرزون إليه ويستغيثون به في جميع ما نابهم" اهـ.

وكذلك تُطلب الشفاعة يوم القيمة من ارتضى الله من النبيين والمرسلين والملائكة والصالحين، ومنهم:

- **الملائكة عليهم السلام**: وشفاعتهم تكون بالترتيب حسب أفضليتهم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يوم القيمة يشفع التَّيُّونَ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى أَرْحَامُ الرَّاحِمِينَ) رواه مسلم.
- **العلماء العاملون**: فالقليل من العلم والكثير من العمل خير من كثير من العلم ولا عمل، فقد أخرج الدَّيْلِمِي في (مسند الفردوس) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ مَرْفُوعًا: (يُقَالُ لِلْعَالَمِ: اشْفَعْ فِي تَلَامِذَتِكَ، وَلَوْ بَلَغَ عَدُودُهُمْ نُجُومَ السَّمَاءِ).
- **الشهداء**: ودرجات الشهادة متنوعة وكثيرة، أفضلها وأعلاها شهادة المurtak، فشهيد المعترك الذي يقاتل من أجل إعلاء كلمة الحق هو شهيد الدنيا والآخرة، ولا بد أن يكون محصلاً للحد الأدنى من معنى الشهادتين ولم يأتِ بما ينافيهما لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاعتقاد، فقد أخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته).
- **الأولياء والصالحون**: والولي هو من أدي الواجبات واجتنب المحرمات، فأتقن ضروريات الدين وأكثر من العمل وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر سواء ظهرت على يديه الكرامات أم لم تظهر، فقد أخرج أحمد والطبراني والبيهقي بسنده صحيح عن أبي أمامة أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَيِّٰ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَّ).

- **الصدّيقون كُلُّ في مجاله:** فالتاجر الصادق يشفع، والطبيب الصادق يشفع وغيرهم، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه الترمذى والدارمى وصححه الحاكم فى المستدرك واللطف له.
- **الطفل دون سن البلوغ:** فهو فرط لأهله على الحوض إذا احتسبوا وصبروا، عن أبي حسان قال: قلتُ لأبي هريرةً: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ تُنْظِلُّ بِهِ أَنفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، (صِغَارُهُمْ دَعَامٍ يُضْعِضُ الْجَنَّةَ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ: أَبَوِيهِ فَيَأْخُذُ بِتُوبَتِهِ، أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ كَمَا آخُذْ أَنَا بِصَنِيفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ) رواه مسلم وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهم.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالشفاعة:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ طه:109، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا يَأْذِنُهُ﴾ البقرة:255، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء:28، وقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مرثيا:87، وقال تعالى: ﴿وَكُمْ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ النجم:26، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الدِّينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الزخرف:86.

- **من السنة المشرفة:** عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي) رواه أحمد، وعن أبي هريرة قال: قال

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي أَخْتَبَأُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأَمْمِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الدَّرَاجُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمَّ وَالْكَرْبَ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مِنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلْقُ اللَّهِ بِيَدِهِ، وَنَقَحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضُبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضُبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضُبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضُبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةً دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضُبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضُبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَّبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي

الْحَدِيثُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضِبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَمَتُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعَ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضِبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَا، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ اشْفَعَ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلَقَ فَآتَيَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعَ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنُ الشَّاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْظِهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَرْفَعْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمِّي يَا رَبِّي، أُمِّي يَا رَبِّي، أُمِّي يَا رَبِّي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سَوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى) "متفق عليه"، والحديث متواتر رواه نحو اثنى عشر نفساً من الصحابة، وعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (الرَّمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ

الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَوْدُنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَنْقَعُ عَبْدًا عَمِلَهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا) رواه الطبراني في المعجم الأوسط.

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من لم يؤمن بمحضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي)، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما شفاعتي لأهل الكبار من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل) (ذكره ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة في معرفة الأئمة)

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالشفاعة يوم القيمة.

قال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن صلحاء أمته، للمذنبين من المسلمين، ولمن كان في قلبه ذرة من الإيمان، والمنكرون للشفاعة يحرمون الشفاعة" اهـ.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام للمؤمنين ولأهل الكبار منهم المستوجبين للعقاب حق ثابت" اهـ، وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والشفاعة التي ادخلها لهم حق كما روی في الأخبار" اهـ، وقال ابن عبد البر رحمه الله في كتاب (الإستذكار) ما نصه: "وإثبات الشفاعة ركن من أركان اعتقاد أهل السنة، وهم مجتمعون على أن تأويل قول الله تعالى: ﴿أَنْ يَبْعَثَنَّ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ الإسراء: 79" المقام المحمود: هو شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في المذنبين من أمته، ولا أعلم في هذا مخالفًا إلا شيئاً" اهـ.

وقال الإمام التقى السبكي عند ذكر أحاديث التوسل به في عرصات القيامة في كتاب (شفاء السقام) ما نصه: "أنه مما قام عليه الإجماع، وتواترت الأخبار به، وقال في المواهب اللدنية ما نصه: وأما التوسل به صلى الله عليه وآلـه وسلم في عرصات القيامة، فمما قام عليه الإجماع، وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة" اه، وقال الإمام السعد في شرح النسفية بعد ذكر حديث شفاعتي لأهل الكبار من أمتي ما نصه: "وهو مشهور بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى" اه، وقال الإمام السخاوي رحمه الله في كتاب (فتح المغيث) ما نصه: "إن عدد رواة حديث الشفاعة والمحوض من الصحابة زاد علىأربعين، ومن وصفهما بذلك عياض في الشفا" اه
قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَوَاجِبٌ شَفَاعَةُ الْمُشَفَّعِ مُحَمَّدٌ مُقَدَّمًا لَا تُنْتَعِ
وَغَيْرُهُ مِنْ مُرْتَضَى الْأَخْيَارِ يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ

وجوب الإيمان بالجنة

يجب على كل مكلف بالإيمان بالجنة لثبتتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، أوجدها الله تعالى فيما مضى وهذا قول أهل الحق من المسلمين.
اصطلاحاً: هي دار الخلود ومأوى المؤمنين التي أعدّها الله تعالى كرامات لهم وجزاء لإيمانهم وطاعتكم، وهي مخلوق عظيم، موجودة الآن، بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيمة، فيها النعيم العظيم الأبدي، ونعمتها حقيقية بخلاف مَنْ ضَلَّ وقال أَنَّه معنوي، مَنْ دخلها لا يخرج منها تكرماً من المولى سبحانه، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي لا تقاس

على نعيم الدنيا ولا بوجهٍ من الوجوه، فالسمميات في الجنة هي نفسها مسمميات الدنيا كالنَّخل والرُّمان والأكواب والأباريق وغيرها، ولكنَّها جزْمًا تختلف في الصفة، إذ هي من قبيل الثابت في الأصل المتشابه في الوصف، يجب الإيمان بها على مراد الله ورسوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والجنة من المخلوقات الشمانية الباقية التي أراد الله تعالى لها البقاء، فبقاوها ليس بذاتها.

ونعيم الجنة نعيم دائمٌ يزداد ولا ينقص، لا مرض فيها ولا أوجاع، ولا شقاء ولا أحزان، إنَّما السُّرور والهناء، وجوههم ضاحكةٌ مستبشرةٌ متنعمَةٌ، راضيةٌ مرضيَّةٌ، فالملُّخَلُون فيها لا يَبُولُونَ ولا يتغوطونَ ولا يمتخطونَ ولا يَتَفَلُّونَ، أمشاطُهم الذهبُ، ورشحُهم المِسْكُ، وأزواجهُم الحورُ العين، وملبسُهم وظعامَهم وشرابُهم ليس من عريٍّ أو جوعٍ أو ظماءٍ إنما هي اللذاتُ المُتتابعةُ والخيراتُ المتوااليةُ التي لا تنتهي.

وأفضل ما يُكرِّم به أهل الجنة النَّظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى الكريم، وهذه الرؤية تكون بالعين الباقية بلا كيف، فالصورة والكيفية عن الله وصفاته منفيَّة، فليس كمثله شيء سبحانه كما مر معنا.

وجميع أهل الجنة من الشباب والشيوخ والكهول إنما يدخلون الجنة في سن الشباب: أبناء ثلاث وثلاثين عاماً.

والجنة لها أسماءٌ كثيرةٌ و مختلفةٌ جاءت في القرآن الكريم، تُوحِي بالتعيم المُقيم، منها: جَنَّةُ عَدْنَ، دارُ السَّلَامِ، جَنَّاتُ النَّعِيمِ، دارُ الْآخِرَةِ، دارُ الْقَرَارِ، دارُ الْمَتَّقِينَ،

الفردوس، الحُسْنِي، جَنَّةُ الْخَلْدِ وغَيْرِهَا، وَكُلُّهَا تدلُّ عَلَى "الْجَنَّةِ"، وَهِيَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُلِّهَا مَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَةٌ، حَسْبَ سعيِ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا مَعَ تَحْصِيلِهِ لِأَصْلِ الإِيمَانِ، وَمَنَازِلُ الْجَنَّةِ كُلُّهَا مَتَّصِلَةٌ بِمَقَامِ الْوَسِيلَةِ الْمُحْمَدَيَّةِ الَّتِي بُعْثِثَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَفْضَلُ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ هِيَ الْفِرْدَوْسُ الْأَعُلَى، وَهِيَ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَعْلَاهَا وَأَرْفَعُهَا، وَلِيُعْلَمُ بِأَنَّ مَنَازِلَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْسَ كَمَنَازِلِ دُونِهِمْ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجنة:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُظَاهِرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(البقرة: 25)، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيقُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلٍ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفَّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الشَّوَّابِ﴾^(آل عمران: 195)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعْثَنَا مِنْهُمْ أُنْيَى عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَا كُفَّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دُخْلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ

فقد صَلَّى سَوَاءَ السَّبِيلَ ﴿الْمَائِدَةُ: 12﴾، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا حُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الشَّوَّابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿الْكَهْفُ: 31﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ﴿الْرَّحْمَنُ: 46﴾ واختيار صيغة المثنى وغيرها من الصيغ ما هي إلا تنوع في الاستدلال لمزيد من تشويق المؤمن لطلب المنزلة الفضلى والسعى إليها، والآيات في هذا المقام كثيرة جداً.

- مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ شَهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحُ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقُّ وَالثَّارَ حَقُّ، أَدْخِلْهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا عَمِلَ) متفق عليه، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذْنُ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) رواه البخاري ومسلم، وعنده أيضاً، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مائةَ دَرَجَةٍ أَعْدَدَهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ) رواه البخاري وغيره، وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الْدُّرِّيَ الْغَابِرَ فِي الْأُفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ

المُغْرِبِ لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُوْهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ) مُتَّقِّعٌ عَلَيْهِ، وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفَلُونَ، وَلَا يَبْوُلُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءُ وَرَشْحُ كَرْشَحُ الْمِسْلِكِ) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بوجود الجنة وأنها مخلوقة قبل يوم القيمة:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُنَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ "البقرة": 35، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ "آل عمران": 133، وهذا نصٌ إذ المعدوم لا يقال له: (أُعِدَّ) فهو مُعَدٌّ أي موجود، والآية وصفت عرض الجنة والعرض لا يكون إلا موجود وأما المعدوم لا عرض له، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ "النجم": 13-15.

- من السنة المشرفة: أما الأحاديث فكثيرة مقتضية للتواتر المعنوي، وقد نص

شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على أن أحاديث الجنة والنار مخلوقتان الآن متواترة، قلت: عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم: (ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى

انتهى إلى سدرة المتنـى فعـشـيـها الـوـانـ لاـ أـدرـيـ ماـ هـيـ، ثـمـ أـدـخـلـ الـجـنـةـ فـإـذاـ فـيـهاـ جـنـاـبـ اللـوـلـ وـإـذاـ تـرـابـهـاـ الـمـسـكـ) رواه الشیخان، وعـنـ أـبـیـ هـرـیرـةـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ: (إـنـ فـيـ الـجـنـةـ شـجـرـةـ يـسـیرـ الرـاـكـبـ فـيـ ظـلـلـهـ مـائـةـ سـنـةـ، اـقـرـءـواـ إـنـ شـيـئـمـ: (وـظـلـ مـمـدـودـ) الواقعـةـ: 30) رواه البخارـيـ، وـعـنـ أـنـسـ بـنـ مـالـلـيـ، قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ: (بـيـنـمـاـ أـنـاـ أـسـيـرـ فـيـ الـجـنـةـ، إـذـاـ أـنـاـ بـنـهـرـ حـافـتـاهـ قـبـابـ الدـرـ الـمـجـوـفـ، قـلـتـ: مـاـ هـذـاـ يـاـ جـبـرـيلـ؟ قـالـ: هـذـاـ الـكـوـثـرـ الـذـيـ أـعـطـاكـ رـبـكـ، فـإـذاـ طـيـنـهـ أـوـ طـيـبـهـ مـسـكـ أـذـفـرـ) رواه البخارـيـ، وـعـنـ أـبـیـ هـرـیرـةـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ: (قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ: أـعـدـدـتـ لـعـبـادـيـ الصـالـحـينـ مـاـ لـاـ عـيـنـ رـأـتـ، وـلـاـ أـذـنـ سـمـعـتـ، وـلـاـ خـطـرـ عـلـ قـلـبـ بـشـرـ) رواه البخارـيـ ومـسـلـمـ، وـعـنـ السـيـدةـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـ أـبـیـهـاـ قـالـتـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ: (رـأـيـتـ فـيـ مـقـامـيـ هـذـاـ كـلـ شـيـءـ وـعـدـتـ، لـقـدـ رـأـيـتـمـوـنـيـ أـرـدـتـ أـنـ آخـذـ قـطـفـاـ مـنـ الـجـنـةـ حـيـنـ رـأـيـتـمـوـنـيـ جـعـلـتـ أـتـقـدـمـ، وـلـقـدـ رـأـيـتـ جـهـنـمـ يـحـطـمـ بـعـضـهـاـ بـعـضـاـ حـيـنـ رـأـيـتـمـوـنـيـ تـأـخـرـتـ، وـرـأـيـتـ فـيـهـاـ اـبـنـ لـحـيـ وـهـوـ الـذـيـ سـيـبـ السـوـائـبـ) رواه الشـیـخـانـ، وـعـنـ أـبـیـ هـرـیرـةـ قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ: (لـمـاـ خـلـقـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ الـجـنـةـ، قـالـ: يـاـ جـبـرـيلـ، اـذـهـبـ فـأـنـظـرـ إـلـيـهـ، فـذـهـبـ فـنـظـرـ، فـقـالـ: يـاـ رـبـ، وـعـرـّـتـكـ لـاـ يـسـمـعـ بـهـاـ أـحـدـ إـلـاـ دـخـلـهـاـ، ثـمـ حـفـهـاـ بـالـمـكـارـهـ، ثـمـ قـالـ: اـذـهـبـ فـأـنـظـرـ إـلـيـهـ، فـذـهـبـ فـنـظـرـ، فـقـالـ: يـاـ رـبـ، وـعـرـّـتـكـ لـقـدـ خـشـيـتـ أـنـ لـاـ يـدـخـلـهـاـ أـحـدـ) رواه أبو داود والترمذـيـ وأـحـمـدـ وـغـيـرـهـمـ.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالجنة وأنها مخلوقة الآن.

قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في كتاب (مراتب الإجماع) ما نصه: "وأتفقوا أن ما وصف الله تعالى به في الجنة من أكل وشرب وأزواج مقدسات ولباس ولذة حق صحيح" اه، وقال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين" اه.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً ولا يفني عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمنداً" اه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً" اه، وقال ابن عبد البر رحمه الله في كتاب (التمهيد) ما نصه: "قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان" اه، وقال الإمام النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان" اه، وقال الإمام أبو عبد الله السنوسي الحسني المالي رحمه الله في كتاب (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "وأما الجنة والنار فثبتوهما مما علمنا من الدين ضرورة، وهما مخلوقتان" اه، وقال العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتاب (قصص الأنبياء آدم عليه السلام) ما نصه: "وإنما الذي يجب إعتقاده: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، للأدلة على ذلك من الكتاب والسنة المتواترة" اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الإِيمَانُ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلُ وَالْأُمَلَّا كِ مَعْ بَعْثٍ قَرْبٌ
وَقَدَرٍ كَذَا صِرَاطُ مِيزَانٍ حَوْضُ التَّبِيِّنِ جَنَّةُ وَنَيْرَانٍ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَالنَّارُ حَقٌّ أُوجِدَتْ كَالجَنَّةِ فَلَا تَمِلْ لِجَاهِدِ ذِي جَنَّةٍ

فائدة: إن علم أن دخول الجنة هو فضل من الله تعالى لا عوض عن الطاعات، قال

تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ "فاطر: 35"، وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من أحد يدخله عمله الجنة)، فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: (ولا أنا إلا أنا يتَعَمَّدُونِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ) رواه مسلم وابن حبان وأحمد وغيرهم.

وجوب الإيمان "بالنار"

يجب على كل مكلف بالإيمان بالنار لشبوتها في الكتاب والسنّة وإجماع أهل الحق من المسلمين، أوجدها الله فيما مضى وهذا قول أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هي مُستَقْرٌرٌ ومأوى الكافرين، أعدّها الله تعالى عقاباً وجاء لکفرهم وطغيانهم، وهي مخلوقٌ عظيمٌ موجودة الآن بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيمة، وفيها العذاب العظيم الأبدي، وعذابها حقيقي لا معنوي فقد خلقت للتعذيب وإحداث الألم في الكفار وبعض عصاة

المسلمين قبل خروجهم منها، ولا يصح صرفها إلى معنى آخر، كتفسير أن العذاب مشتق من العذوبة وهو تأويل باطل لمخالفته صريح القرآن فلا يلتفت إليه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجٍ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾³⁷ "المائدة: 37" ومن دخلها من الكافرين لا يخرج منها أبداً، أما من استحق دخولها من المؤمنين أصحاب المعاصي والذنب للتطهير فلا يخلدون فيها إن دخلوها، وهؤلاء أمرهم مفوض لربهم إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، والبعض منهم قد تدركهم الشفاعة فلا يدخلونها أصلاً، وأما من دخلها وأدركته الشفاعة فيخفف عنه العذاب ويخرج منها، وهؤلاء متفاوتون في مراتبهم، إلا أنهم جزماً لا يخلدون فيها، بل عاقبتهم الجنة كما مر معنا، وآخر أهل النار خروجاً وهم آخر أهل الجنة دخولاً أنسُ يعطون مثل عشرة أمثال الدنيا.

ويجب أن يعلم أن عذابها عذاب دائم ولا يقاس على عذاب الدنيا ولا بوجه من الوجه، وهي من المخلوقات الشمانية الباقية التي أراد الله تعالى لها البقاء، فبقاؤها ليس بذاتها، يزداد ولا ينقص على الكافرين، ويلات متتابعة وعذابات متواتلة والعياذ بالله تعالى، وهي متفاوتة في دركاتها، فلا شك بأنَّ الكفار متفاوتون في العذاب، فمن كفر بالله العظيم ليس كمن قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس كمن أفسد في الأرض، وليس كمن هو كافر ولكنه أحسن معاملة المسلمين وتوقيرهم، وهكذا.

وكثر ذكر النار وآيات التهويل في القرآن الكريم، وجاءت بأسماء كثيرة منها: جهنّم، لَظِي، الْحُطْمَة، السَّعِير، سَقَر، الجَحِيم، الْهَاوِيَة، سِجِّين.

واعلم أن الأثر المنسوب إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاصي وهو: "لَيَاتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ تَصْفِقُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَلْبُسُونَ فِيهَا أَحْقَاباً" فهذا أثر موقوف ضعيف الإسناد وشاذ المتن ويعارض المتواتر والقطعي الصريح من الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق على دوام عذاب الكفار في النار.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالنار:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخَلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ النساء:14، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلُّمَا نَضْجَثْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَدُوْقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء:56، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنَّ يَسْتَغْيِثُوا يُعَاثِنُوا بِمَا إِلَيْهِمْ يَسْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف:29، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ الأحزاب:64، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ التحريم:6، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظِي﴾ المارج:15، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ

نَارَ جَهَنَّمَ حَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿الجِنٌ: 23﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِلَّظَّاغِينَ مَا بَاءَ، لَا يُبَيِّنَ فِيهَا أَحْقَابًا، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا، جَزَاءً وَفَاقًا﴾ ﴿النَّبَأٌ: 21-26﴾، وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنَبَّذَنَّ فِي الْحُكْمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُكْمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمُوَقَّدَةُ﴾ ﴿الْهُمَّزَةٌ: 4-6﴾.

- مِنَ السُّتُّةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِيتِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ شَهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا عَمِلَ) متفق عليه، وعن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا أَهْلُ التَّارِيْخِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابُتُهُمُ التَّارِيْخُ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتُهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذْنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَيَحِيَّهُمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ - أي جماعات متفرقة - فَبَيْنُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيْضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُؤُنَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ) رواه مسلم، والناس في الحديث هم عصاة المؤمنين الذين لا يخلدون في النار، وهم آخرهم خروجاً منها، فمصيرهم بعد أن يتظهروا إلى الجنة، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يُحْشِرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرِّ - أي النمل الأحمر الصغير - في صور الرجال، يَغْشَاهُمُ الدُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سُجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسْ) رواه الترمذ وأحمد وغيرهما، وعند أحمد: (في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنًا).

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بوجود النار وأنها مخلوقة قبل يوم القيمة:

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران: 131، وقال تعالى: ﴿ فَانْقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: 24، وقال تعالى: ﴿ وَبُرَزَتِ الْجِحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ الشعرا: 91، فأخبر القرآن صراحة أنها أعدت للكافرين، والمعدة لا تكون إلا موجودة.

- من السنة المشرفة: أما الأحاديث فكثيرة مقتضية للتواتر المعنوي، وقد نص شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على أن أحاديث الجنة والنار مخلوقتان الآن متواترة، قال رحمه الله: "ذكر في إرشاد الساري: أن كون النار مخلوقة الآن، أي وكذا الجنة مما تواترت به الأخبار تواتراً معنويًّا" اهـ. قلت: وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اَطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ اَكْثَرَ اَهْلِهَا فُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ اَكْثَرَ اَهْلِهَا النِّسَاءَ) رواه البخاري، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (فَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعَزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا اَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعَزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ اَنْ لَا يَبْقَى اَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا) رواه أبو داود والترمذمي وأحمد وغيرهم، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اَحْتَاجَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِي الْجَبَارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِي ضَعَفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ قَالَ: فَقَضَى بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الْجَنَّةَ اَرْحَمُ بِكِ مَنْ اَشَاءَ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابٍ اَعَذَّبُ بِكِ مَنْ اَشَاءَ وَلِكُلِّيْكُمَا عَلَيَّ مِلْوَهَا) رواه مسلم، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًاً فَأَذِنْ لَهَا بِنَفْسِينَ نَفْسٌ فِي الشَّتَاءِ وَنَفْسٌ فِي الصَّيفِ وَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ) رواه مالك والبخاري واللفظ له، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ بْنَ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِقَ) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، وَعَنْ أَبْنِ عُمَرَ، عَنِ التَّبَّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعُدُهُ بِالْغَدَاءِ وَبِالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعُدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَاماً يُصْلُوْنَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: آيَةُ؟ فَأَشَارَتْ أَنْ نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّنِي الْعَنْثُي فَجَعَلْتُ أَصْبُ فُوقَ رَأْسِي الْمَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قُدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

- الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالنار وأنها مخلوقة الآن.

قال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: " وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين" اهـ.

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً ولا يغنى عذاب الله تعالى ولا ثوابه سرمنداً" اه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً" اه، وقال ابن عبد البر رحمه الله في كتاب (التمهيد) ما نصه: "فلهذه الأحاديث وما كان مثلها، قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان" اه، وقال الإمام النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان" اه، وقال العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتاب (قصص الأنبياء آدم عليه السلام) ما نصه: " وإنما الذي يجب إعتقاده: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، للأدلة على ذلك من الكتاب والسنة المتواترة" اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

الإِيمَانُ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْأَمْلَاكِ مَعْ بَعْثٍ قَرُبٌ
وَقَدَرٌ كَذَا صِرَاطُ مَيزَانٍ حَوْضُ التَّبِيِّ جَنَّةٌ وَنَيْرَانٌ

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:

وَالنَّارُ حَقٌّ أُوجِدَتْ كَالْجَنَّةِ فَلَا تَمِيلُ لِجَاهِدِ ذِي جَنَّةٍ
وجوب الإيمان "بحلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار"

يجب على كل مكلف بالإيمان بأن الجنة والنار دارا خلود باقيتان أبداً لا تفنيان، فالجنة أعدت للمتقين لإيمانهم قال تعالى: ﴿جَزَاءً مِّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ "النَّبأ": 36، فهي

دار خلود للسعيد، وهو من مات على الإسلام وإن تقدم منه الكفر، ودخل في السعيد عصاة المؤمنين فلا يخلدون في النار إن دخلوها، والنار أعدت للكافرين جزاءً لکفراهم، قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ وِفَاقًا﴾ [البأ: 26]، فهي دار خلود للشقي، وهو من مات على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان، وهذا ما أجمع عليه أهل الحق بخلاف من قال بفنائهم، أو ما ذهب إليه بعض أهل البدع إلى فناء النار دون الجنة.

وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع المعتبر على كون الجنة والنار داري خلود باقيتين أبداً لا تفنيان.

الأدلة التقليدية على وجوب الإيمان بخلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار:

- من القرآن الكريم: فالآيات التي صرحت بذلك كثيرة جداً، وقد ذكر العالمة التقى السبكي الشافعي رحمه الله نحو مائة آية في إثبات خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار، فذكر نحو ستين آية في بقاء النار ونحو من أربعين آية في بقاء الجنة، وقد ذكر الخلد أو ما اشتق منه في أربع وثلاثين في النار وثمان وثلاثين في الجنة وذكر التصريح بعدم الخروج أو معناه في أكثر من ثلاثين، في رسالة (الاعتبار ببقاء الجنة والنار)، ومن جملتها:

الآيات الدالة على خلود أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 82]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: 15]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿النساء:122﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿المائدة:119﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَاحُ الْفِرْدَوْسِ نُرْلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا﴾ ﴿الكهف:107-108﴾، وقال تعالى: ﴿فُلْ أَذْلِكَ خَيْرٌ أُمَّ جَنَّةُ الْخَلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانُوا لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا، لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتُولًا﴾ ﴿الفرقان:15-16﴾، وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشَتَّهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿الزخرف:71﴾.

الآيات الدالة على خلود أهل النار:

قال تعالى: ﴿بَلَى مِنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿البقرة:81﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿البقرة:161-162﴾، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِحَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿البقرة:167﴾ وهذا لفظ عام إذ لا ينفع الكافر من عمله شيء بشهادة قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿الفرقان:23﴾، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَرَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿آل عمران:87-88﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهُدِيهِمْ طَرِيقًا، إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿النساء:168-169﴾،

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجٍ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾³⁷، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾^{هود:16}، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾^{السجدة:20}، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُنْحَفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ تَجْرِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^{فاطر:36}، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُحْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^{طه:74}، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَئُسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾^{العنكبوت:23}، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَسِيرِ﴾^{الزخرف:64-65}، وهذه آية جامعة مانعة، قال الإمام السبكي رحمه الله: "والآيات في هذا الباب كثيرة" اهـ.

- مِنَ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهِيَةً كَبِيشَ أَمْلَاحَ، فَيُتَادِي مُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيَدْبِحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ: خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحُسْنَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^{مريم:39} وَهُؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) رواه الشیخان، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ

لَا تَبْلِي ثِيَابُهُ وَلَا يَفْتَنَ شَبَابُهُ" رواه مسلم وأحمد، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِدُنُوبِهِمْ أَوْ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذْنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءُ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَقِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيظُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُثُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ، تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)" رواه مسلم وابن ماجه والداري وغيرهم".

- الإجماع: أجمع أهل الحق على خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وأنهما لا تفنيان.

قال الإمام البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيري الأمة على دوام بقاء الجنة والنار وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفارة في النار" اه، وقال رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بأن الخلود في النار لا يكون إلا للكافرة" اه، وقال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في كتاب (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن النار حق وأنها دار عذاب أبداً لا تفني ولا يفني أهلها أبداً بلا نهاية وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام ولمن خالف الأنبياء السالفين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم وعليهم الصلاة والتسليم وبلوغ خبره إليه" اه، وقال الإمام تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله في كتاب (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ما نصه: "فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع على

ذلك وأن من خالقه كافر بإجماع، ولا شك في ذلك فإنه معلوم من الدين بالضرورة وتواردت الأدلة عليه"اه، ونقل أيضاً الإجماع الإمام القرطبي رحمه الله في كتاب (التذكرة في أحوال الموت وأمور الآخرة) فقال: "فمن قال: إنهم يخرجون منها، وإن النار تبقى خالية بمجملها، خاوية على عروشها، وإنها تفني وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول" اه.

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً ولا يفني عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرماً" اه، وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان" اه، وقال الإمام النسفي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان، باقيتان لا تفنيان ولا يفني أهلهما" اه، وقال الإمام التفتازاني رحمه الله في شرحه على العقيدة النسفية ما نصه: "وذهب الجهمية إلى أنهما يفنيان وييفني أهلهما، وهو قول باطل مخالف لكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلاً عن الحجة" اه، قلت: وقد استوفيت الأدلة القطعية على ثبوتبقاء الجنة والنار في رسالة مختصرة أسميتها "الإمتنان بوجوب اعتقاد خلود أهل الجنة والنار".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي رحمه الله:
دَارَا خُلُودٍ لِلسَّعِيدِ وَالشَّقِيقِ مُعَذَّبٌ مُّنَعَّمٌ مَهْمَابَقِي

قال العلامة السفاريني الحنبلي رحمه الله في (الدرة المضية في عقيدة الفرق المرضية):

وَاجْرِزْمٌ بِأَنَّ النَّارَ كَالْجَنَّةِ فِي وُجُودِهَا وَأَنَّهَا لَمْ تَتَلَفِ

فَائِدَة: اعلم أن قوله تعالى: ﴿فَآمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ،

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ،

وَآمَّا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ

رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾^{هود:106-108} لا يفهم منه أن مدة عقابهم ونعيمهم مساوية

لمدة بقاء السموات والأرض، بل إن الخلود المذكور في الفريقين أبدى بلا شك ولا

ريب دلت على ذلك نصوص القرآن الصريحة الكثيرة، وإنما خاطب الله العرب في

هذا الموضع بما هو معروف في لغتهم من التعبير عن الشيء المؤبد باقي بشبيه دوامه

بدوام السماء والأرض، ونظيره أيضاً كقولهم ما اختلف الليل والنهار، وما طما

البحر، وما أقام الجبل، علمنا أن هذه الألفاظ بحسب عرفهم تفيد الأبد والدوام

الخالي عن الانقطاع، قال الإمام الطبرى رحمه الله في تفسيره ما نصه: "ويعني بقوله:

ما دامت السموات والأرض أبداً، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء

بالدوام أبداً قالت: هذا دائم دوام السموات والأرض، بمعنى أنه دائم أبداً، وكذلك

يقولون: هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار، وما سمر ابن سمير، وما لألات العُفرُ بأذنابها،

يعنون بذلك كله أبداً، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال: خالدين فيها ما

دامـت السـموـاتـ وـالـأـرـضـ،ـ وـالـمعـنىـ فـيـ ذـلـكـ،ـ خـالـدـينـ فـيـهـاـ أـبـداـ"ـ اـهـ،ـ وـقـالـ الإـمـامـ

البيضاوى رحمه الله في تفسيره ما نصه: "خالدين فـيـهـاـ مـاـ دـامـتـ السـموـاتـ وـالـأـرـضـ

ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما، فإن النصوص دالة على تأييد دوامهم وانقطاع دوامهما، بل التعبير عن التأييد والبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل، ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً من زوال السماوات والأرض زوال عذابهم، ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم؛ لأن دوامهما كالملزم لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق" اه، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شاءَ رَبُّكَ﴾^{هود:107} قال: فقد شاء أن يخلدوا فيها" اه"زاد المسير في علم التفسير".



مبحث أحكام الردة

أحكام الرّدة

يجب على المكلف الدخول في دين الإسلام والثبوت فيه على الدوام، ويترتب على ذلك الدخول أحكام، ولكي يثبت في الإسلام يجب عليه أن يتعلم ما كان سبباً للخروج منه، إذ الثبوت لا يكون إلا بمعرفة الشيء وضده، عملاً بظاهر حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشَهُدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَجِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) رواه البخاري ومسلم" والحديث متواتر، فصدر الحديث يوجب على المكلف تعلم أحكام الشهادتين، وعجز الحديث يوجب على المكلف أن يتعلم ما يُنقض الشهادتين.

قال أبو فراس الحمداني:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لِلْتَّوْقِيِّ
وَمَنْ كَمْ يُعْرِفُ الشَّرَّ
لِكِ نِنْ لِتَوْقِيِّ
مِنَ النَّاسِ يَقْعُ في

فائدة:

اعلم وفقني الله وإياك لما فيه الخير، أن أحكام الردة ومتعلقاتها هي من أفعال المكلفين التي ثبّح في مباحث الفقه والقضاء وليس في أصول الاعتقاد، وإخراجها من مظانها قلة فقه بلا ريب.

وذكرنا لهذا المبحث في هذا الكتاب للتنبية على أهمية وضرورة تعلم ما يُنقض الشهادتين كما مر وأهمية هذا الفصل هنا بسبب كثرة الجهل وتنبيهاً لظاهر حديث

أَيُّ هُرَيْرَةً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ لَا يَرَى بِهَا بِأَسَأَ يَهُوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ) رواه الترمذى، ووجه الشبه بين تعلم أحكام العقيدة وأحكام الردة أنهما سبب للنجاة في الدنيا والآخرة كما أنها سبباً لحفظ المكلف من الوقوع في المهالك.



فصل

الردة اصطلاحاً: هو الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام، وتحصل إما بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ، سواءً استهزاءً أو عناداً، وهي أفحش أنواع الكفر ومحبطة للأعمال، كما نص على ذلك أهل الاجتهاد قاطبة وتبعدهم على ذلك كل أهل العلم من أتباع المذاهب.

الأدلة النقلية في ثبوت الردة

- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 48)، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطْتُ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 217)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: 137)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: 5)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنُثُمْ تَسْتَهْرُونَ، لَا تَعْتَدُرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبه: 65-66) وغيرها كثير.

- مِنْ السُّنْنَةِ الْمُشَرَّفَةِ: عن ابن عباس، أنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلَدٌ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَقْعُدُ فِيهِ فَيَنْهَا هَا فَلَا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَزَجِرُ، قال: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتُ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقْعُدُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِاللَّمَّ أَصْبَحَ ذُكْرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ

النَّاسَ فَقَالَ: (أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ) فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَرَلِزُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقْعُ فِيكَ فَأَنَّهَا هَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجُرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ الْلُّؤْلُؤَتَيْنِ وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقْعُ فِيكَ فَأَخْذَتْ الْمِعْوَلَ فَوَضَعَتْهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَتْ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلَتْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِلَّا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا

هَدَرٌ)" رواه أبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك وغيرهم" ، وعن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله وإننا لنؤاخذ بما نتكلّم به؟ فقال: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا معاذ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي الثَّارِ عَلَى مَنَّا خِرِّهُمْ إِلَّا حَصَادُ الْسِّنَتِهِمْ)" رواه أحمد والطبراني والبخاري في خلق أفعال العباد" ، وعن أبي هريرة قال، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)" رواه البخاري وغيره" ، وفي رواية للبخاري ومسلم معاً: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)، وعند الترمذى بزيادة (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ).

- الإجماع: وقد أجمع أهل الحق على أن من نطق بكلمة الكفر أو فعل فعلًا أو اعتقادًا لا يصدر إلا من كافر فهو كافر.

قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله في كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيمان به لا يخرج عن إيمانه شيء، ولا يحيط إيمانه إلا الكفر" اهـ.

قال الإمام زين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي رحمه الله في (البهجة) باب الردة:

أَفْحَشُ كُفَّرٍ ارْتِدَادُ مُسْلِمٍ مُكَلِّفٍ بِفَعْلٍ أَوْ تَكَلُّمٍ
مَحْضٌ عِنَادًا وَبِالاَسْتِهْزَاءِ وَبِاعْتِقَادٍ مِنْهُ، كَالْأَلْقَاءِ
لِلْمُصْحَفِ الْعَزِيزِ فِي الْقَادُورَةِ وَسَجْدَةِ لِكُوْكِبِ وَصُورَةِ

فكل فعل أو قول أو اعتقاد أجمع عليه أهل الاجتهاد من علماء الإسلام أنه لا يصدر إلا من كافر فهو كفر، مع وجوب العلم أن أحكام الردة ومتعلقاتها هي من فروع الفقه وبابها باب الحدود وشأنها متصل بالقضاء وأحكامه وليس بأقوال العوام، وفي الحديث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باع بها أحدهما) رواه البخاري ومسلم، ونقل ابن نجيم الحنفي المصري في كتابه البحر الرائق شرح كنز الدقائق عن الإمام الطحاوي: "لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها إذ الإسلام ثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام"، وقال ابن جزي الكلبي الغرناطي المالي في كتابه القوانين الفقهية عند الكلام على الردة: "واعلم أن الألفاظ في هذا الباب تختلف أحكامها باختلاف معانيها والمقاصد بها وقرائن الأحوال،

فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو دون الكفر، ومنها ما يجب فيه القتل، ومنها ما يجب فيه الأدب، ومنها ما لا يجب فيه شيء، فيجب الاجتهد في كل قضية بعينها، وقد استوفى ذلك القاضي أبو فضل عياض المالكي في كتاب الشفا أحكام هذا الباب وبين أصوله وفصوله".^{1.هـ}

قلت: وقد فصل كل ذلك شهاب الدين الخنافي في كتابه نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض وجعل ذلك تحت ثلاثة فصول عظام: الفصل الأول في بيان ما هو من المقالات كفر وما ليس بـكفر وما هو مختلف فيه وقد أجاد فيه رحمه الله وفصله تفصيلاً دقيقاً ومن أراد أن يطمئن قلبه فلينظره هناك حتى يتبيّن له الحق ويميز قول الأئمة الأعلام من قول الجهلة اللثام.



فصل

أقسام الكفر

أجمع العلماء أصحاب المذاهب وغيرهم أنَّ الكفر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
أولاً: الكفر القولي:

وهو كل كلمة كفر نطق بها المكلف ولو لم يكن معتقداً معناها، وهو كثير جداً كما يدل على ذلك حديث ابن مسعود قال "يا لسان قل خيراً تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم"، قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته قال: لا، بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه) رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الكبير، كالسخرية باسم من أسماء الله تعالى أو وعده أو وعيده أو كسب الذات الإلهي، أو سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو شتمنبي أو ملك، أو استخفاف بالكتب السماوية أو شعائر الإسلام أو أحكام الدين، أو كل ما هو مُعظّم ومُقدّس شرعاً، يكفر ما لم يكن مُكرهاً أو عن غيبة عقلٍ أو عن سبق لسانٍ، وبسبق اللسان يكون في حالة الرضى والغضب والخوف والحزن.

وأمثلة الردة كثيرة جداً ومنها قول القائل: "لو كان فلاناً نبياً ما آمنت به"، وقول القائل: "نتدفع في نار جهنم"، وقول القائل: "أنا بريء من الله أو من الملائكة أو من النبي أو من الإسلام"، وقول القائل لشريف: "أنا عدوك وعدو جدك مریداً النبي صلى الله عليه وآله وسلم"، وكذلك الاستهزاء بالقرآن لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوْنُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا

محْرِمَيْنَ ﴿التوبه: 65-66﴾ أخرج عبد الرزاق وابن المذري وأبو الشيخ عن الكلبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة رهط استهزأوا بالله وبرسوله وبالقرآن قال: كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث يسير مجانباً لهم يقال له يزيد بن وديعة فنزلت ﴿إِن تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ فسمي طائفة وهو واحد، واستدل العلماء من هذه الآية أن الرضى بالكفر كفر ويفهم أنه لا يجوز الجلوس مع أهل المنكر بصفة عامة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَغْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأنعام: 68﴾، أو من ادعى أنه يصعد إلى السماء ويعانق الحور، وغيرها كثير.

وقد استدلوا على الكفر القولي:

- من قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ﴿التوبه: 74﴾.
- وعن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ) رواه البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في المعجم الكبير، وغيرهما".
- وعن معاذ بن جبل، قال: قلت: يا رسول الله، أتؤاخذ بما نقول؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ثَكِلْتَكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ الْسِّنَتِهِمْ) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبخاري في خلق أفعال العباد".

ثانيًا: الكفر الفعلي:

وهو القيام بفعل اتفقوا على أنه لا يصدر إلا من كافر باختياره، كالسجود لمخلوقٍ على جهة العبادة، وكذلك السجود للشمس أو للقمر أو للصنم، أو إلقاء مصحفٍ أو علِمٍ شرعِيًّا أو ما عليه اسم الجلالـة (الله) وهو يعلم بذلك سواء فعل ذلك على سبيل الاستهزاء أم لا أو كتابة القرآن بما هو نحس كالبلول وما شابه.

▪ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقُوهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا بَعْدُونَ﴾³⁷ فصلت: 37.

وعليه كُلُّ مَنْ فعل فعلًاً أجمع المسلمين أنه لا يصدر إلا من كافر، فقد كفر فاعله.

ثالثًا: الكفر الاعتقادي:

وليعلم أن الإعتقادات محلها القلب، ومنها ما تخرج صاحبها من ربيقة الإسلام، كنفي وجود الله تعالى، أو اعتقاد قدم العالم وأزليته، أو اعتقاد ما يوجب الحدوث في حقه سبحانه وتعالى كالجسمية، والخلول، والمقابلة، والتَّجزِيـة والتركيب، والتَّزوـل والصعود والجلوس، أو أي صفة توجب النقص والعجز في حقه سبحانه وتعالى، وكذا من شك بقدرة الله أو علـمه أو عدله أو مشيئته، أو أن مشيئته حادثة، أو كمن اعتقد نفي ما هو ثابت له تعالى بالإجماع كأسماـنه وصفاته سبحانه وتعالى، أو كمن أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالاتصال والانفصال والألوان والجهات والأماكن، أو شك في بعثة النبي صلـى الله عليه وآلـه وسلم، أو جوز اكتساب التـّبوـة، أو ادعـى

جواز نبوة أحدٍ بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو شك في القرآن أو اليوم الآخر أو الجنة أو النار أو نحو ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو تحليل ما هو حرام بالإجماع معلوم من الدين بالضرورة كالزنا، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة سواءً كان فرضاً كالصلوات الخمس، أو سنتاً كالاذان، أو جحد آية من القرآن مجمع على وجودها، أو زاد حرفاً مجمع على نفيه، أو نقص حرفاً مجمع على وجوده عناداً، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (منْ جَحَدَ آيَةً مِّنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ حَلَّ ضَرْبُ عُنْقِهِ، وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَلَا سَبِيلٌ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُصِيبَ حَدًّا فِي قَامٍ عَلَيْهِ)" رواه ابن ماجه، أو عزم على الكفر في المستقبل أو تردد فيه فهو كفر، كقول القائل: "لم مات ابني سأكفر"، هذا كفر في الحال.

فكل هذا أجمع عليه العلماء أنه لا يصدر إلا من كافر، والعياذ بالله.

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الحجرات: 15
فالإرتياض والشك محله القلب.



فصل

وليعلم بأنَّ الرضا بالكفر كفر كالجلوس مع الذين يتسامرون ويتحدثون وينطقون بالكفرات مع عدم إنكاره عليهم أو عدم مغادرة مجلسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَحُوْضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَقَّ يَحُوْضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيْنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: 68)، فمن رضي بكل ما سبق من الكفرات فهو كافر.

فائدة:

- اعلم وفقني الله وإياك لطاعته أن العلماء اتفقوا أن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة مخرج من الإسلام بمفرده ولا يشترط اجتماعهم معاً ليحكم على صاحبها بالردة.
- اعلم أن الشخص المتأول باجتهاده في فهم الدليل فإنه لا يكفر ابتداءً، كتاويل مانعي الزكاة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنهم فهموا قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَتُنَزِّكِهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبه: 103) أن الزكاة تجب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دفع الزكاة إليه كانت سكناً لهم وظهرت، وأن ذلك انقطع بعد رفعه إلى الرفيق الأعلى، فحاربهم رضي الله عنه لمنعهم وليس لکفراهم.
- وما يجب أن يعلمه طالب الحق هو عدم الإسراع في التكفير، لا سيما في الأمور المتشابهات كالتفريق بين الكبيرة وأكبر الكبائر والكفر، ومثاله قوله تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، وعن أبي ذَرٍ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادِي إني حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَّمُوا) رواه مسلم، قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عن ربه: (الْكِبِيرِيَاءُ رِدَائِيُّ وَالْعَظَمَةُ إِزَارِيُّ فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) رواه أبو داود، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقَتَالُهُ كُفُرٌ) متفق عليه، فهذه معاishi من أكبر الكبائر، وهناك ألفاظ صريحة وألفاظ غير صريحة قد تختلط على السامع، لهذا لا يُفتى في مثل هذه الأمور إلا بعد التدقيق والثبت مع وجوب الرجوع إلى ما أصله كبار العلماء رحمهم الله تعالى، فقد قسم علماء الأصول للفظ إلى نوعان:

- لفظ صريح.
- لفظ ظاهر.

فصل لفظ الصريح

اللفظ الصريح: هو اللفظ الذي لا يُقبل فيه إلا وجه واحد، وهو ما كان من قبيل صريح اللفظ صريح المعنى، فمن حصل منه كفر بلفظ صريح كُفُرٌ ولا يُسأل عن مراده ولا يُقبل منه تأويل إلا أن يكون لا يعرف ذلك المعنى الصريح، أي يُظن أن معناه غير ذلك فإن هذا اللفظ بالنسبة إليه ليس له حكم الصريح، كمن كان قريب عهد بإسلام أو كان ممن لا يُحسن العربية، هذا لا يُكَفَّرُ بل يُعلَمُ، ولأجل

ذلك أصلوا قاعدة أن اللفظ الصريح يسأل عن فهمه وفي اللفظ الظاهر يسأل عن قصده وهو كلام سليم يتافق مع ضوابط أصول الفتوى للمفتى.

مثاله: قول القائل "الصلاوة على النبي محمد مكرودة"، هذا لفظ كفري صريح دالٌ على وجه واحد لا يتحمل غيره، فيسأل عن فهمه لمعنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان لا يفهمه نعلم، وإن كان يفهمه فهذا كفرٌ صريح يخرج من الملة كما اتفق عليه العلماء.

فصل اللفظ الظاهر

اللفظ الظاهر: هو اللفظ الذي يقبل فيه وجهان أو أكثر، وجهٌ حسنٌ ووجهٌ قبيح، لأن كان اللفظ له معانٍ كثيرة وأغلب معانيه كُفرٌ ومعنىً واحدًّا منها ليس بـكفر، فلا يُكَفَّرُ إلَّا أن يُعرف منه إرادة المعنى الكفري، وهذا يُسأل عن قصده ومراده كما بيناه في القاعدة السابقة.

مثاله: قول القائل "الصلاوة على النبي مكرودة"، هذا من اللفظ الظاهر، الذي يُسأل فيه عن قصده ومراده؛ لأن لفظ "النبي" بحسب وضع اللغة تحتمل معنيان، تأتي بمعنى الأرض المحدودة، فيكون المعنى "الصلاوة على الأرض المحدودة مكرودة" كونها تذهب التركيز والخشوع أثناء أداء الصلاة عليها، وبهذا يكون قوله صحيحًا فلا يُكفر، أمّا لو قصد النبي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم فهذا كفر كما فصلناه آنفًا.



فصل

ما يُستثنى من الكفر

ويُستثنى من الكفر القولي الصريح عدة حالات:

غيبة العقل: كالمجنون، وهذا يُؤدب، لأن التأديب يؤثر حتى في البهائم كما هو معلوم ومشاهد بالحس.

• حديث عهد بالإسلام أو من جاء من المناطق النائية، ولم يكن يفهم صريح اللفظ وأخرى ظاهره فلا يجرى عليه أحكام الكفر، بل يعلم وجوباً، واعلم أنه لا يُستثنى حديث العهد بالإسلام إذا خالف أصول العقائد التي دخل لأجلها في الإسلام مثل تزنيه الله عن الشريك والمشير.

• المُكْرَه: وهو من نطق بالكفر وهو مجرّر، ولكن قلبه غير منشرح للكفر، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضْبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^{الحل: 106}، والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر كما جاء من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: "أَخَدَ الْمُسْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَثْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا وَرَاءَكَ؟) قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: (كَيْفَ تَحْدُّ قَلْبَكَ؟) قَالَ: مُطْمَئِنًا بِالإِيمَانِ، قَالَ: (إِنْ عَادُوا فَعُدُّ)" أخرجه الطبرى وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبيهقي من هذا الطريق، وأخرجه ابن المنذر من طريق ابن عباس وابن أبي حاتم من طريق مسلم الأعور، وأخرج عبد بن حميد

من طريق ابن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي عمار بن ياسر وهو يبكي فجعل يمسح الدموع عنه ويقول: (أَخَذَكُ الْمُشْرِكُونَ فَعَطْسُوكَ فِي الْمَاءِ، وَأَمْرُوكَ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ، فَفَعَلْتَ، فَإِنَّ أَخَذُوكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَأَفْعَلْ دَلِكَ بِهِمْ)، قال ابن حجر في "فتح الباري" ورجاه ثقات: وهذه المراسيل تقوّي بعضها ببعض.

• سبق اللسان: ويدخل فيه نشوة الفرح والجزع والخوف والغضب، وذلك لأن

خانه لسانه فنطق بكلمة الكفر على غير قصد ومراد ما عقد عليه قلبه، مثل هذا لا يكفر، ومثاله في الفرح: ما جاء عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَهُ أَشَدُ فَرَحاً بِتُوبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاءٍ، فَأَنْقَلَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَبَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمًا عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ) "رواه البخاري ومسلم"، هذا رجل خانه لسانه من شدة فرجه بعودة راحلته فنطق بكلمة الكفر، فلم يكفر، واصطلح العلماء على تسمية ذلك بسبق اللسان وهو الذهول ومنشأه وسببه شدة نشوة الفرح والسرور أو شدة الجزع والخوف، ومثاله في الجزع: ما جاء عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَا لَا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرٌ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتْ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلْتَ؟ قَالَ: تَحْمَلَتْكَ، فَتَلَقَّأَ بِرَحْمَتِهِ) "رواه البخاري".



فصل

أحكام المرتد

إِنَّ مَنْ ارْتَدَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِقَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ أَوْ اعْتِقَادٍ يُسْتَتابُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بَعْدَ ثَبُوتِ الْحُكْمِ عِنْدَ الْحَاكِمِ، يُوضَعُ لَهُ فِيهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَيُرْسَلُ لَهُ مَنْ يَحْتَهُ عَلَى الْعُودَةِ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا»⁷⁰ (الفرقان: 70)، وَإِنَّ أَبَى يُقْتَلُ يُقتَلُهُ الْخَلِيفَةُ وَجُوبًا، وَيُعْتَمِدُ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ عَلَى شَهَادَةِ عَدَلَيْنِ أَوْ عَلَى اعْتِرَافِهِ، لَدْفَعَ كُلَّ شَبَهَةٍ يَتَمْسَكُ بِهَا الْمَرْتَدُ، فَعَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنِ أَبِيهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اَدْرِءُوا الْحَدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ لِمَسْلِمٍ مُخْرِجًا فَخُلُوا سَبِيلَهُ، فَإِنْ إِلَمَامٌ أَنْ يَخْطُئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَخْطُئَ بِالْعَقُوبَةِ) رواهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ، وَلَا إِنَّ الشَّرْعَ غَيْرَ مُتَشَوْفٍ لِإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ إِلَّا فِي مَحْلِهَا مُثْلِ قَطْعِ يَدِ السَّارِقِ بِالْقِيمَةِ الْمُعْتَرَفَةِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْعَدْمِ وَغَيْرِهِمَا كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ لِحَدِيثِ ابْنِ مُسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَحْلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثَتِ الشَّيْبِ الزَّانِيِّ، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ) رواهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ) رواهُ

البخاري"، ولا يُغسل ولا يصلّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يرث ولا يورث، وما له فيء عند غالب العلماء، كل ذلك تنفيراً منه، ويذكر أن القتل للمرتد يكون بضرب العنق بالسيف، ويحرّم بغير ذلك كإحراقٍ وختقٍ وخازوق، لقوله صلى الله عليه وآلـه وسلم: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ) رواه مسلم، وعن ابن عباس قال: "أنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلَدٌ تَشْتِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَقْعُ فِيهِ فَيَنْهَا هَا فَلَا تَنْتَهِي، فَلَمَّا كَانَ ذَاتُ لَيْلَةِ أَخْذَ الْمِعْوَلَ فَجَعَلَهُ فِي بَطْنِهَا وَأَتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَلَا اشْهَدُوا إِنَّ دَمَهَا هَدَرٌ)" رواه أبو داود ورواته ثقات".

وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.



خاتمة

وكان الفراغ من مراجعته في يوم الخميس بتاريخ: 20 من رمضان 1435 هجري، الموافق له 17 من يوليو 2014 رومي، بين تونس وغزة والدوحة عن طريق الشبكة العنكبوتية، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننهديّ لو لا أن هدانا الله، لقد جاءت رسالتنا بالحق، اللَّهُمَّ لِكَ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ لِكَ الْحَمْدُ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ وَمَا لَهَا عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ وَالْجَودُ وَالْكَرْمُ وَالْإِحْسَانُ.

الحمد لله العزيز المنان الشكر لله العظيم السلطان، اللَّهُمَّ اختتم لنا بخيرك يا رحمن، اللَّهُمَّ اختتم لنا ولوالدينا ولمسايخنا وللمؤمنين بالسعادة والغفران، آمين، آمين، آمين.

وَصَلَّى اللَّهُمَّ وَسَلَّمَ وَرَدَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ وَصَحْبِهِ
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَمَ بِحَمْدِ اللَّهِ الْكَاتِبُ



فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

3.....	- تقريرات السادة العلماء حفظهم الله تعالى.
4.....	- تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ
8.....	- تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور عفيف الصبابطي.....
11.....	- الكاتب في سطور.....
16.....	- بين يدي القارئ.....
18.....	- مقدمة.....
21.....	- مبادئ علم التوحيد.....
21.....	- حده.....
22.....	- موضوعه.....
22.....	- ثمرته.....
22.....	- فضله.....
22.....	- نسبته.....
23.....	- واسعه.....
25.....	- اسمه.....
26.....	- استمداده.....
26.....	- حكمه.....
26.....	- مسائله.....
27.....	- فصل في الحكم وأقسامه.....

27.....	- الحكم الشرعي
29.....	- الحكم العادي
29.....	- العقل تعريفه، ومكانته في التشريع
37.....	- الحكم العقلي
41.....	- فصل أول الواجبات
43.....	- فصل في إطلاق الصفة
44.....	- الصفات النفسية
44.....	- صفة الوجود
47.....	- الصفات السلبية
47.....	- صفة القدم
49.....	- صفة البقاء
51.....	- صفة المُخالفَة لِلحوادث
55.....	- صفة القيام بالنفس أو الغيَّ المُطلَق
57.....	- صفة الوحدانية
64.....	- صفات المعاني
65.....	- صفة القدرة
67.....	- صفة الإرادة أو المشيئة
72.....	- القضاء والقدر
79.....	- الوعد والوعيد
83.....	- صفة العِلْم

86.....	- صفة الحياة.....
88.....	- صفة السمع.....
90.....	- صفة البصر.....
92.....	- صفة الكلام.....
97.....	- الصفات التي تستحيل على الله سبحانه وتعالى.....
100.....	- الصفات الجائزة في حق الله سبحانه وتعالى.....
102.....	- جواز رؤية الله تعالى.....
107.....	- مبحث الرسليات.....
109.....	- فصل الرسول والنبي.....
113.....	- فصل ببيان عدد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.....
116.....	- الصفات الواجبة للرسل والأنبياء.....
118.....	- صفة الصدق.....
120.....	- المعجزة.....
121.....	- معجزة الإسراء والمعراج.....
129.....	- صفة الأمانة.....
131.....	- صفة التَّبْلِيغ.....
138.....	- صفة الفَطَانة.....
140.....	- ما يستحيل على الرسل والأنبياء.....
145.....	- ما يجوز على الرسل والأنبياء.....
151.....	- فصل في وجوب الإيمان بالكتب السماوية.....

156.....	- مبحث السمعيات
160.....	- وجوب الإيمان بالجن
170.....	- وجوب الإيمان بالملائكة
182.....	- وجوب الإيمان بالعرش
186.....	- وجوب الإيمان بالكرسي
188.....	- وجوب الإيمان باللوح المحفوظ
191.....	- وجوب الإيمان بالقلم
194.....	- وجوب الإيمان بالروح
197.....	- وجوب الإيمان بقيام الساعة وعلاماتها
232.....	- وجوب الإيمان ببناء العالم
234.....	- وجوب الإيمان بالموت
239.....	- وجوب الإيمان بسؤال الملائكة منكر ونكير
244.....	- وجوب الإيمان بالقبر ونعيمه وعدابه
249.....	- وجوب الإيمان بالبعث
253.....	- وجوب الإيمان بالحشر
257.....	- وجوب الإيمان باليوم الآخر
261.....	- وجوب الإيمان بالحساب
267.....	- وجوب الإيمان بنشر الصحف
271.....	- وجوب الإيمان بالميزان
276.....	- وجوب الإيمان بالصراط

280.....	- وجوب الإيمان بالخوض.....
285.....	- وجوب الإيمان بالشفاعة.....
292.....	- وجوب الإيمان بالجنة.....
299.....	- وجوب الإيمان بالثَّار.....
306.....	- وجوب الإيمان بخلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار.....
313.....	- أحكام الرّدّ.....
320.....	- أقسام الكفر.....
320.....	- الكفر القولي.....
322.....	- الكفر الفعلي.....
322.....	- الكفر الاعتقادي.....
325.....	- اللفظ الصريح.....
326.....	- اللفظ الظاهر.....
327.....	- ما يُستثنى من الكفر.....
329.....	- أحكام المرتد.....
331.....	- خاتمة.....
333.....	- فهرس الموضوعات.....

تَهْمَةُ الْفَهْرَسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات
 التابع لآل البيت – فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-14-114-6

9 789938 141146

